كتاب الشعب

إحياء علوم الدّين

للإمام أبى حامد الغزالى

الجزء الثالث

دار الشعب
٩٢ شارع قصر العينى - القاهرة ت: ٢١٨١٠

الوظيفة الثالثة : الإسرار ، فان ذلك أبعد عن الرياء والسمعة قال صلى الله عليه وسلم :[١] « أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ جُهْدُ الْمُقِلِّ إِلَى فَقِيرٍ فِي سِرٍّ » وقال بعض العلماء[٢] « ثَلَاثٌ مِنْ كُنُوزِ الْبِرِّ مِنْهَا إِخْفَاءُ الصَّدَقَةِ » وقد روى أيضاً مسنداً وقال صلى الله عليه وسلم:[٣] « إِنَّ الْعَبْدَ لَيَعْمَلُ عَمَلاً فِي السِّرِّ فَيَكْتُبُهُ اللهُ لَهُ سِرًّا ، فَإِنْ أَظْهَرَهُ نُقِلَ مِنَ السِّرِّ وَكُتِبَ فِي الْعَلَانِيَةِ ، فَإِنْ تَحَدَّثَ بِهِ نُقِلَ مِنَ السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ وَكُتِبَ رِيَاءً » وفى الحديث المشهور :[٤] « سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ أَحَدُهُمْ رَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَلَمْ تَعْلَمْ شِمَالُهُ بِمَا أَعْطَتْ يَمِينُهُ » وفى الخبر:[٥] « صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ » وقال تعالى : (وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ *) وفائدة الإخفاء الخلاص من آفات الرياء والسمعة ، فقد قال صلى الله عليه وسلم[٦] : « لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْ مُسْمِعٍ وَلَا مُرَاءٍ وَلَا مَنَّانٍ » والمتحدث بصدقته يطلب السمعة ، والمعطى فى ملأ من الناس يبغى الرياء ، والإخفاء والسكوت هو المخلص منه . وقد بالغ فى فضل الإخفاء جماعة حتى اجتهدوا أن لا يعرف القابض المعطى ، فكان بعضهم يلقيه فى يد أعمى ، وبعضهم يلقيه فى طريق الفقير وفى موضع جلوسه حيث يراه ولا يرى المعطى ، وبعضهم كان يصره فى ثوب الفقير وهو نائم ، وبعضهم كان يوصل إلى يد الفقير على يد غيره بحيث لا يعرف المعطى وكان يستكتم المتوسط شأنه ويوصيه بأن لا يفشيه ، كل ذلك توصلا إلى إطفاء غضب الرب سبحانه ، واحترازاً من الرياء والسمعة

---

(١) حديث أفضل الصدقة جهد المقل الى فقير فى سر: أحمد حب ك من حديث أبى ذر ولأبى داود من حديث أبى هريرة أى الصدقة أفضل قال جهد المقل

(٢) حديث ثلاث من كنوز البر فذكر منها اخفاء الصدقة: أبو نعيم فى كتاب الايجاز وجوامع الكلم من حديث ابن عباس بسند ضعيف

(٣) حديث ان العبد ليعمل عملا فى السر فيكتبه الله سرا فان أظهره نقل من السر ـ الحديث : الخطيب فى التاريخ من حديث أنس نحوه باسناد ضعيف

(٤) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله ـ الحديث : أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٥) حديث صدقة السر تطفىء غضب الرب: طب من حديث أبى أمامة ورواه أبو الشيخ فى كتاب الثواب و هق في الشعب من حديث أبى سعيد كلاهما ضعيف والترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة ان الصدقة لتطفىء غضب الرب ولابن حبان نحوه من حديث أنس وهو ضعيف أيضا

(٦) حديث لا يقبل الله من مسمع ولا مراء ولا منان : لم أظفر به هكذا

* البقرة ٢٧١

ومهما لم يتمكن إلا بأن يعرفه شخص واحد فتسليمه إلى وكيل ليسلم إلى المسكين والمسكين لا يعرف أولى، إذ فى معرفة المسكين الرياء والمنة جميعاً ، وليس فى معرفة المتوسط إلا الرياء ، ومهما كانت الشهرة مقصودة له حبط عمله لأن الزكاة إزالة للبخل وتضعيف لحب المال ؛ وحب الجاه أشد استيلاء على النفس من حب المال ، وكل واحد منهما مهلك فى الآخرة ولكن صفة البخل تنقلب فى القبر فى حكم المثال عقربا لادغا ، وصفة الرياء تنقلب فى القبر أفعى من الأفاعى ، وهو مأمور بتضعيفهما أوقتلهما لدفع أذاهما أو تخفيف أذاهما ، فمهما قصد الرياء والسمعة فكأنه جعل بعض أطراف العقرب مقويا للحية ، فبقدر ما ضعف من العقرب زاد فى قوة الحية ، ولو ترك الأمر كما كان لكان الأمر أهون عليه ، وقوة هذه الصفات التى بها قوتها العمل بمقتضاها ، وضعف هذه الصفات بمجاهدتها ومخالفتها ، والعمل بخلاف مقتضاها ، فأى فائدة فى أن يخالف دواعى البخل ويجيب دواعى الرياء فيضعف الأدنى ويقوى الأقوى . وستأتى أسرار هذه المعانى فى ربع المهلكات

الوظيفة الرابعة : أن يُظهر حيث يعلم أن فى إظهاره ترغيباً للناس فى الاقتداء ، ويحرس سره من داعية الرياء بالطريق الذى سنذكره فى معالجة الرياء فى كتاب الرياء ، فقد قال الله عز وجل : (إِن تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ *) وذلك حيث يقتضى الحال الابداء ، إما للاقتداء ، وإما لأن السائل إنما سأل على ملأ من الناس ، فلا ينبغى أن يترك التصدق خيفة من الرياء فى الإظهار ، بل ينبغى أن يتصدق ويحفظ سره عن الرياء بقدر الامكان ، وهذا لأن فى الاظهار محذوراً ثالثاً سوى المنّ والرياء وهو هتك ستر الفقير ، فإنه ربما يتأذى بان يُرى فى صورة المحتاج ، فمن أظهر السؤال فهو الذى هتك ستر نفسه فلا يحذر هذا المعنى فى إظهاره ، وهو كاظهار الفسق على من تستر به فانه محظور ، والتجسس فيه والاعتياد بذكره منهى عنه ، فأما من أظهره فاقامة الحد عليه إشاعة ، ولكن هو السبب فيها ، وبمثل هذا المعنى قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ أَلْقَى جِلْبَابَ الْحَيَاءِ فَلَا غِيبَةَ لَهُ » وقد قال الله تعالى (وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً *) ندب إلى العلانية أيضا لما فيها من فائدة الترغيب ، فليكن العبد دقيق التأمل فى وزن هذه الفائدة بالمحذور الذى فيه ، فإن ذلك يختلف بالأحوال والأشخاص

---

(١) حديث من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له : عد حب فى الضعفاء من حديث أنس بسند ضعيف

* البقرة ٢٧١ * فاطر ٢٨

فقد يكون الاعلان فى بعض الأحوال لبعض الاشخاص أفضل، ومن عرف الفوائد والغوائل ولم ينظر بعين الشهوة ، اتضح له الأولى والأليق بكل حال

الوظيفة الخامسة : أن لا يفسد صدقته بالمنّ والأذى ، قال الله تعالى (لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى *) واختلفوا فى حقيقة المنّ والأذى ، فقيل المنّ أن يذكرها ، والأذى أن يظهرها . قال سفيان : من منّ فسدت صدقته ، فقيل له كيف المنّ ؟ فقال : أن يذكره ويتحدث به . وقيل المنّ أن يستخدمه بالعطاء ، والأذى أن يعيره بالفقر . وقيل المنّ أنْ يتكبر عليه لأجل عطائه ، والأذى أن ينتهره أو يوبخه بالمسألة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم[1] « لَا يَقْبَلُ اللهُ صَدَقَةَ مَنَّانٍ »

وعندى أن المنّ له أصل ومغرس ، وهو من أحوال القلب وصفاته ، ثم يتفرع عليه أحوال ظاهرة على اللسان والجوارح ، فأصله أن يرى نفسه محسناً إليه ومنعماً عليه ، وحقه أن يرى الفقير محسناً إليه بقبول حق الله عز وجل منه الذى هو طهرته ونجاته من النار ، وأنه لو لم يقبله لبقى مرتهناً به ، فحقه أن يتقلد منة الفقير إذ جعل كفه نائباً عن الله عز وجل فى قبض حق الله عز وجل ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:[2] « إن الصَّدَقَةَ تَقَعُ بِيَدِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ قَبْلَ أَنْ تَقَعَ فِي يَدِ السَّائِلِ » . فليتحقق أنه مسلم إلى الله عز وجل حقه ، والفقير آخذ من الله تعالى رزقه بعد صيرورته إلى الله عز وجل ، ولو كان عليه دين لإنسان فأحال به عبده أو خادمه الذى هو متكفل برزقه لكان اعتقاد مؤدى الدين كون القابض تحت منته سفهاً وجهلا ، فإن المحسن إليه هو المتكفل برزقه ، أما هو فإنما يقضى الذى لزمه بشراء ما أحبه فهو ساع فى حق نفسه فلم يمنّ به على غيره ، ومهما عرف المعانى الثلاثة التى ذكرناها فى فهم وجوب الزكاة أو أحدها لم ير نفسه محسناً إلا إلى نفسه ، إما ببذل ماله إظهاراً لحب الله تعالى ، أو تطهيراً لنفسه عن رذيلة البخل : أو شكراً على نعمة المال طلباً للمزيد ؛ وكيفما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يرى نفسه محسناً إليه ، ومهما حصل هذا الجهل بأن رأى

---

(١) حديث لا يقبل الله صدقة منان : هو كالذى قبله بحديث لم أجده

(٢) حديث ان الصدقة تقع بيد الله قبل أن تقع فى يد السائل : قط فى الافراد من حديث ابن عباس وقال غريب من حديث عكرمة عنه ورواه هق فى الشعب بسند ضعيف

* البقرة : ٢٦٤

نفسه محسناً إليه تفرع منه على ظاهره ما ذكر فى معنى المنّ ، وهو التحدث به ، وإظهاره ، وطلب المكافأة منه ، بالشكر والدعاء ، والخدمة والتوقير ، والتعظيم والقيام بالحقوق ، والتقديم فى المجالس ، والمتابعة فى الأمور . فهذه كلها ثمرات المنة : ومعنى المنة فى الباطن ما ذكرناه

وأما الأذى فظاهره التوبيخ والتعيير وتخشين الكلام وتقطيب الوجه وهتك الستر بالإظهار وفنون الاستخفاف ، وباطنه وهو منبعه أمران (أحدهما) كراهيته لرفع اليد عن المال وشدة ذلك على نفسه ، فان ذلك يضيق الخلق لامحالة و (الثانى) رؤيته أنه خير من الفقير ، وأن الفقير لسبب حاجته أخس منه ، وكلاهما منشؤه الجهل . أما كراهية تسليم المال فهو حمق ، لأن من كره بذل درهم فى مقابلة مايساوى ألفا فهو شديد الحمق ، ومعلوم أنه يبذل المال لطلب رضا الله عز وجل والثواب فى الدار الآخرة ، وذلك أشرف مما بذله أو يبذله لتطهير نفسه عن رذيلة البخل أو شكراً لطلب المزيد ، وكيفما فرض فالكراهة لاوجه لها . وأما الثانى فهو أيضا جهل ، لأنه لو عرف فضل الفقر على الغنى وعرف خطر الأغنياء لما استحقر الفقير ، بل تبرك به وتمنى درجته ، فصلحاء الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة عام ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم « هُمُ الْأَخْسَرُونَ وَربِّ الْكَعْبَةِ . فَقَالَ أَبُوذَرٍّ : مَنْ هُمْ ؟ قَالَ : هُمُ الْأَكْثَرُونَ اموَالاً » الحديث . ثم كيف يستحقر الفقير وقد جعله الله تعالى متجرة له ، إذ يكتسب المال بجهده ، ويستكثر منه ، ويجتهد فى حفظه بمقدار الحاجة . وقد ألزم أن يسلم إلى الفقير قدر حاجته ، ويكف عنه الفاضل الذى يضره لو سلم إليه . فالغنى مستخدم للسعى فى رزق الفقير ، ويتميز عليه بتقليد المظالم والتزام المشاق وحراسة الفضلات ، إلى أن يموت فيأكله أعداؤه ، فاذن مهما انتقلت الكراهية وتبدلت بالسرور والفرح بتوفيق الله تعالى له فى أداء الواجب وتقبيضه الفقير حتى يخلصه عن عهدته بقبوله منه ، انتفى الأذى والتوبيخ وتقطيب الوجه ، وتبدل بالاستبشار والثناء وقبول المنة . فهذا منشأ المن والأذى

فإن قلت : فرؤيته نفسه فى درجة المحسن أمر غامض ، فهل من علامة يمتحن بها قلبه فيعرف بها أنه لم ير نفسه محسنا ؟

فاعلم أن له علامة دقيقة واضحة ، وهو أن يقدر أن الفقير لو جنى عليه جناية أومالأ عدوا له عليه مثلا ، هل كان يزيد استنكاره واستبعاده له على استنكاره قبل التصدق ؟ فان زاد لم تخل صدقته عن شائبة المنة ، لأنه توقع بسببه مالم يكن يتوقعه قبل ذلك

فان قلت : فهذا أمر غامض ولا ينفك قلب أحد عنه ، فما دواؤه ؟

فاعلم أن له دواء باطنا ودواء ظاهرا ، أما الباطن فالمعرفة بالحقائق التي ذكرناها في فهم الوجوب ، وأن الفقير هو المحسن اليه في تطهيره بالقبول. وأما الظاهر فالأعمال التي يتعاطاها متقلد المنة ، فإن الأفعال التي تصدر عن الأخلاق تصبغ القلب بالأخلاق كما سيأتي أسراره في الشطر الأخير من الكتاب ،ولهذا كان بعضهم يضع الصدقة بين يدي الفقير ويتمثل قائما بين يديه يسأله قبولها حتى يكون هو في صورة السائلين ، وهو يستشعر مع ذلك كراهية لو ردّهُ وكان بعضهم يبسط كفه ليأخذ الفقير من كفه وتكون يد الفقير هي العليا

وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنهما إذا أرسلتا معروفا إلى فقير قالتا للرسول : احفظ مايدعو به ، ثم كانتا تردان عليه مثل قوله وتقولان : هذا بذلك حتى تخلص لنا صدقتنا . فكانوا لا يتوقعون الدعاء لأنه شبه المكافأة ، وكانوا يقابلون الدعاء بمثله . وهكذا فعل عمر بن الخطاب وابنه عبد الله رضي الله عنهما ، وهكذا كان أرباب القلوب يداوون قلوبهم ولا دواء من حيث الظاهر إلا هذه الأعمال الدالة على التذلل والتواضع وقبول المنة ، ومن حيث الباطن المعارف التي ذكرناها ، هذا من حيث العمل وذلك من حيث العلم ، ولا يعالج القلب إلا بمعجون العلم والعمل. وهذه الشريطة من الزكوات تجري مجرى الخشوع من الصلاة وثبت ذلك بقوله صلى الله عليه وسلم: [1] « لَيْسَ لِلْمَرْءِ مِنْ صَلَاتِهِ إِلَّا مَا عَقَلَ مِنْهَا » وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم « لَا يَتَقَبَّلُ اللهُ صَدَقَةَ مَنَّانٍ » وكقوله عز وجل : (لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى *) وأما فتوى الفقيه بوقوعها موقعها وبراءة ذمته عنها دون هذا الشرط فحديث آخر ، وقد أشرنا إلى معناه في كتاب الصلاة

---

(١) حديث ليس للمؤمن من صلاته إلا ماعقل منها : تقدم في الصلاة

* البقرة : ٢٦٤

الوظيفة السادسة: أن يستصغر العطية فانه إن استعظمها أعجب بها، والعجب من المهلكات وهو محبط للأعمال، قال تعالى: (وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا *) ويقال إن الطاعة كلما استصغرت عظمت عند الله عز وجل، والمعصية كلما استعظمت صغرت عند الله عز وجل. وقيل: لايتم المعروف الابثلاثة أمور: تصغيره، وتعجيله، وستره. وليس الاستعظام هو المنّ والأذى، فانه لو صرف ماله إلى عمارة مسجد أو رباط أمكن فيه الاستعظام، ولا يمكن فيه المنّ والاذى، بل العجب والاستعظام يجرى فى جميع العبادات

ودواؤه علم وعمل، أما العلم فهو أن يعلم أن العشر أو ربع العشر قليل من كثير، وأنه قد قنع لنفسه بأخس درجات البذل كما ذكرنا فى فهم الوجوب، فهو جدير بأن يستحيي منه، فكيف يستعظمه وإن ارتقى إلى الدرجة العليا: فبذل كل ماله أو أكثره فليتأمل أنه من أين له المال وإلى ما ذا يصرفه، فالمال لله عز وجل، وله المنة عليه إذ أعطاه ووفقه لبذله، فلم يستعظم فى حق الله تعالى ماهو عين حق الله سبحانه، وإن كان مقامه يقتضى أن ينظر إلى الآخرة وأنه يبذله للثواب فلم يستعظم بذل ماينتظر عليه أضعافه. وأما العمل فهو أن يعطيه عطاء الخجل من بخله بامساك بقية ماله عن الله عز وجل، فتكون هيئته الانكسار والحياء، كهيئة من يطالب برد وديعة فيمسك بعضها ويرد البعض، لأن المال كله لله عز وجل، وبذل جميعه هو الأحب عند الله سبحانه، وإنما لم يأمر به عبده لأنه يشق عليه بسبب بخله، كما قال الله عز وجل: (فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا *)

الوظيفة السابعة: أن ينتقى من ماله أجوده وأحبه إليه وأجله وأطيبه، فان الله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبا، وإذا كان المخرج من شبهة فربما لا يكون ملكا له مطلقا فلا يقع الموقع وفى حديث أبان عن أنس بن مالك[1] « طُوبَى لِعَبْدٍ أَنْفَقَ مِنْ مَالٍ اكْتَسَبَهُ مِنْ غَيْرِ مَعْصِيَةٍ » وإذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الأدب، إذ قد يمسك الجيد لنفسه أو لعبده أو لأهله، فيكون قد آثر على الله عز وجل غيره، ولو فعل هذا بضيفه وقدم إليه أردأ طعام

(١) حديث أنس طوبى لعبد أنفق من مال اكتسبه من غير معصية عدو البزار

* التوبة: ٢٥ محمد: ٣٧

فى بيته لأوغر بذلك صدره . هـذا إن كان نظره إلى الله عز وجـل ، وإن كان نظره إلى نفسه وثوابه فى الآخرة فليس بعاقل من يؤثر غيره على نفسـه ، وليس له من ماله إلاما تصدق به فأبقى ، أو أكل فأفنى ، والذى يأكله قضـاء وَطَر فى الحال ، فليس من العقل قصر النظر على العاجلة وترك الادخار . وقد قال الله تعالى : (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ *) أى لاتأخذوه إلامع كراهية وحياء وهو معنى الإغماض فلا تؤثروا به ربكم . وفى الخبر [١] « سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ » وذلك بأن يخرجه الانسان وهو من أحل ماله وأجوده ، فيصدر ذلك عن الرضا والفرح بالبذل ، وقد يخرج مائة ألف درهم مما يكره من ماله فيدل ذلك على أنه ليس يؤثر الله عز وجـل بشيء مما يحبه ، وبذلك ذم الله تعالى قوما جعلوا لله مايكرهون ، فقال تعالى : (وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لَا *) وقف بعض القراء على النفى تكذيبا لهم ، ثم ابتدأ وقال : (جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ *) أى كسب لهم جعلهم لله مايكرهون النار

الوظيفة الثامنة : أن يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ، ولا يكتفى بأن يكون من عموم الأصناف الثمانية ، فان فى عمومهم خصوص صفات ، فليراع خصوص تلك الصفات ، وهى ستة:

الأولى : أن يطلب الأتقياء المعرضين عن الدنيا المتجردين لتجارة الآخرة ، قال صلى الله عليه وسلم [٢] « لَا تَأْكُلْ إِلَّا طَعَامَ تَقِيٍّ وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ » . وهـذا لأن التقى يستعين به على التقوى ، فتكون شريكا له فى طاعته باعانتك إياه . وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « أَطْعِمُوا طَعَامَكُمُ الْأَتْقِيَاءَ وَأَوْلُوا مَعْرُوفَكُمُ الْمُؤْمِنِينَ » وفى لفظ آخر [٤] « أَضِفْ بِطَعَامِكَ مَنْ تُحِبُّهُ فِى اللهِ تَعَالَى » . وكان بعض العلماء يؤثر بالطعام فقراء الصوفية دون غيرهم

---

(١) حديث سبق درهم مائة ألف : ن حب وصححه من حديث أبى هريرة ،

(٢) حديث لاتأكل الاطعام تقى ولا يأكل طعامك إلا تقى : د ت من حديث أبى سعيد بلفظ لاتصحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى

(٣) حديث أطعموا طعامكم الأتقياء وأولوا معروفكم المؤمنين : ابن المبارك فى البر والصلة من حديث أبى سعيد الخدرى قال ابن طاهر غريب فيه مجهول

(٤) حديث أضف بطعامك من يحبه الله : ابن المبارك أنبأنا جويبر عن الضحاك مرسلا

* البقرة : ٢٦٧ * النحل : ٦٢

فقيل له : لو عممت بمعروفك جميع الفقراء لكان أفضل ، فقال : لا هؤلاء قوم هممهم لله سبحانه فإذا طرقتهم فاقة تشتت همّ أحدهم فلأن أردهمة واحد إلى الله عز وجل أحب إلى من أن أعطى ألفا ممن همته الدنيا ، فذكر هذا الكلام للجنيد فاستحسنه ، وقال هذا : ولى من أولياء الله تعالى ، وقال : ماسمعت منذ زمان كلاما احسن من هذا ، ثم حكى أن هذا الرجل اختل حاله وهم بترك الحانوت فبعث إليه الجنيد مالا وقال : اجعله بضاعتك ولا تترك الحانوت فان التجارة لا تضر مثلك . وكان هذا الرجل بقالا لا يأخذ من الفقراء ثمن ما يبتاعون منه

الصفة الثانية : أن يكون من أهل العلم خاصة ، فان ذلك إعانة له على العلم ، والعلم أشرف العبادات مهما صحت فيه النية . وكان ابن المبارك يخصص بمعروفه أهل العلم ، فقيل له : لو عممت ! فقال : إنى لا أعرف بعد مقام النبوّة أفضل من مقام العلماء ، فاذا اشتغل قلب أحدهم بحاجة لم يتفرغ للعلم ولم يقبل على التعلم ، فتفريغهم للعلم أفضل

الصفة الثالثة : أن يكون صادقا فى تقواه وعامه بالتوحيد ، وتوحيده أنه إذا أخذ العطاء حمد الله عز وجل وشكره ورأى أن النعمة منه ولم ينظر إلى واسطة . فهذا هو أشكر العباد لله سبحانه ، وهو أن يرى أن النعمة كلها منه . وفى وصية لقمان لابنه : لا تجعل بينك وبين الله منعما ، وأعدد نعمة غيره عليك مغرما . ومن شكر غير الله سبحانه فكأنه لم يعرف المنعم ولم يتيقن أن الواسطة مقهور مسخر بتسخير الله عز وجل ، إذ سلط الله تعالى عليه دواعى الفعل ويسر له الأسباب فأعطى وهو مقهور ، ولو أراد تركه لم يقدر عليه بعد أن ألقى الله عز وجل فى قلبه أن صلاح دينه ودنياه فى فعله . فمهما قوى الباعث أوجب ذلك جزم الإرادة وانتهاض القدرة ، ولم يستطع العبد مخالفة الباعث القوى الذى لا تردد فيه ، والله عز وجل خالق للبواعث ومهيجها ، ومزيل للضعف والتردد عنها ، ومسخر القدرة للانتهاض بمقتضى البواعث ، فمن تيقن هذا لم يكن له نظر إلا إلى مسبب الأسباب ، وتيقن مثل هذا العبد أنفع للمعطى من ثناء غيره وشكره ، فذلك حركة لسان يقل فى الأكثر جدواه ، وإعانة مثل هذا العبد الموحد لا تضيع . وأما الذى يمدح بالعطاء ويدعو بالخير فسيذم بالمنع ، ويدعو بالشر عند الإيذاء ، وأحواله متفاوتة .

وقد روى « أَنَّهُ صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [(١)] بَعَثَ مَعْرُوفًا إِلَى بَعْضِ الْفُقَرَاءِ وَقَالَ لِلرَّسُولِ: احْفَظْ مَا يَقُولُ فَلَمَّا أَخَذَ قَالَ الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَا يَنْسَى مَنْ ذَكَرَهُ وَلَا يُضَيِّعُ مَنْ شَكَرَهُ ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ لَمْ تَنْسَ فُلَانًا ـ يَعْنِي نَفْسَهُ ـ فَاجْعَلْ فُلَانًا لَا يَنْسَاكَ يَعْنِي بِفُلَانٍ نَفْسَهُ فَأُخْبِرَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِذَلِكَ فَسُرَّ وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : عَلِمْتُ أَنَّهُ يَقُولُ ذَلِكَ » فانظر كيف قصر التفاته على الله وحده ! وقال صلى الله عليه وسلم [(٢)] لرجل : تُبْ ، فَقَالَ : أَتُوبُ إِلَى اللهِ وَحْدَهُ وَلَا أَتُوبُ إِلَى مُحَمَّدٍ ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « عَرَفَ الْحَقَّ لِأَهْلِهِ » [(٣)] ولما نزلت براءة عائشة رضى الله عنها فى قصة الإفك قال أبو بكر رضى الله عنه قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت : والله لَا أَفْعَلُ ولا أَحْمَدُ إِلَّا اللهَ ، فقال صلى الله عليه وسلم: دَعْهَا يَا أَبَا بَكْرٍ . وفى لفظ آخر: أنها رضى الله عنها قالت لأبى بكر رضى الله عنه : بِحَمْدِ اللهِ لَا بِحَمْدِكَ وَلَا بِحَمْدِ صَاحِبِكَ ، فَلَمْ يُنْكِرْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم عليها ذلك ، مع أن الوحى وصل إليها على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورؤية الأشياء من غير الله سبحانه وصف الكافرين ،

---

(١) حديث بعث معروفا إلى بعض الفقراء، وقال للرسول احفظ ما يقول فلما أخذه قال الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ـ الحديث : لم أجد له أصلا إلا فى حديث ضعيف من حديث ابن عمر روى ابن منده فى الصحابة أوله ولم يسق هـذه القطعة التى أوردها المصنف وسمى الرجل حديرا فقد روينا من طريق البيهقى أنه وصل لحدير من أبى الدرداء شيء فقال اللهم انك لم تنس حديرا فاجعل حديرا لا ينساك وقيل أن هذا آخر لا صحبة له يكنى أبا جريرة وقد ذكره ابن حبان فى ثقات التابعين

(٢) حديث قال لرجل تب فقال أتوب الى الله ولا أتوب الى محمد ـ الحديث : أحمد وطب من حديث الأسود بن سريع بسند ضعيف

(٣) حديث لما نزلت براءة عائشة قال أبو بكر قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : د من حديث عائشة بلفظ فقال أبواى قومى فقبلى رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أحمد الله لا اياكما وللبخارى تعليقا فقال أبواى قومى اليه فقلت لا والله لاأقوم اليه ولا أحمده ولا أحمدكما ولـكن أحمد الله وله ولمسلم فقالت لى أمى قومى اليه فقلت لا والله لا أقوم اليه ولا أحمد الا الله وللطبرانى فقالت بحمد الله لا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عباس فقالت لا بحمدك ولا بحمد صاحبك وله من حديث ابن عمر فقال أبو بكر قومى فاحتضنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لا والله لاأدنو منه ـ الحديث : وفيه أنها قالت للنبى صلى الله عليه وسلم بحمد الله لا بحمدك

قال الله تعالى : (وَإِذَا ذُكِرَ اللهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ *) ومن لم يصفُ باطنه عن رؤية الوسائط إلا من حيث أنهم وسائط فكأنه لم ينفك عن الشرك الخفى سره ، فليتق الله سبحانه فى تصفية توحيده عن كدورات الشرك وشوائبه

الصفة الرابعة : أن يكون مستترا مخفيا حاجته لا يكثر البث والشكوى ، أو يكون من أهل المروءة ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته ، فهو يتعيش فى جلباب التجمل ، قال الله تعالى : (يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا *) أى لا يلحون فى السؤال لأنهم أغنياء بيقينهم ، أعزة بصبرهم . وهذا ينبغى أن يطلب بالتفحص عن أهل الدين فى كل محلة ، ويستكشف عن بواطن أحوال أهل الخير والتجمل ، فثواب صرف المعروف اليهم أضعاف مايصرف إلى المجاهرين بالسؤال

الصفة الخامسة : أن يكون معيلا أو محبوسا بمرض أو سبب من الأسباب ، فيوجد فيه معنى قوله عز وجل (لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللهِ *) أى حبسوا فى طريق الآخرة بعلة أو ضيق معيشة أو إصلاح قلب لا يستطيعون ضربا فى الأرض لأنهم مقصوصو الجناح مقيدو الاطراف . فبهذه الأسباب كان عمر رضى الله عنه يعطى أهل البيت القطيع من الغنم العشرة فما فوقها ، « وَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (1) يُعْطِي الْعَطَاءَ عَلَى مِقْدَارِ الْعَيْلَةِ » وسئل عمر رضى الله عنه عن جهد البلاء فقال : كثرة العيال وقلة المال

الصفة السادسة : أن يكون من الأقارب وذوى الأرحام ، فتكون صدقة وصلة رحم ، وفى صلة الرحم من الثواب ما لا يحصى ، قال علىّ رضى الله عنه : لأن أصل أخا من إخوانى بدرهم أحب إلى من أن أتصدق بعشرين درهما ، ولأن أصله بعشرين درهما أحب إلى من أن أتصدق بمائه درهم ، ولأن أصله بمائة درهم أحب إلى من أن أعتق رقبة . والأصدقاء وإخوان الخير أيضا يقدمون على المعارف كما يتقدم الأقارب على الأجانب . فليراع هذه الدقائق

(1) حديث كان يعطى العطاء على مقدار العيلة: لم أر له أصلا ولابى داود من حديث عوف بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا أتاه الفيء قسمه فى يومه وأعطى الآهل حظين وأعطى العزب حظا

* الزمر : ٤٥ * البقرة : ٢٧٣

فهذه هى الصفات المطلوبة ، وفى كل صفة درجات ، فينبغى أن يطلب أعلاها ، فإن وجد من جمع جملة من هذه الصفات فهى الذخيرة الكبرى والغنيمة العظمى ، ومهما اجتهد فى ذلك وأصاب فله أجران ، وإن أخطأ فله أجر واحد ، فانّ أحَدَ أجْرَيه فى الحال تطهيره نفسه عن صفة البخل وتأكيد حب الله عز وجل فى قلبه واجتهاه فى طاعته . وهذه الصفات هى التى تقوى فى قلبه فتشوّقه إلى لقاء الله عز وجل . والأجر الثانى : مايعود اليه من فائدة دعوة الآخذ وهمته ، فإن قلوب الأبرار لها آثار فى الحال والمآل ، فان أصاب حصل الاجران ، وإن أخطا حصل الاوّل دون الثانى فبهذا يضاعف أجر المصيب فى الاجتهاد هاهنا وفى سائر المواضع ، والله أعلم

الفصل الثالث

فى القابض وأسباب استحقاقه ووظائف قبضه

بيان أسباب الاستحقاق

اعلم أنه لايستحق الزكاة إلا حر مسلم ليس بهاشمى ولا مطلبى اتصف بصفة من صفات الأصناف الثمانية المذكورين فى كتاب الله عز وجل. ولا تصرف زكاة إلى كافر، ولا إلى عبد، ولا إلى هاشمى ، ولا إلى مطلبى . أما الصبى والمجنون فيجوز الصرف اليهما إذا قبض وليهما . فلنذكر صفات الأصناف الثمانية

الصنف الأول : الفقراء :

والفقير : هو الذى ليس له مال ولا قدرة له على الكسب ، فإن كان معه قوت يومه وكسوة حاله فليس بفقير ولكنه مسكين ، وان كان معه نصف قوت يومه فهو فقير ، وإن كان معه قميص وليس معه منديل ولا خف ولا سراويل ولم تكن قيمة القميص بحيث تفى بجميع ذلك كما يليق بالفقراء فهو فقير ، لانه فى الحال قد عدم ماهو محتاج اليه وما هو عاجز عنه ، فلا ينبغى أن يشترط فى الفقير أن لا يكون له كسوة سوى ساتر العورة ، فان هذا غلو ، والغالب انه لا يوجد مثله ، ولا يخرجه عن الفقر كونه معتادا للسؤال ، فلا يجعل السؤال كسبا ، بخلاف مالو قدر على كسب فان ذلك يخرجه عن الفقر ، فان قدر على الكسب بآلة فهو فقير ، ويجوز أن يشترى له آلة ، وإن قدر على كسب لا يليق بمروءته وبحال مثله فهو فقير

وإن كان متفقها ويمنعه الاشتغال بالكسب عن التفقه فهو فقير ولا تعتبر قدرته ، وإن كان متعبدا يمنعه الكسب من وظائف العبادات وأوراد الاوقات فليكتسب ، لان الكسب أولى من ذلك ، قال صلى الله عليه وسلم[1] « طَلَبُ الْحَلَالِ فَرِيضَةٌ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ » وأراد به السعى فى الاكتساب . وقال عمر رضى الله عنه : كسب فى شبهة خير من مسألة ، وإن كان مكتفيا بنفقة أبيه أو من تجب عليه نفقته فهذا اهون من الكسب ، فليس بفقير

الصنف الثانى : المساكين

والمسكين : هو الذى لا يفى دخله بخرجه ، فقد يملك ألف درهم وهو مسكين ، وقد لا يملك إلا فأسا وحبلا وهو غنى ، والدويرة التى يسكنها والثوب الذى يستره على قدر حاله لا يسلبه اسم المسكين ، وكذا أثاث البيت ، أعنى ما يحتاج إليه ، وذلك ما يليق به ، وكذا كتب الفقه لا تخرجه عن المسكنة ، وإذا لم يملك إلا الكتب فلا تلزمه صدقة الفطر ، وحكم الكتاب حكم الثوب ، وأثاث البيت فانه محتاج إليه ، ولكن ينبغى أن يحتاط فى قطع الحاجة بالكتاب ، فالكتاب محتاج إليه لثلاثة أغراض : التعليم ، والاستفادة ، والتفرج بالمطالعة . أما حاجة التفرج فلا تعتبر كاقتناء كتب الأشعار وتواريخ الاخبار وأمثال ذلك مما لا ينفع فى الآخرة ولا يجرى فى الدنيا إلا مجرى التفرج والاستئناس ، فهذا يباع فى الكفارة وزكاة الفطر ، ويمنع اسم المسكنة . وأما حاجة التعليم إن كان لأجل الكسب كالمؤدب والمعلم والمدرس بأجرة فهذه آلته ، فلا تباع فى الفطرة كأدوات الخياط وسائر المحترفين ، وإن كان يدرس للقيام بفرض الكفاية فلا تباع ولا يسلبه ذلك اسم المسكين لأنها حاجة مهمة . وأما حاجة الاستفادة والتعلم من الكتاب كادخاره كتب طب ليعالج بها نفسه أو كتاب وعظ ليطالع فيه ويتعظ به ، فان كان فى البلد طبيب وواعظ فهذا مستغنى عنه ، وإن لم يكن فهو محتاج إليه ، ثم ربما لا يحتاج إلى مطالعة الكتاب إلا بعد مدة ، فينبغى أن يضبط مدة الحاجة . والأقرب أن يقال : ما لا يحتاج إليه فى السنة فهو مستغنى عنه ، فان من فضل من قوت يومه شىء لزمته الفطرة ، فاذا قدرنا القوت باليوم

---

(١) حديث طلب الحلال فريضة بعد الفريضة : الطبرانى والبيهقى فى شعب الايمان من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

لحاجة أثاث البيت ، وثياب البدن ينبغى أن تقدر بالسنة ، فلا تباع ثياب الصيف فى الشتاء والكتب بالثياب والأثاث أشبه ،وقد يكون له من كتاب نسختان فلا حاجة إلى إحداهما فان قال إحداهما أصح والأخرى أحسن فانا محتاج اليهما ، قلنا : اكتف بالأصح وبع الأحسن ودع التفرج والترفه ، وإن كان نسختان من علم واحد إحداهما بسيطة والأخرى وجيزة فان كان مقصوده الاستفادة فليكتف بالبسيط ، وإن كان قصده التدريس فيحتاج اليهما إذ فى كل واحدة فائدة ليست فى الأخرى ، وأمثال هذه الصور لاتنحصر ، ولم يتعرض له فى فن الفقه ، وإنما أوردناه لعموم البلوى والتنبيه بحسن هذا النظر على غيره ، فان استقصاء هذه الصور غير ممكن ، إذ يتعدى مثل هذا النظر فى أثاث البيت فى مقدارها وعددها ونوعها وفى ثياب البدن وفى الدار وسعتها وضيقها ، وليس لهذه الأمور حدود محدودة ولكن الفقيه يجتهد فيها برأيه ،ويقرب فى التحديدات بما يراه ، ويقتحم فيه خطر الشبهات، والمتورع يأخذ فيه بالأحوط ويدع مايريبه إلى مالا يريبه ، والدرجات المتوسطة المشكلة بين الأطراف المتقابلة الجلية كثيرة ولا ينجى منها إلا الاحتياط . والله أعلم

الصنف الثالث : العاملون

وهم السعاة الذين يجمعون الزكوات سوى الخليفة والقاضى . ويدخل فيه العريف والكاتب والمستوفى والحافظ والنقال ، ولا يزاد واحد منهم على أجرة المثل ، فان فضل شىء من الثمن عن أجر مثلهم رد على بقية الأصناف ، وإن نقص كمل من مال المصالح

الصنف الرابع : المؤلفة قلوبهم على الإسلام

وهم الأشراف الذين أسلموا وهم مطاعون فى قومهم وفى إعطائهم تقريرهم على الإسلام وترغيب نظائرهم وأتباعهم

الصنف الخامس : المكاتبون

فيدفع إلى السيد سهم المكاتب ، وإن دفع إلى المكاتب جاز ، ولا يدفع السيد زكاته إلى مكاتب نفسه لأنه يعد عبداً له

الصنف السادس : الغارمون

والغارم هو الذى استقرض فى طاعة أو مباح وهو فقير ، فإن استقرض فى معصية

فلا يعطى إلا إذا تاب، وإن كان غنيا لم يقض دينه إلا إذا كان قد استقرض لمصلحة أو إطفاء فتنة

الصنف السابع : الغزاة الذين ليس لهم مرسوم فى ديوان المرتزقة

فيصرف اليهم سهم وإن كانوا أغنياء إعانة لهم على الغزو

الصنف الثامن : ابن السبيل

وهو الذى شخص من بلده ليسافر فى غير معصية أو اجتاز بها ، فيعطى إن كان فقيرا ، وإن كان له مال ببلد آخر أعطي بقدر بلغته

فإن قلت : فبم تعرف هذه الصفات

قلنا : أما الفقر والمسكنة فبقول الآخذ ، ولا يطالب ببينة ، ولا يحلف ، بل يجوز اعتماد قوله إذا لم يعلم كذبه . وأما الغزو والسفر فهو أمر مستقبل فيعطى بقوله إنى غاز ، فان لم يف به استرد . وأما بقية الأصناف فلا بد فيها من البينة ، فهذه شروط الاستحقاق . وأما مقدار ما يصرف إلى كل واحد فسيأتى

بيان وظائف القابض

وهى خمسة

الأولى : أن يعلم أن الله عز وجل أوجب صرف الزكاة اليه ليكفى همه ويجعل همومه هما واحدا، فقد تعبد الله عز وجل الخلق بأن يكون همهم واحدا وهو الله سبحانه واليوم الآخر وهو المعنى بقوله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ *) ولكن لما اقتضت الحكمة أن يسلط على العبد الشهوات والحاجات وهى تفرق همه اقتضى الكرم إفاضة نعمة تكفى الحاجات ، فأكثر الأموال وصبها فى أيدى عباده لتكون آلة لهم فى دفع حاجاتهم ووسيلة لتفرغهم لطاعاتهم ، فمنهم من أكثر ماله فتنة وبلية فأقحمه فى الخطر ، ومنهم من أحبه فحماه عن الدنيا كما يحمى المشفق مريضه ، فزوى عنه فضولها ، وساق اليه قدر حاجته على يد الأغنياء ليكون سهل الكسب ، والتعب فى الجمع والحفظ عليهم ، وفائدته تنصب إلى الفقراء ، فيتجردون لعبادة الله والاستعداد لما بعد الموت ، فلا تصرفهم عنها فضول الدنيا ، ولا تشغلهم عن التأهب الفاقة ، وهذا منتهى النعمة . فحق الفقير أن يعرف قدر نعمة الفقر ،

* الذاريات : ٥٦

ويتحقق أن فضل الله عليه فيما زواه عنه أكثر من فضله فيما أعطاه ، كما سيأتى فى كتاب الفقر تحقيقه وبيانه إن شاء الله تعالى . فليأخذ ما يأخذه من الله سبحانه رزقا وعونا له على الطاعة . ولتكن نيته فيه أن يتقوى به على طاعة الله ، فإن لم يقدر عليه فليصرفه إلى ماأباحه الله عز وجل ، فان استعان به على معصية الله كان كافرا لأنعم الله عز وجل ، مستحقا للبعد والمقت من الله سبحانه

الثانية : أن يشكر المعطى ويدعوله ويثنى عليه ، ويكون شكره ودعاؤه بحيث لايخرجه عن كونه واسطة ، ولكنه طريق وصول نعمة الله سبحانه إليه ، وللطريق حق من حيث جعله الله طريقا وواسطة ، وذلك لاينافى رؤية النعمة من الله سبحانه ، فقد قال صلى الله عليه وسلم [١] « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ » وقد أثنى الله عز وجل على عباده فى مواضع على أعمالهم وهو خالقها وفاطر القدرة عليها ، نحو قوله تعالى : (نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ[١]) إلى غير ذلك ، وليقل القابض فى دعائه : طهر الله قلبك فى قلوب الأبرار ، وزكى عملك فى عمل الأخيار ، وصلى على روحك فى أرواح الشهداء . وقد قال صلى الله عليه وسلم [٢] « مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » ومن تمام الشكر أن يستر عيوب العطاء إن كان فيه عيب ، ولا يحقره ، ولا يذمه ، ولا يعيره بالمنع إذا منع ، ويفخم عند نفسه وعند الناس صنيعه ، فوظيفة المعطى الاستصغار ، ووظيفة القابض تقلد المنة والاستعظام ، وعلى كل عبد القيام بحقه ، وذلك لاتناقض فيه ، إذ موجبات التصغير والتعظيم تتعارض ، والنافع للمعطى ملاحظة أسباب التصغير ، ويضره خلافه ، والأخذ بالعكس منه : وكل ذلك لايناقض رؤية النعمة من الله عز وجل ، فإن من لايرى الواسطة واسطة فقد جهل وإنما المنكر أن يرى الواسطة أصلا

الثالثة : أن ينظر فيما يأخذه ، فان لم يكن من حل تورع عنه (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ[٢]) ولن يعدم المتورع عن الحرام فتوحا من الحلال ،

---

(١) حديث من لم يشكر الناس لم يشكر الله : ت وحسنه من حديث أبى سعيد وله ولأبى داود وابن حبان نحوه من حديث أبى هريرة وقال حسن صحيح

(٢) حديث من أسدى اليكم معروفا فكافئوه ــ الحديث : د ن من حديث ابن عمر بإسناد صحيح بلفظ من صنع

---

(١) ص : ٤٤ (٢) الطلاق : ٢ ، ٣

فلا يأخذ من أموال الأتراك والجنود وعمال السلاطين ومن أكثر كسبه من الحرام إلا إذا ضاق الأمر عليه وكان ما يسلم إليه لا يعرف له مالكا معينا فله أن يأخذ بقدر الحاجة ، فان فتوى الشرع فى مثل هذا أن يتصدق به على ماسيأتى بيانه فى كتاب الحلال والحرام ، وذلك إذا عجز عن الحلال ، فإذا أخذ لم يكن أخذه أخذ زكاة ، إذ لا يقع زكاة عن مؤديه وهو حرام

الرابعة : أن يتوقى مواقع الريبة والاشتباه فى مقدار ما يأخذه ، فلا يأخذ إلا المقدار المباح ، ولا يأخذ الا إذا تحقق أنه موصوف بصفة الاستحقاق ، فان كان يأخذه بالكتابة والغرامة فلا يزيد على مقدار الدين ، وإن كان يأخذ بالعمل فلا يزيد على أجرة المثل ، وإن أعطى زيادةً أبى وامتنع ، اذ ليس المال للمعطى حتى يتبرع به ، وإن كان مسافرا لم يزد على الزاد وكراء الدابة إلى مقصده ، وإن كان غازيا لم يأخذ الا ما يحتاج إليه للغزو خاصة من خيل وسلاح ونفقة ، وتقدير ذلك بالاجتهاد ، وليس له حدّ ، وكذا زاد السفر ، والورع ترك ما يريبه إلى مالا يريبه ، وإن أخذ بالمسكنة فلينظر أوّلا إلى أثاث بيته وثيابه وكتبه هل فيها ما يستغنى عنه بعينه أو يستغنى عن نفاسته ، فيمكن أن يبدل بما يكفى ويفضل بعض قيمته ، وكل ذلك إلى اجتهاده ، وفيه طرف ظاهر يتحقق معه انه مستحق ، وطرف آخر مقابل يتحقق معه أنه غير مستحق ، وبينهما أوساط مشتبهة ، ومن حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه . والاعتماد فى هذا على قول الآخذ ظاهرا

وللمحتاج فى تقدير الحاجات مقامات فى التضييق والتوسيع ، ولا تنحصر مراتبه . وميل الورع إلى التضييق ، وميل المتساهل إلى التوسيع ، حتى يرى نفسه محتاجاً إلى فنون من التوسع ، وهو ممقوت فى الشرع

ثم إذا تحققت حاجته فلا يأخذن مالا كثيراً ، بل ما يتمم كفايته من وقت أخذه إلى سنة . فهذا أقصى ما يرخص فيه من حيث إن السنة إذا تكررت تكررت أسباب الدخل ، ومن حيث « إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] ادَّخَرَ لِعِيَالِهِ قُوتَ سَنَةٍ » فهذا أقرب ما يحدّ به حدّ الفقير والمسكين . ولو اقتصر على حاجة شهره أو حاجة يومه فهو أقرب للتقوى

---

(١) حديث ادخر لعياله قوت سنة: أخرجاه من حديث عمر كان يعزل نفقة أهله سنة وللطبرانى فى الأوسط من حديث أنس كان اذا ادخر لأهله قوت سنة تصدق بما بقى قال الذهبى حديث منكر

ومذاهب العلماء فى قدر المأخوذ بحكم الزكاة والصدقة مختلفة ، فمن مبالغ فى التقليل إلى حد أوجب الاقتصار على قد قوت يومه وليلته ، وتمسكوا بماروى سهل بن الحنظلية « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] نَهَى عَنِ السُّؤَالِ مَعَ الْغِنَى فَسُئِلَ عَنْ غِنَاهُ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : غَدَاؤُهُ وَعَشَاؤُهُ » . وقال آخرون : يأخذ إلى حد الغنى . وحد الغنى نصاب الزكاة ، إذ لم يوجب الله تعالى الزكاة إلا على الاغنياء ، فقالوا له أن يأخذ بنفسه ولكل واحد من عياله نصاب زكاة . وقال آخرون : حد الغنى خمسون درهما أو قيمتها من الذهب ، لماروى ابن مسعود أنه صلى الله عليه وسلم [2] قال « مَنْ سَأَلَ وَلَهُ مَالٌ يُغْنِيهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَفِي وَجْهِهِ خُمُوشٌ » فسئل : وماغناه ؟ قال : خمسون درهما أوقيمتها من الذهب . وقيل راويه ليس بقوى . وقال قوم أربعون ، لمارواه عطاء بن يسار منقطعا أنه صلى الله عليه وسلم [3] قال « مَنْ سَأَلَ وَلَهُ أُوقِيَّةٌ فَقَدْ أَلْحَفَ فِي السُّؤَالِ » . وبالغ آخرون فى التوسيع فقالوا : له أن يأخذ مقدار مايشترى به ضيعة فيستغنى به طول عمره ، أو يهيىء بضاعة ليتجر بها ويستغنى بها طول عمره ، لأن هذا هو الغنى . وقد قال عمر رضى الله عنه : إذا أعطيتم فأغنوا . حتى ذهب قوم إلى أن من افتقر فله أن يأخذ بقدر ما يعود به إلى مثل حاله ولو عشرة آلاف درهم ، إلا إذا خرج عن حد الاعتدال [4] ولما شغل أبو طَلْحَةَ بستانه عن الصَّلاةِ قال جَعَلْتُهُ صَدَقَةً فقال صلى الله عليه وسلم « اجْعَلْهُ فِي قَرَابَتِكَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ » فأعطاه حسان وأباقتادة ، فحائط من نخل لرجلين كثير مغن . وأعطى عمر رضى الله عنه أعرابيا ناقة معها ظئرلها . فهذا ماحكى فيه

فأما التقليل إلى قوت اليوم أو الأوقية فذلك ورد فى كراهية السؤال والتردد على الأبواب ، وذلك مستنكر ، وله حكم آخر ، بل التجويز إلى أن يشترى ضيعة فيستغنى بها أقرب إلى الاحتمال ، وهو أيضا مائل إلى الإسراف

---

(١) حديث سهل بن الحنظلية فى النهى عن السؤال مع الغنى فيسال مايغنيه فقال غداؤه وعشاؤه : د حب بلفظ من سأل وله ما يغنيه فانما يستكثر من جمر جهنم ـ الحديث :

(٢) حديث ابن مسعود من سأل وله ما يغنيه جاء يوم القيامة وفى وجهه خموش ـ الحديث : أصحاب السنن وحسنه ت وضعفه النسائى والخطابى

(٣) حديث عطاء بن يسار منقطعا من سأل وله أوقية فقد ألحف فى السؤال : د ن من رواية عطاء عن رجل من بنى أسد متصلا وليس بمنقطع كما ذكر المصنف لأن الرجل صحابى فلا يضر عدم تسميته وأخرجه د ن حب من حديث أبى سعيد

(٤) حديث لما شغل أبا طلحة بستانه عن الصلاة قال جعلته صدقة : تقدم فى الصلاة

والأقرب إلى الاعتدال كفاية سَنَة ، فما وراءه فيه خطر ، وفيما دونه تضييق . وهذه الأمور إذا لم يكن فيها تقدير جزم بالتوقيف ، فليس للمجتهد الا الحكم بما يقع له ثم يقال للورع[1] « اسْتَفْتِ قَلْبَكَ وَإِنْ أَفْتَوْكَ وَأَفْتَوْكَ » كما قاله صلى الله عليه وسلم ، إذ الاثم حِزَازُ القلوب ، فإذا وَجد القابض فى نفسه شيئا مما يأخذه فليتق الله فيه ولا يترخص تعللا بالفتوى من علماء الظاهر ، فان لفتواهم قيودا ومطلقات من الضرورات ، وفيها تخمينات واقتحام شبهات ، والتوقى من الشبهات من شيم ذوى الدين وعادات السالكين لطريق الآخرة

الخامسة : أن يسأل صاحب المال عن قدر الواجب عليه ، فان كان مايعطيه فوق الثمن فلا يأخذه منه فانه لايستحق مع شريكه الا الثمن ، فلينقص من الثمن مقدار مايصرف إلى اثنين من صنفه . وهذا السؤال واجب على أكثر الخلق ، فانهم لايراعون هذه القسمة إما لجهل وإما لتساهل . وانما يجوز ترك السؤال عن مثل هذه الأمور إذا لم يغلب على الظن احتمال التحريم . وسيأتى ذكر مظان السؤال ودرجة الاحتمال فى كتاب الحلال والحرام ، إن شاء الله تعالى .

الفصل الرابع

فى صدقة التطوع وفضلها وآداب أخذها وإعطائها

بيان فضيلة الصدقة

من الأخبار :

قوله صلى الله عليه وسلم :[2] « تَصَدَّقُوا وَلَوْ بِتَمْرَةٍ فَإِنَّهَا تَسُدُّ مِنَ الْجَائِعِ وَتطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ » وقال صلى الله عليه وسلم :[3] « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا

---

(١) حديث استفت قلبك وان أفتوك تقدم فى العلم

(٢) حديث تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد من الجائع وتطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار : ابن المبارك فى الزهد من حديث عكرمة مرسلا ولأحمد من حديث عائشة بسند حسن استترى من النار ولو بشق تمرة فانها تسد من الجائع مسدها من الشبعان ولابى يعلى والبزار من حديث أبى بكر اتقوا النار ولو بشق تمرة فانها تقوم العوج وتدفع ميتة السوء وتقع من الجائع موقعها من الشبعان وأسناده ضعيف وللترمذى و ن فى الكبرى و ه فى حديث معاذ والصدقة تطفىء الخطيئة كما يطفىء الماء النار

(٣) حديث اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجدوا فبكلمة طيبة أخرجاه من حديث عدى بن حاتم

فبكلمة طيبة » وقال صلى الله عليه وسلم: (١) « مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يَتَصَدَّقُ بِصَدَقَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا طَيِّبًا إِلَّا كَانَ اللهُ آخِذَهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَصِيلَهُ حَتَّى تَبْلُغَ التَّمْرَةُ مِثْلَ أُحُدٍ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٢) لأبي الدرداء « إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا ثُمَّ انْظُرْ إِلَى أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ فَأَصِبْهُمْ مِنْهُ بِمَعْرُوفٍ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « مَا أَحْسَنَ عَبْدٌ الصَّدَقَةَ إِلَّا أَحْسَنَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ الْخِلَافَةَ عَلَى تَرِكَتِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٤) « كُلُّ امْرِئٍ فِي ظِلِّ صَدَقَتِهِ حَتَّى يُقْضَى بَيْنَ النَّاسِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٥) « الصَّدَقَةُ تَسُدُّ سَبْعِينَ بَابًا مِنَ الشَّرِّ » وقال صلى الله عليه وسلم : « صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ عَزَّ وَجَلَّ »

وقال صلى الله عليه وسلم : (٦) « مَا الَّذِي أَعْطَى مِنْ سَعَةٍ بِأَفْضَلَ أَجْرًا مِنَ الَّذِي يَقْبَلُ مِنْ حَاجَةٍ » ولعل المراد به الذي يقصد من دفع حاجته التفرغ للدين ، فيكون مساويا للمعطى الذي يقصد بإعطائه عمارة دينه . وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم : (٧) « أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ ؟ قَالَ : أَنْ تَصَدَّقَ . وَأَنْتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَأْمُلُ الْبَقَاءَ وَتَخْشَى الْفَاقَةَ وَلَا تُمْهِلْ حَتَّى

---

(١) حديث مامن عبد مسلم يتصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله الا طيبا ــ الحديث : خ تعليقا و م ت ن في الكبرى واللفظ له ه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث قال لابي الدرداء اذا طبخت مرقة فأكثر ماءها ــ الحديث : م من حديث أبي ذر انه قال ذلك له وماذكره المصنف انه قال لابي الدرداء وهم

(٣) حديث ماأحسن عبد الصدقة الا أحسن الله الخلافة على تركته : ابن المبارك في الزهد من حديث ابن شهاب مرسلا باسناد صحيح واسنده الخطيب فيمن روي عن مالك من حديث ابن عمر وضعفه

(٤) حديث كل امرىء في ظل صدقته حتى يقضى بين الناس : حب ك وصححه على شرط م من حديث عقبة ابن عامر

(٥) حديث الصدقة تسد سبعين بابا من الشر : ابن المبارك في البر من حديث أنس بسند ضعيف أن الله ليدر أبالصدقة سبعين بابا من ميتة السوء

(٦) حديث ماالمعطى من سعة بأفضل أجرا من الذى يقبل من حاجة : حب في الضعفاء وطب في الأوسط من حديث أنس ورواه في الكبير من حديث ابن عمر بسند ضعيف

(٧) حديث سئل أي الصدقة أفضل ؟ قال ان تصدق وأنت صحيح شحيح ــ الحديث : أخرجاه من حديث أبي هريرة

إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ قُلْتَ لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ » وقد قال صلى الله عليه وسلم[1] يوماً لأصحابه : « تَصَدَّقُوا ، فَقَالَ رَجُلٌ إِنَّ عِنْدِي دِينَاراً ، فَقَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى نَفْسِكَ ، فَقَالَ إِنَّ عِنْدِي آخَرَ ، قَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى زَوْجَتِكَ ، قَالَ إِنَّ عِنْدِي آخَرَ ، قَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى وَلَدِكَ ، قَالَ إِنَّ عِنْدِي آخَرَ ، قَالَ : أَنْفِقْهُ عَلَى خَادِمِكَ ، قَالَ إِنَّ عِنْدِي آخَرَ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ أَبْصَرُ بِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم :[2] « لَا تَحِلُّ الصَّدَقَةُ لِآلِ مُحَمَّدٍ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ » وقَالَ :[3] « رُدُّوا مَذَمَّةَ السَّائِلِ وَلَوْ بِمِثْلِ رَأْسِ الطَّائِرِ مِنَ الطَّعَامِ » وقال صلى الله عليه وسلم :[4] « لَوْ صَدَقَ السَّائِلُ مَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّهُ »

وقال عيسى عليه السلام : من رد سائلا خائباً من بيته لم تغش الملائكة ذلك البيت سبعة أيام « وَكَانَ نَبِيُّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[5] لَا يَكِلُ خَصْلَتَيْنِ إِلَى غَيْرِهِ : كَانَ يَضَعُ طَهُورَهُ بِاللَّيْلِ وَيُخَمِّرُهُ ، وَكَانَ يُنَاوِلُ الْمِسْكِينَ بِيَدِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم :[6] « لَيْسَ الْمِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ وَاللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ ، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافاً » وقال صلى الله عليه وسلم[7] « مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَكْسُو مُسْلِماً إِلَّا كَانَ فِي حِفْظِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مَا دَامَتْ عَلَيْهِ مِنْهُ رُقْعَةٌ »

الآثار :

قال عروة بن الزبير : لقد تصدقت عائشة رضي الله عنها بخمسين ألفاً وإن درعها لمرقع .

---

(١) حديث قال يوما لأصحابه تصدقوا فقال رجل إن عندي دينارا فقال أنفقه على نفسك ـ الحديث : د ن واللفظ له وحب ك من حديث أبي هريرة وقد تقدم قبل بيسير

(٢) حديث لا تحل الصدقة لآل محمد ـ الحديث : م من حديث المطلب بن ربيعة

(٣) حديث ردوا مذمة السائل ولو بمثل رأس الطائر من الطعام : العقيلي في الضعفاء من حديث عائشة

(٤) حديث لو صدق السائل ما أفلح من رده : العقيلي في الضعفاء وابن عبد البر في التمهيد من حديث عائشة قال العقيلي لا يصح في هذا الباب شيء وللطبراني نحوه من حديث أبي أمامة بسند ضعيف

(٥) حديث كان لا يكل خصلتين إلى غيره ـ الحديث : الدارقطني من حديث ابن عباس بسند ضعيف ورواه ابن المبارك في البر مرسلا

(٦) حديث ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان ـ الحديث : متفق عليه من حديث عائشة

(٧) حديث ما من مسلم يكسو مسلما إلا كان في حفظ الله ـ الحديث : ت وحسنه و ك وصحح إسناده من حديث ابن عباس وفيه خالد بن طهمان ضعيف

وقال مجاهد فى قول الله عز وجل : (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً[١]) فقال : وهم يشتهونه . وكان عمر رضى الله عنه يقول : اللهم اجعل الفضل عند خيارنا لعلهم يعودون به على ذوى الحاجة منا . وقال عمر بن عبد العزيز : الصلاة تبلغك نصف الطريق، والصوم يبلغك باب الملك، والصدقة تدخلك عليه . وقال ابن أبى الجعد : إن الصدقة لتدفع سبعين باباً من السوء ، وفضل سرها على علانيتها بسبعين ضعفاً ، وإنها لتفك لحيى سبعين شيطانا . وقال ابن مسعود : إن رجلا عبدالله سبعين سنة ثم أصاب فاحشة فأحبط عمله ، ثم مر بمسكين فتصدق عليه برغيف فغفر الله له ذنبه ورد عليه عمل السبعين سنة . وقال لقمان لابنه : اذا أخطأت خطيئة فاعط الصدقة . وقال يحي بن معاذ . ما أعرف حبة تزن جبال الدنيا الا الحبة من الصدقة وقال عبد العزيز بن أبى رواد كان يقال ثلاثة من كنوز الجنة : كتمان المرض ، وكتمان الصدقة ، وكتمان المصائب ، وروى مسنداً . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : إن الأعمال تباهت فقالت الصدقة . أنا أفضلكن . وكان عبد الله بن عمر يتصدق بالسكر ويقول سمعت الله يقول : (لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ[٢]) والله يعلم أنى أحب السكر . وقال النخعى . اذا كان الشيء لله عز وجل لا يسرنى أن يكون فيه عيب وقال عبيد بن عمير : يحشر الناس يوم القيامة أجوع ما كانوا قط ، وأعطش ما كانوا قط ، وأعرى ما كانوا قط فمن أطعم لله عز وجل أشبعه الله . ومن سقى لله عز وجل سقاه الله ، ومن كسا لله عز وجل كساه الله . وقال الحسن : لو شاء الله لجعلكم أغنياء لا فقير فيكم ، ولكنه ابتلى بعضكم ببعض . وقال الشعبى من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة أحوج من الفقير الى صدقته ، فقد أبطل صدقته ، وضرب بها وجهه . وقال مالك لا نرى بأسا بشرب الموسر من الماء الذى يتصدق به ويسقى فى المسجد لأنه انما جعل للعطشان من كان ولم يرد به أهل الحاجة والمسكنة على الخصوص . ويقال : إن الحسن مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس أترضى ثمنها الدرهم والدرهمين ؟ قال لا ، قال فاذهب فان الله عز وجل رضى فى الحور العين بالفلس واللقمة

(١) الانسان : ٨ (٢) آل عمران : ٩٢

بيان إخفاء الصدقة وإظهارها

قد اختلف طريق طلاب الاخلاص فى ذلك ، فمال قوم إلى أن الاخفاء أفضل ومال قوم إلى أن الاظهار أفضل . ونحن نشير إلى ما فى كل واحد من المعانى والآفات ، ثم نكشف الغطاء عن الحق فيه

أما الاخفاء ففيه خمسة معان :

الأول : أنه أبقى للستر على الآخذ ،فان أخذه ظاهرا هتك لستر المروءة ، وكشف عن الحاجة ، وخروج عن هيئة التعفف والتصون المحبوب الذى يحسب الجاهل أهله أغنياء من التعفف

الثانى : أنه أسلم لقلوب الناس وألسنتهم ، فانهم ربما يحسدون أو ينكرون عليه أخذه ويظنون أنه آخذ مع الاستغناء ، أو ينسبونه إلى أخذ زيادة ، والحسدُ وسوء الظن والغيبة من الذنوب الكبائر ، وصيانتهم عن هذه الجرائم أولى وقال أبو أيوب السختيانى : إنى لأترك لبس الثوب الجديد خشية أن يُحدث فى جيرانى حسدا . وقال بعض الزهاد : ربما تركت استعمال الشىء لأجل اخوانى : يقولون : من أين له هذا ؟ وعن ابراهيم التيمى أنه رُئى عليه قميص جديد فقال بعض إخوانه : من أين لك هذا ؟ فقال كسانيه أخى خَيْثَمة» ولو علمت أن أهله علموا به ماقبلته

الثالث : إعانة المعطى على إسرار العمل ، فان فضل السر على الجهر فى الاعطاء أكثر ، والاعانة على إتمام المعروف معروف ، والكتمان لايتم إلا باثنين : فمها أظهر هذا انكشف أمر المعطى . ودفع رجل إلى بعض العلماء شيئاً ظاهراً فردّه اليه ، ودفع اليه آخر شيئاً فى السر فقبله ، فقيل له فى ذلك ، فقال : إنّ هذا عمِلَ بالأدب فى إخفاء معروفه فقبلته ، وذاك أساء أدبه فى عمله فرددته عليه . وأعطى رجل لبعض الصوفية شيئا فى الملا فردّه ، فقال له: لم ترد على الله عز وجل ماأعطاك ؟ فقال : إنك أشركت غير الله سبحانه فيما كان لله تعالى ولم تقنع بالله عز وجل ، فرددتُ عليك شِرْكك . وقبل بعض العارفين فى السر شيئاً كان رده فى العلانية ، فقيل له فى ذلك ، فقال : عصيتَ الله بالجهر فلم أك عونا لك على المعصية ،

وأطعته بالاخفاء فأعنتك على برّك . وقال الثورى : لو علمت أن أحدهم لايذكر صدقته ولا يتحدث بها لقبلت صدقته

الرابع : أن فى إظهار الأخـذ ذلا وامتهانا ، وليس للمؤمن أن يذل نفسـه . كان بعض العلماء يأخذ فى السر ولا يأخذ فى العلانية ويقول : إن فى إظهاره إذلالاً للعلم وامتهانا لأهله، فما كنت بالذى أرفع شيئا من الدنيا بوضع العلم وإذلال أهله

الخامس : الاحتراز عن شبهة الشركة ، قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ أُهْدِيَ لَهُ هَدِيَّةٌ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَهُمْ شُرَكَاؤُهُ فِيهَا » وبأن يكون ورقا أوذهبا لايخرج عن كونه هـدية . قال صلى الله عليه وسـلم [2] « أَفْضَلُ مَا يُهْدِي الرَّجُـلُ إِلَى أَخِيهِ وَرِقًا أَوْ يُطْعِمُهُ خُبْزًا » فجعل الورق هدية بانفراده فمـا يعطى فى الملأ مكروه إلابرضا جميعهم ، ولايخلو عن شبهة ، فإذا انفرد سلم من هذه الشبهة

أما الاظهار والتحدث به ففيه معان أربعة :

الأول : الإخلاص والصدق والسلامة عن تلبيس الحال والمراءاة

والثانى : إسقاط الجـاه والمنزلة ، وإظهـار العبودية والمسكنة ، والتبرى عن الـكبرياء ودعوى الاستغناء ، وإسقاط النفس من أعين الخلق . قال بعض العارفين لتلميذه : أظهر الأخذ على كل حال إن كنت آخذاً ، فانك لاتخلو عن أحد رجلين : رجـل تسقط من قلبه إذا فعلت ذلك ، فذلك هو المراد لأنه أسلم لدينك واقل لآفات نفسك ، أورجـل تزداد فى قلبه باظهارك الصدق ، فذلك الذى يريده أخوك ، لأنه يزداد ثوابا بزيادة حبه لك وتعظيمه إياك ، فتؤجر أنت إذ كنت سبب مزيد ثوابه

الثالث : هو أن العارف لانظرله إلاإلى الله عز وجل ، والسر والعلانية فى حقه واحد ،

---

(١) حديث من أهدى له هدية وعنده قوم فهم شركاؤه فيها: العقيلى وابن حبان فى الضعفاء وطب فى الأوسط وهق من حديث ابن عباس قال عق لا يصح فى هذا المتن حديث

(٢) حديث أفضل مايهدى الرجل إلى أخيه ورقا أو يعطيه خبزا: عد وضعفه من حديث ابن عمر أن أفضل العمل عند الله أن يقضى عن مسلم دينه أو يدخل عليه سرورا أو يطعمه خبزا ولأحمد و ت وصححه من حديث البراء من منح منحة ورق أو منحة لبن أو هدى رفاقا فهو كعتاق نسمة

فاختلاف الحال شرك فى التوحيد . قال بعضهم : كنا لانعبأ بدعاء من يأخذ فى السر ويردفى العلانية . والالتفات إلى الخلق حضروا أم غابوا نقصان فى الحال ، بل ينبغى أن يكون النظر مقصورا على الواحد الفرد . حكى أن بعض الشيوخ كان كثير الميل إلى واحد من جملة المريدين ، فشق على الآخرين فأراد أن يظهر لهم فضيلة ذلك المريد ، فأعطى كل واحد منهم دجاجة وقال . لينفرد كل واحد منكم بها وليذبحها حيث لايراه أحد ، فانفرد كل واحد وذبح ، إلا ذلك المريد فانه رد الدجاجة ، فسألهم فقالوا : فعلنا ما أمرنا به الشيخ ، فقال الشيخ للمريد: مالك لم تذبح كما ذبح أصحابك ؟ فقال ذلك المريد : لم أقدر على مكان لايرانى فيه أحد فان الله يرانى فى كل موضع ، فقال الشيخ : لهذا أميل إليه لأنه لا يلتفت لغير الله عز وجل

الرابع : أن الاظهار إقامة لسنة الشكر ، وقد قال تعالى : (وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ[1]) والكتمان كفران النعمة ، وقد ذم الله عز وجل من كتم ما آتاه الله عز وجل وقرنه بالبخل فقال تعالى: (الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ[2]) وقال صلى الله عليه وسلم [1] « إِذَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً أَحَبَّ أَنْ تُرَى نِعْمَتُهُ عَلَيْهِ » وأعطى رجل بعض الصالحين شيئا فى السر فرفع به يده وقال : هذا من الدنيا والعلانية فيها أفضل والسر فى أمور الآخرة أفضل . ولذلك قال بعضهم : إذا أعطيت فى الملا فخذ ثم اردد فى السر . والشكر فيه محثوث عليه ، قال صلى الله عليه وسلم [2] « مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ » والشكر قائم مقام المكافأة ، حتى قال صلى الله عليه وسلم « مَنْ أَسْدَى إِلَيْكُمْ مَعْرُوفاً فَكَافِئُوهُ فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوا فَأَثْنُوا عَلَيْهِ بِهِ خَيْراً وَادْعُوا لَهُ حَتَّى تَعْلَمُوا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ » [3] ولما قال المهاجرون فى الشكر يا رسول الله ما رأينا خيراً من قوم نزلنا عندهم قاسمونا الأموالَ حتى خِفْنَا أن يذهبوا بالأجر كُلِّهِ ، فقال صلى الله عليه وسلم « كُلُّ مَا شَكَرْتُمْ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ بِهِ فَهُوَ مُكَافَأَةٌ »

---

(١) حديث إذا أنعم الله تعالى على عبد نعمة أحب أن ترى عليه: أحمد من حديث عمران ابن حصين بسند صحيح وحسنه ت من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده

(٢) حديث من لم يشكر الناس لم يشكره الله تقدم

(٣) حديث قالت المهاجرون يا رسول الله ما رأينا خيرا من قوم نزلنا عليهم ـ الحديث : ت وصححه من حديث أنس ورواه مختصرا د ن فى اليوم والليلة و ك وصححه هـ

[1] الضحى : ١١ [2] النساء : ٣٧

فالآن إذا عرفت هـذه المعانى فاعـلم أن ما نقل من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا فى المسألة بل هو اختلاف حال

فكشف الغطاء فى هذا أنا لا نحكم حكما بتًّا بأن الاخفاء أفضل فى كل حال أو الاظهار أفضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات ، وتختلف النيات باختـلاف الأحوال والأشخاص ، فينبغى أن يكون المخلص مراقبا لنفسه ، حتى لا يتدلى بحبـل الغرور ، ولا ينخدع بتلبيس الطبع ، ومكر الشيطان . والمكر والخداع أغلب فى معانى الاخفاء منه فى الاظهار ، مع أن له دخلا فى كل واحد منهما ، فأما مدخل الخداع فى الاسرار فمن ميل الطبع إليه ، لما فيه من خفض الجاه والمنزلة ، وسقوط القدر عن أعين الناس ، ونظر الخلق إليه بعين الازدراء ، وإلى المعطي بعين المنعم المحسن . فهذا هو الداء الدفين ، ويستكن فى النفس ، والشيطان بواسطته يظهر معانى الخير حتى يتعلل بالمعانى الخمسة التى ذكرناها :

ومعيار كل ذلك ومحكه أمر واحد ، وهو أن يكون تألمه بانكشاف أخذه الصدقة كتألمه بانكشاف صـدقة أخذها بعض نظرائه وأمثاله ، فانه إن كان يبغى صيانة الناس عن الغيبة والحسـد وسوء الظن ، أو يتقي انتهاك الستر ، أو إعانة المعطى على الاسرار ، أو صيانة العـلم عن الابتذال ، فـكل ذلك مما يحصل بانكشاف صدقة أخيه ، فان كان انكشاف أمره أثقل عليه من انكشاف أمر غيره : فتقديره الحـذر من هـذه المعانى أغاليط وأباطيل من مكر الشيطان وخدعه ، فإن اذلال العـلم محذور من حيث إنه علم لا من حيث إنه علم زيد أو علم عمرو ، والغيبة محذورة من حيث إنها تعرض لعرض مصون لا من حيث إنها تعرض لعرض زيد على الخصوص . ومن أحسن من ملاحظة مثل هـذا ربما يعجز الشيطان عنه ، والا فلا يزال كثير العمل قليل الحظ .

وأما جانب الإظهار فميل الطبع إليه من حيث إنه تطييب لقلب المعطى واستحثاث له على مثله وإظهاره عند غيره أنه من المبالغين فى الشكر حتى يرغبوا فى إكرامه وتفقده . وهذا داء دفين فى الباطن ، والشيطان لا يقدر على المتدين إلا بان يروج عليه هذا الخبث فى معرض السنة ويقول له الشكر من السـنة والاخفاء من الرياء ، ويورد عليه المعانى التى ذكرناها ليحمله على الاظهار ، وقصده الباطن ما ذكرناه

ومعيار ذلك ومحكه أن ينظر إلى ميل نفسه إلى الشكر حيث لاينتهى الخبر إلى المعطى، ولا إلى من يرغب فى عطائه ، وبين يدى جماعة يكرهون اظهار العطية ويرغبون فى اخفائها ، وعادتهم أنهم لايعطون الامن يخفى ولايشكر ، فان استوت هذه الأحوال عنده فليعلم أن باعثه هو إقامة السنة فى الشكر والتحدث بالنعمة ، وإلافهو مغرور

ثم إذا علم أن باعثه السنة فى الشكر فلا ينبغى أن يغفل عن قضاء حق المعطى فينظر : فإن كان هو ممن يحب الشكر والنشر فينبغى أن يخفى ولا يشكر ، لأن قضاء حقه أن لاينصره على الظلم ، وطلبه الشكر ظلم

وإذا علم من حاله أنه لايحب الشكر ولا يقصده فعند ذلك يشكره ويظهر صدقته . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [(١)] للرجل الذى مدح بين يديه : « ضَرَبْتُمْ عُنُقَهُ ، لَوْ سَمِعَهَا مَا أَفْلَحَ » مع أنه صلى الله عليه وسلم كان يثنى على قوم فى وجوههم لثقته بيقينهم وعامه بأن ذلك لا يضرهم بل يزيد فى رغبتهم فى الخير فقال لواحد [(٢)] « إِنَّهُ سَيِّدُ أَهْلِ الْوَبَرِ » وقال صلى الله عليه وسلم [(٣)] فى آخر « إِذَاجَاءَكُمْ كَرِيمُ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ » وسمع كلام رجل فأعجبه فقال صلى الله عليه وسلم [(٤)] « إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً » وقال صلى الله عليه وسلم [(٥)] « إِذَا عَلِمَ أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ خَيْراً فَلْيُخْبِرْهُ فَإِنَّهُ يَزْدَادُ رَغْبَةً فِي الْخَيْرِ » وقال صلى الله عليه وسلم [(٦)] « إِذَا مُدِحَ الْمُؤْمِنُ رَبَا الْإِيمَانُ فِي قَلْبِهِ » وقال الثورى : من عرف نفسه لم يضره مدح الناس

(١) حديث قال للرجل الذى مدح بين يديه ضربتم عنقه لو سمعها ماأفلح: متفق عليه من حديث أبى بكرة بلفظ ويحك قطعت عنق صاحبك زاد طب فى رواية والله لو سمعها ماأفلح أبدا وفى سنده على ابن زيد بن جدعان متكلم فيه وله نحوه من حديث أبى موسى

(٢) حديث أنه سيد الوبر: العنبرى وطب وابن قانع فى معاجمهم وحب فى الثقات من حديث قيس بن عاصم المنقرى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له ذلك

(٣) حديث اذا جاءكم كريم قوم فأكرموه: ه من حديث ابن عمر ورواه د فى المراسيل من حديث الشعبى مرسلا بسند صحيح وقال روى متصلا وهو ضعيف و ك نحوه من حديث معبد بن خالد الانصارى عن أبيه وصحح أسناده

(٤) حديث أن من البيان لسحرا :خ من حديث ابن عمر

(٥) حديث اذا علم أحدكم من أخيه خيرا فليخبره فانه يزداد رغبة فى الخير: قط فى العلل من رواية ابن المسيب عن أبى هريرة وقال لايصح عن الزهرى وروى عن ابن المسيب مرسلا

(٦) حديث اذا مدح المؤمن ربا الايمان فى قلبه : طب من حديث أسامة بن زيد بسند ضعيف

وقال أيضاً ليوسف بن أسباط : إذا أوليتك معروفاً كنت أنا أسر به منك ورأيت ذلك نعمة من الله عز وجل على فاشكر وإلا فلا تشكر

ودقائق هذه المعانى ينبغى أن يلحظها من يراعى قلبه ، فإن أعمال الجوارح مع اهمال هذه الدقائق ضحكة للشيطان ، وشماتة له لكثرة التعب وقلة النفع . ومثل هذا العلم هو الذى يقال فيه إن تعلم مسألة واحدة منه أفضل من عبادة سنة ، إذ بهذا العلم تحيا عبادة العمر ، وبالجهل به تموت عبادة العمر كله ، وتتعطل

وعلى الجملة فالأخذ فى الملأ والرد فى السر أحسن المسالك وأسلمها، فلا ينبغى أن يدفع بالتزويقات إلا أن تكمل المعرفة بحيث يستوى السر والعلانية ، وذلك هو الكبريت الأحمر الذى يتحدث به ولا يرى . نسأل الله الكريم حسن العون والتوفيق

بيان الأفضل من أخذ الصدقة والزكاة *

كان إبراهيم الخواص والجنيد وجماعة يرون أن الاخذ من الصدقة أفضل ، فان فى أخذ الزكاة مزاحمة للمساكين وتضييقا عليهم ، ولأنه ربما لا يكمل فى أخذه صفة الإستحقاق كما وصف فى الكتاب العزيز ، وأما الصدقة فالأمر فيها أوسع ، وقال قائلون بأخذ الزكاة دون الصدقة لأنها إعانة على الواجب ولو ترك المساكين كلهم أخذ الزكاة لأثموا ، ولأن الزكاة لامنة فيها ، وإنما هو حق واجب لله سبحانه رزقا لعباده المحتاجين ، ولأنه أخذ بالحاجة ، والانسان يعلم حاجة نفسه قطعا وأخذ الصدقة أخذ بالدين ، فإن الغالب أن المتصدق يعطى من يعتقد فيه خيرا ولأن مرافقة المساكين أدخل فى الذل والمسكنة وأبعد من التكبر إذ قد يأخذ الانسان الصدقة فى معرض الهدية فلا تتميز عنه وهذا تنصيص على ذل الآخذ وحاجته

والقول الحق فى هذا أن هذا يختلف بأحوال الشخص وما يغلب عليه وما يحضره من النية ، فان كان فى شبهة من اتصافه بصفة الاستحقاق فلا ينبغى أن يأخذ الزكاة ، فاذا علم أنه مستحق قطعا كما إذا حصل عليه دين صرفه إلى خير وليس له وجه فى قضائه فهو مستحق قطعا ، فاذا خير هذا بين الزكاة وبين الصدقة ، فاذا كان صاحب الصدقة لا يتصدق بذلك المال

لو لم يأخـذه هو فليأخذ الصدقة ، فإن الزكاة الواجبـة يصرفها صاحبها إلى مستحقها ، ففى ذلك تكثير للخير وتوسيع على المساكين ، وإن كان المـال معرضا للصدقة ولم يـكن فى أخذ الزكاة تضييق على المساكين فهو مخير ، والأمر فيهما يتفاوت . وأخذ الزكاة أشد فى كسر النفس وإذلالها فى أغلب الأحوال . والله أعلم .

كمل كتاب أسرار الزكاة بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ، ويتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الصوم

والحمد لله رب العالمين . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلى الملائكة والمقربين من أهل السموات والأرضين ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا دائمًا إلى يوم الدين . والحمد لله وحده ، وحسبنا الله ونعم الوكيل

كتاب أسرار الصوم

كتاب أسرار الصوم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أعظم على عباده المنه ، بما دفع عنهم كيد الشيطان وفنّه ، ورد أمله وخيب ظنه ، إذ جعل الصوم حصناً لأوليائه وجُنّه ، وفتح لهم به أبواب الجنه ، وعرفهم أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنه ، وأن بقمعها تصبح النفس المطمئنة، ظاهرة الشوكة فى قصم خصمها قوية المنة . والصلاة على محمد قائد الخلق وممهد السنه ، وعلى آله وأصحابه ذوى الأبصار الثاقبة والعقول المرجحة ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد : فان الصوم ربع الإيمان بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم [(١)] « الصَّوْمُ نِصْفُ الصَّبْرِ » وبمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم [(٢)] « الصَّبْرُ نِصْفُ الْإِيمَانِ » ثم هو متميز بخاصية النسبة إلى الله تعالى من بين سائر الأركان ، إذ قال الله تعالى فيما حكاه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم [(٣)] « كُلُّ حَسَنَةٍ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ إِلَّا الصِّيَامُ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » وقد قال الله تعالى : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ [(١)]) والصوم نصف الصبر ، فقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب ، وناهيك فى معرفة فضله قوله صلى الله عليه وسلم [(٤)] « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِنَّمَا يَذَرُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ لِأَجْلِي فَالصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم [(٥)] « لِلْجَنَّةِ بَابٌ يُقَالُ لَهُ الرَّيَّانُ لَا يَدْخُلُهُ إِلَّا الصَّائِمُونَ » وهو موعود بلقاء الله تعالى فى جزاء صومه وقال صلى الله عليه وسلم [(٦)] « لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ : فَرْحَةٌ عِنْدَ إِفْطَارِهِ

﴿ كتاب أسرار الصيام ﴾

(١) حديث الصوم نصف الصبر : ت وحسنه من حديث رجل من بنى سليم و ه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث الصبر نصف الايمان : أبو نعيم فى الحلية والخطيب فى التاريخ من حديث ابن مسعود بسند حسن

(٣) حديث كل حسنة بعشر أمثالها الى سبعمائة ضعف الا الصوم ـ الحديث : أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٤) حديث والذي نفسى بيده لخلوف فم الصائم ـ الحديث : أخرجاه من حديثه وهو بعض الذى قبله

(٥) حديث للجنة باب يقال له الريان ـ الحديث : أخرجاه من حديث سهل بن سعد

(٦) حديث للصائم فرحتان ـ الحديث : أخرجاه من حديث أبى هريرة

(١) الزمر : ١٠

وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ » . وقال صلى الله عليه وسلم [١] « لِكُلِّ شَيْءٍ بَابٌ ، وَبَابُ الْعِبَادَةِ الصَّوْمُ » . وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « نَوْمُ الصَّائِمِ عِبَادَةٌ » . وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم [٣] قال : « إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ وَنَادَى مُنَادٍ : يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ هَلُمَّ وَيَا بَاغِيَ الشَّرِّ اقْصِرْ »

وقال وكيع فى قوله تعالى (كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ [(١)]) هى أيام الصيام اذتركوا فيها الأكل والشرب . وقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى رتبة المباهاة بين الزهد فى الدنيا وبين الصوم [٤] فقال « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُبَاهِي مَلَائِكَتَهُ بِالشَّابِّ الْعَابِدِ فَيَقُولُ أَيُّهَا الشَّابُّ التَّارِكُ شَهْوَتَهُ لِأَجْلِي الْمُبْذِلُ شَبَابَهُ لِي أَنْتَ عِنْدِي كَبَعْضِ مَلَائِكَتِي » وقال صلى الله عليه وسلم فى الصائم « يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ [٥] انْظُرُوا يَا مَلَائِكَتِي إِلَى عَبْدِي تَرَكَ شَهْوَتَهُ وَلَذَّتَهُ وَطَعَامَهُ وَشَرَابَهُ مِنْ أَجْلِي » وقيل فى قوله تعالى : (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ [(٢)]) قيل كان عملهم الصيام لأنه قال : (إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ [(٣)]) فيفرغ للصائم جزاؤه إفراغا ، ويجازف جزافا ، فلا يدخل تحت وهم وتقدير . وجدير بأن يكون كذلك ، لأن الصوم إنما كان له ومشرفا بالنسبة إليه وإن كانت العبادات كلها له ، كما شرف البيت بالنسبة إلى نفسه ، والأرض كلها له ، لمعنيين

---

(١) حديث لكل شيء باب وباب العبادة الصوم : ابن المبارك فى الزهد ومن طريقه أبو الشيخ فى الثواب من حديث أبى الدرداء بسند ضعيف

(٢) حديث نوم الصائم عبادة : رويناه فى أمالى ابن منده من رواية ابن المغيرة القواس عن عبدالله بن عمر بسند ضعيف ولعله عبد الله بن عمرو فانهم لم يذكروا لابن المغيرة رواية الا عنه ورواه أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث عبد الله بن أبى أوفى وفيه سليمان ابن عمرو النخعي أحد الكذابين

(٣) حديث اذا دخل شهر رمضان فتحت أبواب الجنة ـ الحديث : ت وقال غريب و ه و ك وصححه على شرطهما من حديث أبى هريرة وصحح خ وقفه على مجاهد وأصله متفق عليه دون قوله ونادمناد

(٤) حديث ان الله تعالى يباهي ملائكته بالشاب العابد فيقول أيها الشاب التارك شهوته ـ الحديث : عد من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

(٥) حديث يقول الله تعالي للملائكته يا ملائكتى انظروا الى عبدى ترك شهوته ولذته وطعامه وشرابه من أجلى

(١) الحاقة : ٢٤ (٢) السجدة : ١٧ (٣) الزمر : ١٠

أحدهما : أن الصوم كف وترك وهو فى نفسه سر ليس فيه عمل يشاهد ، وجميع أعمال الطاعات بمشهد من الخلق ومرأى ، والصوم لا يراه إلا الله عز وجل ، فانه عمل فى الباطن بالصبر المجرد

والثانى : أنه قهر لعدو الله عز وجل ، فان وسيلة الشيطان لعنه الله الشهوات ، وانما تقوى الشهوات بالاكل والشرب . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [(١)] « إِنَّ الشَّيْطَانَ لَيَجْرِى مِنِ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ فَضَيِّقُوا مَجَارِيَهُ بِالْجُوعِ » . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لعائشة رضى الله عنها « دَاوِمِى [(٢)] قَرْعَ بَابِ الْجَنَّةِ . قَالَتْ : بِمَاذَا ؟ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : بِالْجُوعِ » . وسيأتى فضل الجوع فى كتاب شره الطعام وعلاجه من ربع المهلكات

فلما كان الصوم على الخصوص قمعاً للشيطان وسداً لمسالكه وتضييقاً لمجاريه ، استحق التخصيص بالنسبة إلى الله عز وجل ، ففى قمع عدو الله نصرة لله سبحانه ، وناصر الله تعالى موقوف على النصرة له ، قال الله تعالى : (إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ [(١)]) فالبداية بالجهد من العبد ، والجزاء بالهداية من الله عز وجل ، ولذلك قال تعالى (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا [(٢)]) وقال تعالى : (إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ [(٣)]) وانما التغيير تكثير الشهوات ، فهى مرتع الشياطين ومرعاهم ، فادامت مخصبة لم ينقطع ترددهم ، وما داموا يترددون لم ينكشف للعبد جلال الله سبحانه وكان محجوبا عن لقائه .

وقال صلى الله عليه وسلم [(٣)] « لَوْلَا أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ » فمن هذا الوجه صار الصوم باب العبادة ، وصار جنة .

وإذا عظمت فضيلته إلى هذا الحد فلابد من بيان شروطه الظاهرة والباطنة ، بذكر أركانه ، وسننه ، وشروطه الباطنة . ونبين ذلك بثلاثة فصول :

---

(١) حديث ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ـ الحديث : متفق عليه من حديث صفية دون قوله فضيقوا مجاريه بالجوع

(٢) حديث قال لعائشة داومى قرع باب الجنة ـ الحديث : لم أجد له أصلا

(٣) حديث لولا أن الشياطين يحومون على قلوب بنى آدم ـ الحديث : أحمد من حديث أبى هريرة بنحوه

(١) محمد : ٧ (٢) العنكبوت : ٦٩ (٣) الرعد : ١١

الفصل الأول

فى الواجبات والسنن الظاهرة واللوازم بافساده

أما الواجبات الظاهرة فستة

الأول : مراقبة أول شهر رمضان ، وذلك برؤية الهلال ، فإن غم فاستكمال ثلاثين يوما من شعبان . ونعنى بالرؤية العلم ، ويحصل ذلك بقول عدل واحد ، ولا يثبت هلال شوال إلا بقول عدلين احتياطا للعبادة ، ومن سمع عدلا ووثق بقوله وغلب على ظنه صدقه لزمه الصوم وإن لم يقض القاضى به ، فليتبع كل عبد فى عبادته موجب ظنه ، وإذا رؤى الهلال ببلدة ولم يُرَ بأخرى وكان بينهما أقل من مرحلتين وجب الصوم على الكل وإن كان أكثر كان لكل بلدة حكمها ، ولا يتعدى الوجوب

الثانى : النية . ولا بد لكل ليلة من نية مبيتة معينة جازمة ، فلو نوى أن يصوم شهر رمضان دفعة واحدة لم يكفه ، وهو الذى عنينا بقولنا كل ليلة ، ولو نوى بالنهار لم يجزه صوم رمضان ولا صوم الفرض إلا التطوع ،وهو الذى عنينا بقولنا مبيتة،ولو نوى الصوم مطلقا أو الفرض مطلقا لم يجزه حتى ينوى فريضة الله عز وجل صوم رمضان ، ولو نوى ليلة الشك أن يصوم غدا إن كان من رمضان لم يجزه فإنها ليست جازمة إلا أن تستند نيته إلى قول شاهد عدل،واحتمال غلط العدل أو كذبه لا يبطل الجزم،أو يستند إلى استصحاب حال كالشك فى الليلة الأخيرة من رمضان ، فذلك لا يمنع جزم النية ، أو يستند إلى اجتهاد كالمحبوس فى المطمورة إذا غلب على ظنه دخول رمضان باجتهاده فشكه لا يمنعه من النية ، ومهما كان شاكا ليلة الشك لم ينفعه جزمه النية باللسان فان النية محلها القلب ، ولا يتصور فيه جزم القصد مع الشك ، كما لو قال فى وسط رمضان : أصوم غدا إن كان من رمضان فإن ذلك لا يضره لأنه ترديد لفظ ، ومحل النية لا يتصور فيه تردد ، بل هو قاطع بأنه من رمضان . ومن نوى ليلا ثم أكل لم تفسد نيته . ولو نوت امرأة فى الحيض ثم طهرت قبل الفجر صح صومها

الثالث : الإمساك عن إيصال شىء إلى الجوف عمدا مع ذكر الصوم ، فيفسد صومه بالأكل ، والشرب ، والسعوط ، والحقنة . ولا يفسد بالفصد ، والحجامة ، والاكتحال ،

وإدخال الميل فى الأذن والاحليل ، إلا أن يقطر فيه مايبلغ المثانة . وما يصل بغير قصد من غبار الطريق أو ذبابة تسبق إلى جوفه ، أو مايسبق إلى جوفه فى المضمضة فلا يفطر ، إلا إذا بالغ فى المضمضة فيفطر لأنه مقصر ، وهو الذى أردنا بقولنا : عمدا . فأما ذكر الصوم فأردنا به الاحتراز عن الناسى فإنه لايفطر ، أما من أكل عامدا فى طرفى النهار ثم ظهر له أنه أكل نهارا بالتحقيق فعليه القضاء ، وإن بقى على حكم ظنه واجتهاده فلا قضاء عليه . ولا ينبغى أن يأكل فى طرفى النهار إلا بنظر واجتهاد

الرابع : الإمساك عن الجماع ، وحده مغيب الحشفة . وإن جامع ناسيا لم يفطر ، وإن جامع ليلا أو احتلم فأصبح جنبا لم يفطر ، وإن طلع الفجر وهو مخالط أهله فنزع فى الحال صح صومه ، فان صبر فسد ولزمته الكفارة

الخامس : الامساك عن الاستمناء، وهو إخراج المنى قصداً بجماع أو بغير جماع فإن ذلك يفطر . ولا يفطر بقبلة زوجته ولا بمضاجعتها مالم ينزل ، لكن يكره ذلك إلا أن يكون شيخا أو مالكا لإربه ، فلا بأس بالتقبيل ، وتركه أولى . وإذا كان يخاف من التقبيل أن ينزل فقبل وسبق المنى أفطر لتقصيره

السادس : الامساك عن إخراج القىء ، فالاستقاء يفسد الصوم ، وإن ذرعه القىء لم يفسد صومه . وإذا ابتلع نخامة من حلقه أو صدره لم يفسد صومه رخصة لعموم البلوى به ، إلا أن يبتلعه بعد وصوله إلى فيه ، فانه يفطر عند ذلك

وأمالوازم الافطار فأربعة :

القضاء ، والكفارة ، والفدية ، وإمساك بقية النهار تشبيها بالصائمين

أماالقضاء : فوجوبه عام على كل مسلم مكلف ترك الصوم بعذر أو بغير عذر ، فالحائض تقضى الصوم ، وكذا المرتد . أما الكافر والصبى والمجنون فلا قضاء عليهم . ولايشترط التتابع فى قضاء رمضان ، ولكن يقضى كيف شاء متفرقا ومجموعا .

وأما الكفارة : فلا تجب إلا بالجماع . وأما الاستمناء والأكل والشرب وما عدا الجماع لاتجب به كفارة . فالكفارة عتق رقبة ، فان أعسر فصوم شهرين متتابعين ، وإن عجز فاطعام ستين مسكينا مُدًّا مُدًّا

وأما إمساك بقية النهار : فيجب على من عصى بالفطر اوقصر فيه ، ولا يجب على الحائض إذا طهرت إمساك بقية نهارها ، ولا على المسافر إذا قدم مفطرا من سفر بلغ مرحلتين. ويجب الامساك إذا شهد بالهلال عدل واحد يوم الشك ، والصوم فى السفر أفضل من الفطر الا إذا لم يطق ، ولا يفطر يوم يخرج وكان مقيما فى أوله ، ولا يوم يقدم إذا قدم صائما

وأما الفدية : فتجب على الحامل والمرضع إذا أفطرتا خوفا على ولديهما ، لكل يوم مد حنطة لمسكين واحد مع القضاء والشيخ الهرم إذا لم يصم تصدق عن كل يوم مدا

وأما السنن فست : تأخير السحور ، وتعجيل الفطر بالتمر أو الماء قبل الصلاة ، وترك السواك بعد الزوال ، والجود فى شهر رمضان لما سبق من فضائله فى الزكاة ، ومدارسة القرآن والاعتكاف فى المسجد لاسيما فى العشر الأخير ، فهو عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « كَانَ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الْأَوَاخِرُ طَوَى الْفِرَاشَ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ وَدَأَبَ وَأَدْأَبَ أَهْلَهُ » أى أداموا النصب فى العبادة ، إذ فيها ليلة القدر ، والأغلب أنها فى أوتارها ، وأشبهُ الأوتار ليلة إحدى وثلاث وخمس وسبع ، والتتابع فى هذا الاعتكاف أولى ، فان نذر اعتكافا متتابعا أو نواه انقطع تتابعه بالخروج من غير ضرورة : كما لو خرج لعيادة ، أو شهادة أو جنازة أو زيارة ، أو تجديد طهارة . وإن خرج لقضاء الحاجة لم ينقطع ، وله أن يتوضأ فى البيت . ولا ينبغى أن يعرج على شغل آخر « كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٢) لَا يَخْرُجُ إِلَّا لِحَاجَةِ الْإِنْسَانِ وَلَا يَسْأَلُ عَنِ الْمَرِيضِ إِلَّا مَارًّا » . وينقطع التتابع بالجماع ، ولا ينقطع بالتقبيل ، ولا بأس فى المسجد بالطيب وعقد النكاح ، وبالأكل والنوم وغسل اليد فى الطست ، فكل ذلك قد يحتاج إليه فى التتابع . ولا ينقطع التتابع بخروج بعض بدنه « كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٣) يُدْنِى رَأْسَهُ فَتُرَجِّلُهُ عَائِشَةُ رَضِىَ اللهُ عَنْهَا وَهِىَ فِى الْحُجْرَةِ » ومهما خرج المعتكف لقضاء حاجته فإذا عاد ينبغى أن يستأنف النية ، الا إذا كان قد نوى أولا عشرة أيام مثلا ، والأفضل مع ذلك التجديد .

---

(١) حديث كان اذا دخل العشر الأواخر طوى الفراش ــ الحديث : متفق عليه من حديث عائشة بلفظ أحيا الليل وأيقظ أهله وجد وشد المئزر

(٢) حديث كان لا يخرج الا لحاجته ولا يسأل عن المريض الا مارا : متفق على الشطر الأول من حديث عائشة والشطر الثانى رواه أبو داود بنحوه بسند لين

(٣) حديث كان يدنى رأسه لعائشة متفق عليه من حديثها

الفصل الثاني

في أسرار الصوم وشروطه الباطنة

اعلم أن الصوم ثلاث درجات: صوم العموم، وصوم الخصوص، وصوم خصوص الخصوص

أما صوم العموم: فهو كف البطن والفرج عن قضاء الشهوة كما سبق تفصيله

وأما صوم الخصوص: فهو كف السمع والبصر واللسان واليد والرجل وسائر الجوارح عن الآثام

وأما صوم خصوص الخصوص: فصوم القلب عن الهمم الدنية والأفكار الدنيوية، وكفه عما سوى الله عز وجل بالكلية. ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله عز وجل واليوم الآخر، وبالفكر في الدنيا إلا دنيا تراد للدين، فان ذلك من زاد الآخرة وليس من الدنيا، حتى قال أرباب القلوب: من تحركت همته بالتصرف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة، فان ذلك من قلة الوثوق بفضل الله عز وجل، وقلة اليقين برزقه الموعود. وهذه رتبة الأنبياء والصديقين والمقربين. ولا يطول النظر في تفصيلها قولا ولكن في تحقيقها عملا، فانه اقبال بكنه الهمة على الله عز وجل، وانصراف عن غير الله سبحانه، وتلبس بمعنى قوله عز وجل: (قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ [1])

وأما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين: فهو كف الجوارح عن الآثام. وتمامه بستة أمور

الأول: غض البصر وكفه عن الاتساع في النظر إلى كل مايذم ويكره، وإلى كل ما يشغل القلب ويلهى عن ذكر الله عز وجل، قال صلى الله عليه وسلم [1] « النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ فَمَنْ تَرَكَهَا خَوْفاً مِنَ اللَّهِ آتَاهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِيمَاناً يَجِدُ حَلَاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ » وروى جابر عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] أنه قال « خَمْسٌ يُفْطِرْنَ الصَّائِمَ: الْكَذِبُ وَالْغِيبَةُ وَالنَّمِيمَةُ وَالْيَمِينُ الْكَاذِبَةُ وَالنَّظَرُ بِشَهْوَةٍ »

---

(١) حديث النظرة سهم مسموم من سهام ابليس ـ الحديث: ك وصحح أسناده من حديث حذيفة

(٢) حديث جابر عن أنس خمس يفطرون الصائم ـ الحديث: الأزدى في الضعفاء من رواية جابان عن أنس وقوله جابر تصحيف قال أبو حاتم الرازي هذا كذاب

(١) الانعام: ٩١

الثاني : حفظ اللسان عن الهذيان والكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والمراء ، والزامه السكوت ، وشغله بذكر الله سبحانه وتلاوة القرءان فهذا صوم اللسان . وقد قال سفيان : الغيبة تفسد الصوم . رواه بشر بن الحارث عنه ، وروى ليث عن مجاهد : خصلتان يفسدان الصيام: الغيبة والكذب . وقال صلى الله عليه وسلم [١] « إِنَّمَا الصَّوْمُ جُنَّةٌ فَإِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ صَائِمًا فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَجْهَلْ وَإِنِ امْرُؤٌ قَاتَلَهُ أَوْ شَاتَمَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي صَائِمٌ إِنِّي صَائِمٌ » وجاء في الخبر « أَنَّ [٢] امْرَأَتَيْنِ صَامَتَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَجْهَدَهُمَا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ مِنْ آخِرِ النَّهَارِ حَتَّى كَادَتَا أَنْ تَتْلَفَا فَبَعَثَتَا إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَأْذِنَاهُ فِي الْإِفْطَارِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِمَا قَدَحًا وَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُلْ لَهُمَا قِيئَا فِيهِ مَا أَكَلْتُمَا فَقَاءَتْ إِحْدَاهُمَا نِصْفَهُ دَمًا عَبِيطًا وَلَحْمًا غَرِيضًا وَقَاءَتِ الْأُخْرَى مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى مَلَأَتَاهُ فَعَجِبَ النَّاسُ مِنْ ذَلِكَ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاتَانِ صَامَتَا عَمَّا أَحَلَّ اللهُ لَهُمَا وَأَفْطَرَتَا عَلَى مَا حَرَّمَ اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِمَا قَعَدَتْ إِحْدَاهُمَا إِلَى الْأُخْرَى فَجَعَلَتَا يَغْتَابَانِ النَّاسَ ، فَهَذَا مَا أَكَلَتَا مِنْ لُحُومِهِمْ »

الثالث : كف السمع عن الإصغاء إلى كل مكروه ، لأن كل ما حرم قوله حرم الاصغاء إليه ، ولذلك سوى الله عز وجل بين المستمع وآكل السحت ، فقال تعالى : (سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ [١]) وقال عز وجل (لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ [٢]) فالسكوت على الغيبة حرام وقال تعالى : (إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ [٣]) ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [٣] « الْمُغْتَابُ وَالْمُسْتَمِعُ شَرِيكَانِ فِي الْإِثْمِ »

الرابع : كف بقية الجوارح عن الآثام : من اليد ، والرجل ، وعن المكاره ، وكف البطن عن الشبهات وقت الافطار ، فلا معنى للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار على الحرام ، فمثال هذا الصائم مثال من يبنى قصرا ويهدم مصرا ، فإن الطعام الحلال إنما يضر

---

(١) حديث الصوم جنة فإذا كان أحدكم صائما ـ الحديث أخرجاه من حديث أبي هريرة

(٢) حديث ان امرأتين صامتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : في الغيبة للصائم أحمد من حديث عبيد مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الحديث : بسند فيه مجهول

(٣) حديث المغتاب والمستمع شريكان في الاثم غريب وللطبراني من حديث ابن عمر بسند ضعيف نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة وعن الاستماع الى الغيبة

(١) المائدة : ٤٢ (٢) المائدة : ٦٣ (٣) النساء : ١٠٤

بكثرته لا بنوعه ، فالصوم لتقليله . وتارك الاستكثار من الدواء خوفا من ضرره إذا عدل إلى تناول السم كان سفيها ، والحرام سم مهلك للدين ، والحلال دواء ينفع قليله ويضر كثيره وقصد الصوم تقليله . وقد قال صلى الله عليه وسلم : [1]« كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صَوْمِهِ إِلَّا الْجُوعُ وَالْعَطَشُ » فقيل هو الذى يفطر على الحرام ، وقيل هو الذى يمسك عن الطعام الحلال ويفطر على لحوم الناس بالغيبة وهو حرام ، وقيل هو الذى لا يحفظ جوارحه عن الآثام

الخامس: أن لا يستكثر من الطعام الحلال وقت الافطار بحيث يمتلىء جوفه ، فما من وعاء أبغض إلى الله عز وجل من بطن ملىء من حلال ، وكيف يستفاد من الصوم قهر عدو الله وكسر الشهوة إذا تدارك الصائم عند فطره مافاته ضحوة نهاره ، وربما يزيد عليه فى ألوان الطعام حتى استمرت العادات بأن تدخر جميع الأطعمة لرمضان فيؤكل من الأطعمة فيه مالا يؤكل فى عدة أشهر . ومعلوم أن مقصود الصوم الخواء وكسر الهوى ، لتقوى النفس على التقوى ، وإذا دفعت المعدة من ضحوة نهار إلى العشاء حتى هاجت شهوتها وقويت رغبتها ثم أطعمت من اللذات وأشبعت زادت لذتها وتضاعفت قوتها ، وانبعث من الشهوات ما عساها كانت راكدة لو تركت على عادتها . فروح الصوم وسره تضعيف القوى التى هى وسائل الشيطان فى العود إلى الشرور ولن يحصل ذلك إلا بالتقليل ، وهو أن يأكل أكلته التى كان يأكلها كل ليلة لو لم يصم ، فأما اذا جمع ما كان يأكل ضحوة الى ما كان يأكل ليلا فلم ينتفع بصومه ، بل من الآداب أن لا يكثر النوم بالنهار حتى يحس بالجوع والعطش ويستشعر ضعف القوى ، فيصفو عند ذلك قلبه ، ويستديم فى كل ليلة قدراً من الضعف حتى يخف عليه تهجده وأوراده ، فعسى الشيطان أن لا يحوم على قلبه فينظر إلى ملكوت السماء وليلة القدر عبارة عن الليلة التى ينكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ[1]) ومن جعل بين قلبه وبين صدره مخلاة من الطعام فهو عنه محجوب ، ومن أخلى معدته فلا يكفيه ذلك لرفع الحجاب ما لم يخل همته عن غير الله عز وجل ، وذلك هو الأمر كله ، ومبدأ جميع ذلك تقليل الطعام . وسيأتى له مزيد بيان فى كتاب الأطعمة ، إن شاء الله عز وجل

---

(١) حديث كم من صائم ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ن ه من حديث أبي هريرة

(١) القدر : ١

السادس : أن يكون قلبه بعد الافطار معلقاً مضطربا بين الخوف والرجاء ، إذ ليس يدرى أيقبَلُ صومه فهو من المقربين ، أو يرد عليه فهو من الممقوتين . وليكن كذلك فى آخر كل عبادة يفرُغ منها ، فقد روى عن الحسن بن أبي الحسن البصرى أنه مر بقوم وهم يضحكون فقال : «إن الله عز وجل جعل شهر رمضان مضمار الخلقه يستبقون فيه لطاعته ، فسبق قوم ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا ، فالعجب كل العجب للضاحك اللاعب فى اليوم الذى فاز فيه السابقون وخاب فيه المبطلون ! أما والله لو كشف الغطاء لاشتغل المحسن باحسانه والمسيء باساءته ! أى كان سرور المقبول يشغله عن اللعب ، وحسرة المردود تسد عليه باب الضحك . وعن الأحنف بن قيس أنه قيل له إنك شيخ كبير و إن الصيام يضعفك ، فقال إنى أعده لسفر طويل ، والصبر على طاعة الله سبحانه أهون من الصبر على عذابه . فهذه هى المعانى الباطنة فى الصوم

فان قلت : فمن اقتصر على كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعانى فقد قال الفقهاء صومه صحيح ، فما معناه ؟

فاعلم أن فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر بأدلة هى أضعف من هذه الأدلة التى أوردناها فى هذه الشروط الباطنة ، لاسيما الغيبة وأمثالها ، ولكن ليس إلى فقهاء الظاهر من التكليفات إلا ما يتيسر على عموم الغافلين المقبلين على الدنيا الدخول تحته ، فأما علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول ، وبالقبول الوصول الى المقصود ، ويفهمون أن المقصود من الصوم التخلق بخلق من أخلاق الله عز وجل ، وهو الصمدية ، والاقتداء بالملائكة فى الكف عن الشهوات بحسب الامكان ، فأنهم منزهون عن الشهوات ، والانسان رتبته فوق رتبة البهائم لقدرته بنور العقل على كسر شهوته ، ودون رتبة الملائكة لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتلى بمجاهدتها فكلما انهمك فى الشهوات انحط إلى أسفل السافلين ، والتحق بغمار البهائم ، وكلما قمع الشهوات ارتفع إلى أعلى عليين ، والتحق بأفق الملائكة ، والملائكة مقربون من الله عز وجل ، والذى يقتدى بهم ويتشبه بأخلاقهم يقرب من الله عز وجل كقربهم ، فان الشبيه من القريب قريب ، وليس القرب ثَمَّ بالمكان بل بالصفات

وإذا كان هذا سر الصوم عند أرباب ، الألباب وأصحاب القلوب ، فأى جدوى لتأخير أكلة وجمع أكلتين عند العشاء ، مع الانهماك فى الشهوات الأخر طول النهار ؟ ولو كان لمثله جدوى

فأى معنى لقوله صلى الله عليه وسلم « كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صَوْمِهِ إِلاَّ الْجُوعُ وَالْعَطَشُ » ؟ ولهذا قال أبو الدرداء : ياحبذا نوم الأكياس وفطرهم ، كيف لايعيبون صوم الحمقى وسهرهم ، ولذرة من ذوى يقين وتقوى أفضل وأرجح من أمثال الجبال عبادة من المغترين، ولذلك قال بعض العلماء : كم من صائم مفطر ؛ وكم من مفطر صائم . والمفطر الصائم هو الذى يحفظ جوارحه عن الآثام ويأكل ويشرب ، والصائم المفطر هو الذى يجوع ويعطش ويطلق جوارحه .

ومن فهم معنى الصوم وسره علم أن مثل من كف عن الأكل والجماع وأفطر بمخالطة الآثام كمن مسح على عضو من أعضائه فى الوضوء ثلاث مرات ، فقد وافق فى الظاهر العدد ، إلا أنه ترك المهم وهو الغسل ، فصلاته مردودة عليه بجهله . ومثل من أفطر بالأكل وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل أعضاءه مرة مرة ، فصلاته متقبلة إن شاء الله لإحكامه الأصل ، وإن ترك الفضل . ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو ثلاث مرات فجمع بين الأصل والفضل وهو الكمال. وقد قال صلى الله عليه وسلم(١) « إِنَّ الصَّوْمَ أَمَانَةٌ فَلْيَحْفَظْ أَحَدُكُمْ أَمَانَتَهُ » (٢) ولما تلا قوله عز وجل : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا[١]) وضع يده على سمعه وبصره فقال : السمع أمانة ، والبصر أمانة . ولو لا أنه من أمانات الصوم لما قال صلى الله عليه وسلم « فَلْيَقُلْ إِنِّى صَائِمٌ » أى انى أودعت لسانى لأحفظه فكيف أطلقه بجوابك

فإذاً قد ظهر أن لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا ولبا ، ولقشورها درجات ، ولكل درجة طبقات ، فاليك الْخِيَرَةَ الآن فى أن تقنع بالقشر عن اللباب أو تتحيز إلى غمار أرباب الألباب

---

(١) حديث انما الصوم أمانة فليحفظ أحدكم أمانته : الخرائطى فى مكارم الاخلاق من حديث ابن مسعود فى حديث فى الامانة والصوم واسناده حسن

(٢) حديث لما تلا قوله تعالى ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وضع يده على سمعه وبصره وقال السمع والبصر أمانة : د من حديث أبى هريرة دون قوله السمع أمانة

[١] النساء : ٥٨

الفصل الثالث

فى التطوع بالصيام وترتيب الأوراد فيه

اعلم أن استحباب الصوم يتأكد فى الأيام الفاضلة ، وفواضل الأيام بعضها يوجد فى كل سنة ، وبعضها يوجد فى كل شهر ، وبعضها فى كل أسبوع

أما فى السنة بعد أيام رمضان : فيوم عرفة ، ويوم عاشوراء ، والعشر الأول من ذى الحجة ، والعشر الأول من المحرم ، وجميع الأشهر الحرم مظان الصوم ، وهى أوقات فاضلة وَكَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] يُكْثِرُ صَوْمَ شَعْبَانَ حَتَّى كَانَ يُظَنُّ أَنَّهُ فِي رَمَضَانَ [٢] وفى الخبر « أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ » لأنه ابتداء السنة ، فبناؤها على الخير أحب وأرجى لدوام بركته . قال صلى الله عليه وسلم [٣] « صَوْمُ يَوْمٍ مِنْ شَهْرٍ حَرَامٍ أَفْضَلُ مِنْ ثَلَاثِينَ مِنْ غَيْرِهِ وَصَوْمُ يَوْمٍ مِنْ رَمَضَانَ أَفْضَلُ مِنْ ثَلَاثِينَ مِنْ شَهْرٍ حَرَامٍ » [٤] وفى الحديث « مَنْ صَامَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ مِنْ شَهْرٍ حَرَامٍ : الْخَمِيسَ وَالْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ عِبَادَةَ تِسْعِمِائَةِ عَامٍ » [٥] وفى الخبر « إِذَا كَانَ النِّصْفُ مِنْ شَعْبَانَ فَلَا صَوْمَ حَتَّى رَمَضَانَ » ولهذا يستحب أن يفطر قبل رمضان أياما ، فان وصل شعبان برمضان فجائز ، فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم مَرَّةً [٦] وَفَصَلَ مِرَاراً كَثِيرَةً [٧] ولا يجوز أن يقصد استقبال رمضان بيومين أو ثلاثة إلا أن يوافق وردا له . وكره بعض الصحابة أن يصام رجب كله حتى لا يضاهى بشهر رمضان

---

(١) حديث كان يكثر صيام شعبان ـ الحديث : متفق عليه من حديث عائشة

(٢) حديث أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم : من حديث أبى هريرة

(٣) حديث صوم يوم من شهر حرام أفضل من صوم ثلاثين ـ الحديث : لم أجده هكذا وفى المعجم الصغير للطبرانى من حديث ابن عباس من صام يوما من المحرم فله بكل يوم ثلاثون يوما

(٤) حديث من صام ثلاثة أيام من شهر حرام الخميس والجمعة والسبت ـ الحديث : الأزدى فى الضعفاء من حديث أنس

(٥) حديث اذا كان النصف من شعبان فلا صوم حتى رمضان : الاربعة من حديث أبى هريرة حب فى صحيحه عنه اذا كان النصف من شعبان فافطروا حتى يجىء رمضان وصححه ت

(٦) حديث وصل شعبان برمضان مرة : الاربعة من حديث أم سلمة لم يكن يصوم من السنة شهرا تاما الا شعبان يصل به رمضان و د ن نحوه من حديث عائشة

(٧) حديث فصل شعبان من رمضان مرارا : د من حديث عائشة قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحفظ من هلال شعبان مالا يتحفظ من غيره فان غم عليه عد ثلاثين يوما ثم صام وأخرجه قط وقال اسناده صحيح و ك وقال صحيح على شرط الشيخين

فالأشهر الفاضلة ذوالحجة والمحرم ورجب وشعبان ، والأشهر الحرم ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب ، واحد فرد وثلاثة سرد . وأفضلها ذو الحجة لأن فيه الحج والأيام المعلومات والمعدودات ، وذو القعدة من الأشهر الحرم وهو من أشهر الحج ، وشوال من أشهر الحج وليس من الحرم ، والمحرم ورجب ليسا من أشهر الحج [١] وفى الخبر «مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلُ فِيهِنَّ أَفْضَلُ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ أَيَّامِ عَشْرِ ذِى الْحِجَّةِ ، إِنَّ صَوْمَ يَوْمٍ مِنْهُ يَعْدِلُ صِيَامَ سَنَةٍ : وَقِيَامَ لَيْلَةٍ مِنْهُ تَعدِلُ قِيَامَ لَيْلَةِ الْقَدْرِ ، قِيلَ : وَلَا الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ تَعَالَى ؟ قَالَ : وَلَا الْجِهَادُ فِى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ مَنْ عُقِرَ جَوَادُهُ وَأُهْرِيقَ دَمُهُ »

وأما ما يتكرر فى الشهر : فأول الشهر ، وأوسطه ، وآخره . ووسطه الأيام البيض ، وهى الثالث عشر ، والرابع عشر ، والخامس عشر

وأما فى الأسبوع : فالاثنين ، والخميس ، والجمعة فهذه هى الأيام الفاضلة فيستحب فيها الصيام ، وتكثير الخيرات لتضاعف أجورها ببركة هذه الأوقات

وأما صوم الدهر فانه شامل للكل وزيادة . وللسالكين فيه طرق : فمنهم من كره ذلك ، إذ وردت أخبار تدل على كراهته [٢] والصحيح أنه إنما يكره لشيئين : أحدهما أن لا يفطر فى العيدين وأيام التشريق فهو الدهر كله ، والآخر أن يرغب عن السنة فى الافطار ويجعل الصوم حجرا على نفسه ، مع أن الله سبحانه يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه ، فاذا لم يكن شىء من ذلك ورأى صلاح نفسه فى صوم الدهر فليفعل ذلك ، فقد فعله جماعة من الصحابة والتابعين رضى الله عنهم . وقال صلى الله عليه وسلم [٣] فيما رواه أبو موسى الأشعرى «مَنْ صَامَ الدَّهْرَ كُلَّهُ ضُيِّقَتْ عَلَيْهِ جَهَنَّمُ وَعَقَدَ تِسْعِينَ » ومعناه لم يكن له فيها موضع

---

(١) حديث ما من أيام العمل فيهن أفضل وأحب الى الله من عشر ذى الحجة ـ الحديث: ت ه من حديث أبى هريرة دون قوله قيل ولا الجهاد الخ وعند خ من حديث ابن عباس ما العمل فى أيام أفضل من العمل فى هذا العشر قالوا ولا الجهاد قال ولا الجهاد الا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع بشيء

(٢) الاحاديث الدالة على كراهة صيام الدهر: خ م من حديث عبد الله بن عمرو فى حديث له لا صام من صام الابد ولمسلم من حديث أبى قتادة قيل يارسول الله كيف بمن صام الدهر قال لا صام ولا أفطر و ن نحوه من حديث عبد الله بن عمر وعمران بن حصين وعبدالله بن الشخير

(٣) حديث أبى موسى الاشعرى من صام الدهر كله ضيقت عليه جهنم هكذا وعقد تسعين: أحمد ن فى الكبرى و حب وحسنه أبو على الطوسى

ودونه درجة أخرى وهو صوم نصف الدهر : بأن يصوم يوما ويفطر يوما ، وذلك أشد على النفس وأقوى في قهرها . وقد ورد في فضله أخبار كثيرة ، لأن العبد فيه بين صوم يوم وشكر يوم ، فقد قال صلى الله عليه وسلم (١) « عُرِضَتْ عَلَيَّ مَفَاتِيحُ خَزَائِنِ الدُّنْيَا وَكُنُوزُ الْأَرْضِ فَرَدَدْتُهَا وَقُلْتُ أَجُوعُ يَوْماً وَأَشْبَعُ يَوْماً أَحْمَدُكَ إِذَا شَبِعْتُ وَأَتَضَرَّعُ إِلَيْكَ إِذَا جُعْتُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « أَفْضَلُ الصِّيَامِ صَوْمُ أَخِي دَاوُدَ : كَانَ يَصُومُ يَوْماً وَيُفْطِرُ يَوْماً » ومن ذلك (٣) مُنَازَلَتُهُ صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمرو رضى الله عنهما في الصوم وهو يقول إني أطيق أكثر من ذلك فقال صلى الله عليه وسلم « صُمْ يَوْماً وَأَفْطِرْ يَوْماً ، فَقَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ ، فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ » وقد روى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٤) مَا صَامَ شَهْراً كَامِلاً قَطُّ إِلَّا رَمَضَانَ »

ومن لا يقدر على صوم نصف الدهر فلا بأس بثلثه ، وهو أن يصوم يوما ويفطر يومين وإذا صام ثلاثة من أول الشهر وثلاثة من الوسط وثلاثة من الآخر فهو ثلث ، وواقع في الأوقات الفاضلة ، وإن صام الاثنين والخميس والجمعة فهو قريب من الثلث . وإذا ظهرت أوقات الفضيلة فالكمال في أن يفهم الإنسان معنى الصوم ، وأن مقصوده تصفية القلب وتفريغ الهم لله عز وجل . والفقيه بدقائق الباطن ينظر إلى أحواله ، فقد يقتضى حاله دوام الصوم ، وقد يقتضى دوام الفطر ، وقد يقتضى مزج الافطار بالصوم . وإذا فهم المعنى وتحقق حده في سلوك طريق الآخرة بمراقبة القلب لم يخف عليه صلاح قلبه ، وذلك لا يوجب ترتيبا مستمرا ، ولذلك روى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (٥) كَانَ يَصُومُ حَتَّى يُقَالَ لَا يُفْطِرُ وَيُفْطِرُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَصُومُ وَيَنَامُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَقُومُ وَيَقُومُ حَتَّى يُقَالَ لَا يَنَامُ » وكان ذلك بحسب ما ينكشف له بنور النبوة من القيام بحقوق الأوقات

---

(١) حديث عرضت على مفاتيح خزائن الدنيا ـ الحديث : ت من حديث أبى أمامة بلفظ عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا وقال حسن

(٢) حديث أفضل الصيام صوم أخي داود ـ الحديث : أخرجاه من حديث عبد الله بن عمرو

(٣) حديث منازلته لعبد الله بن عمرو وقوله صم يوما وافطر يوما ـ الحديث : أخرجاه من حديثه

(٤) حديث ماصام شهرا كاملا قط إلا رمضان: أخرجاه من حديث عائشة

(٥) حديث كان يصوم حتى يقال لا يفطر ـ الحديث: م أخرجاه من حديث عائشة وابن عباس دون ذكر القيام والنوم وخ من حديث أنس كان يفطر من الشهر حتى يظن أن لا يصوم منه شيئا ويصوم حتى يظن أن لا يفطر منه شيئا وكان لا تشاء تراه من الليل مصليا الا رأيته ولا نائما الا رأيته

وقد كره العلماء أن يوالى بين الافطار أكثر من أربعة أيام ، تقديرا بيوم العيد وأيام التشريق ، وذكروا أن ذلك يقسى القلب ، ويولد ردىء العادات ، ويفتح أبواب الشهوات . ولعمرى هو كذلك فى حق أكثر الخلق ، لا سيما من يأكل فى اليوم والليلة مرتين . فهذا ما أردنا ذكره من ترتيب الصوم المتطوّع به . والله أعلم بالصواب

تم كتاب أسرار الصوم ، والحمد لله بجميع محامده كلها ما علمنا منها ومالم نعلم . وعلى جميع نعمه كلها ما علمنا منها ومالم نعلم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم وكرم ، وعلى كل عبد مصطفى من أهل الأرض والسماء

يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب أسرار الحج ، والله المعين لا رب غيره ، وما توفيقى إلا بالله وحسبنا الله ونعم الوكيل

كتاب أسرار الحج

كتاب أسرار الحج

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى جعل كلمة التوحيد لعباده حرزا وحصنا ، وجعل البيت العتيق مثابة للناس وأمنا ، وأكرمه بالنسبة إلى نفسه تشريفا وتحصينا ومنًّا ، وجعل زيارته والطواف به حجابا بين العبد وبين العذاب ومجنًّا والصلاة على محمد نبي الرحمة ، وسيد الأمة ، وعلى آله وصحبه قادة الحق ، وسادة الخلق ، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد : فان الحج من بين أركان الاسلام ومبانيه ، عبادة العمر ، وختام الأمر ، وتمام الاسلام ، وكمال الدين فيه ، أنزل الله عز وجل قوله (اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا[1]) وفيه قال صلى الله عليه وسلم[1] « مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَحُجَّ فَلْيَمُتْ إِنْ شَاءَ يَهُودِيًّا وَإِنْ شَاءَ نَصْرَانِيًّا » فأعظم بعبادة يعدم الدين بفقدها الكمال ويساوى تاركها اليهود والنصارى فى الضلال ، وأجدر بها أن تصرف العناية الى شرحها وتفصيل أركانها وسننها وآدابها وفضائلها وأسرارها . وجملة ذلك ينكشف بتوفيق الله عز وجل فى ثلاثة أبواب :

الباب الأول : فى فضائلها وفضائل مكة والبيت العتيق ، وجمل أركانها وشرائط وجوبها

الباب الثانى : فى أعمالها الظاهرة على الترتيب من مبدأ السفر إلى الرجوع

الباب الثالث : فى آدابها الدقيقة وأسرارها المخفية وأعمالها الباطنة فلنبدأ بالباب الأول وفيه فصلان :

الفصل الأول : فى فضائل الحج وفضيلة البيت ومكة والمدينة حرسهما الله تعالى وشد الرحال إلى المساجد

﴿ كتاب أسرار الحج ﴾

(١) حديث من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا عد من حديث أبى هريرة : و ت نحوه من حديث على وقال غريب وفى اسناده مقال

(١) المائدة : ٣

فضيلة الحج

قال الله عز وجل (وَأَذِّن فِى النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ [١]) وقال قتادة لما أمر الله عز وجل إبراهيم صلى الله عليه وسلم وعلى نبينا وعلى كل عبد مصطفى أن يؤذن فى الناس بالحج ، نادى : يأيها الناس إن الله عز وجل بنى بيتا فحجوه . وقال تعالى (لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ [٢]) قيل التجارة فى الموسم ، والأجر فى الآخرة . ولما سمع بعض السلف هذا قال : غفر لهم ورب الكعبة . وقيل فى تفسير قوله عز وجل : (لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ [٣]) أى طريق مكة يقعد الشيطان عليه ليمنع الناس منها وقال صلى الله عليه وسلم [١] « مَنْ حَجَّ الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم [٢] « مَا رُئِيَ الشَّيْطَانُ فِى يَوْمٍ أَصْغَرَ وَلاَ أَدْحَرَ وَلاَ أَحْقَرَ وَلاَ أَغْيَظَ مِنْهُ يَوْمَ عَرَفَةَ » وما ذلك إلا لما يرى من نزول الرحمة ، وتجاوز الله سبحانه عن الذنوب العظام ، إذ يقال [٣] « إِنَّ مِنَ الذُّنُوبِ ذُنُوباً لاَ يُكَفِّرُهَا إِلاَّ الْوُقُوفُ بِعَرَفَةَ » وقد أسنده جعفر ابن محمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وذكر بعض المكاشفين من المقربين أن إبليس لعنة الله عليه ظهر له فى صورة شخص بعرفة ، فإذا هو ناحل الجسم ، مصفر اللون ، باكى العين ، مقصوف الظهر ، فقال له : ما الذى أبكى عينك ؛ قال : خروج الحاج إليه بلا تجارة أقول قد قصدوه أخاف أن لا يخيبهم فيحزننى ذلك ، قال فما الذى أنحل جسمك ؛ قال صهيل الخيل فى سبيل الله عز وجل ولو كانت فى سبيلى كان أحب إلىّ ، قال فما الذى غير لونك ؛ قال تعاون الجماعة على الطاعة ولو تعاونوا على المعصية كان أحب إلىّ ، قال فما الذى قصف ظهرك ؛ قال قول العبد أسألك حسن الخاتمة أقول يا ويلتى متى يعجب هذا بعمله أخاف أن يكون قد فطن

---

(١) حديث من حج البيت فلم يرفث ولم يفسق خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه : أخرجاه من حديث أبى هريرة

(٢) حديث ما رؤى الشيطان فى يوم هو أصغر ـ الحديث : مالك عن ابراهيم بن أبى عبلة عن طلحة بن عبد الله بن كريز مرسلا

(٣) حديث من الذنوب ذنوب لا يكفرها الا الوقوف بعرفة : لم أجد له أصلا

(١) الحج : ٢٧ (٢) الحج : ٢٨ (٣) الاعراف : ١٦

وقال صلى الله عليه وسلم : [١] « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حَاجّاً أَوْ مُعْتَمِراً فَمَاتَ أَجْرَى لَهُ أَجْرُ الْحَاجِّ الْمُعْتَمِرِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَمَنْ مَاتَ فِي إِحْدَى الْحَرَمَيْنِ لَمْ يُعْرَضْ وَلَمْ يُحَاسَبْ وَقِيلَ لَهُ ادْخُلِ الْجَنَّةَ » وقال صلى الله عليه وسلم : [٢] « حَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا وَحَجَّةٌ مَبْرُورَةٌ لَيْسَ لَهَا جَزَاءٌ إِلَّا الْجَنَّةُ » وقال صلى الله عليه وسلم : [٣] « الْحُجَّاجُ وَالْعُمَّارُ وَفْدُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَزُوَّارُهُ إِنْ سَأَلُوهُ أَعْطَاهُمْ وَإِنِ اسْتَغْفَرُوهُ غَفَرَ لَهُمْ وَإِنْ دَعَوْا اسْتُجِيبَ لَهُمْ وَإِنْ شَفَعُوا شُفِّعُوا » وفى حديث مسند من طريق أهل البيت عليهم السلام [٤] « أَعْظَمُ النَّاسِ ذَنْباً مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ فَظَنَّ أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يَغْفِرْ لَهُ »

وروى ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم [٥] أنه قال : « يَنْزِلُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةٌ وَعِشْرُونَ رَحْمَةً : سِتُّونَ لِلطَّائِفِينَ ، وَأَرْبَعُونَ لِلْمُصَلِّينَ ، وَعِشْرُونَ لِلنَّاظِرِينَ » [٦] وفى الخبر : « اسْتَكْثِرُوا مِنَ الطَّوَافِ بِالْبَيْتِ فَإِنَّهُ مِنْ أَجَلِّ شَيْءٍ تَجِدُونَهُ فِي صُحُفِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَغْبَطِ عَمَلٍ تَجِدُونَهُ » ولهذا يستحب الطواف ابتداء من غير حج ولا عمرة [٧] وفى الخبر : « مَنْ طَافَ أُسْبُوعًا حَافِياً حَاسِراً كَانَ لَهُ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ ، وَمَنْ طَافَ أُسْبُوعًا فِي الْمَطَرِ غُفِرَ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْ ذَنْبِهِ » ويقال إن الله عز وجل إذا غفر لعبده ذنبا فى الموقف غفره لكل من أصابه فى ذلك الموقف

---

(١) حديث من خرج من بيتـه حاجا أومعتمرا فمات أجرى الله له أجر الحاج المعتـمر الى يوم القيامـة ومن مات فى أحد الحرمين لم يعرض ولم يحاسب وقيل له ادخل الجنة: هق فى الشعب بالشطر الاول من حديث أبى هريرة وروى هو وقط من حديث عائشة الشطر الثانى نحوه وكلاهما ضعيف

(٢) حديث حجة مبرورة خير من الدنيا وما فيها وحجة مبرورة ليس لها جزاء إلا الجنة: أخرجاه من حديث أبى هريرة الشطر الثانى بلفظ الحج المبرور وقال أن الحجة المبرورة وعند ابن عدي حجة مبرورة

(٣) حديث الحجاج والعمار وفد الله وزواره ـ الحديث: ه من حديث أبى هريرة دون قوله وزواره ودون قوله ان سألوه أعطاهم وان شفعوا شفعوا وله من حديث ابن عمر وسألوه فأعطاهم ورواه حب

(٤) حديث أعظم الناس ذنبا من وقف بعرفه فظن أن الله لم يغفر له : الخطيب فى المتفق والمفترق وأبو منصور شهر دار بن شيرويه الديلمى فى مسند الفردوس من حديث ابن عمر باسناد ضعيف

(٥) حديث ينزل على هذا البيت فى كل يوم مائة وعشرون رحمة : حب فى الضعفاء وهق فى الشعب من حديث ابن عباس باسناد حسن وقال أبو حاتم حديث منكر

(٦) حديث استكثروا من الطواف بالبيت ـ الحديث : حب و ك من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة وقال ك صحيح على شرط الشيخين

(٧) حديث من طاف أسبوعا حافيا حاسرا كان له كعتق رقبة ومن طاف أسبوعا فى المطر غفر له ماسلف من ذنوبه: لم أجده هكذا وعند ت ه من حديث ابن عمر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة لفظ ت وحسنه

وقال بعض السلف : إذا وافق يوم عرفة يوم جمعة غفر لكل أهل عرفة ، وهو أفضل يوم في الدنيا وفيه حَجَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)] حَجَّةَ الْوَدَاعِ وَكَانَ وَاقِفًا إِذْ نَزَلَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ (اَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا[(١)]) قال أهل الكتاب : لو أنزلت هذه الآية علينا لجعلناها يوم عيد ، فقال عمر رضي الله عنه: أشهد لقد أنزلت هذه الآية في يوم عيدين اثنين : يوم عرفة ، ويوم جمعة ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو واقف بعرفة . وقال صلى الله عليه وسلم :[(٢)] « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْحَاجِّ وَلِمَنِ اسْتَغْفَرَ لَهُ الْحَاجُّ »

ويروى أن علي بن موفق حج عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حججا ، قال : فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي : يا ابن موفق حججت عني ؟ قلت نعم ، قال ولبيت عني قلت نعم ، قال فاني أكافئك بها يوم القيامة آخذ بيدك في الموقف فأدخلك الجنة والخلائق في كرب الحساب، وقال مجاهد وغيره من العلماء : إن الحجاج إذا قدموا مكة تلقتهم الملائكة فسلموا على ركبان الإبل ، وصافحوا ركبان الحمر ، واعتنقوا المشاة اعتناقا

وقال الحسن : من مات عقيب رمضان أو عقيب غزو أو عقيب حج ، مات شهيدا .

وقال عمر رضي الله عنه . الحاج مغفور له ولمن يستغفر له في شهر ذي الحجة والمحرم وصفر وعشرين من ربيع الأول .

وقد كان من سنة السلف رضي الله عنهم أن يشيعوا الغزاة، وأن يستقبلوا الحاج ، ويقبلوا بين أعينهم ويسألوهم الدعاء ، ويبادرون ذلك قبل أن يتدنسوا بالآثام .

ويروى عن علي بن موفق قال حججت سنة فلما كان ليلة عرفة نمت بمنى في مسجد الخيف فرأيت في المنام كأن ملكين قد نزلا من السماء عليهما ثياب خضر ،فنادى أحدهما صاحبه : يا عبد الله فقال الآخر : لبيك يا عبد الله ، قال تدري كم حج بيت ربنا عز وجل في هذه السنة قال : لا أدري ، قال حج بيت ربنا ستمائة ألف أفتدري كم قبل منهم ؟ قال لا قال ستة أنفس

---

(١) حديث وقوفه في حجة الوداع يوم الجمعة ونزول اليوم أكملت لكم دينكم الحديث: أخرجاه من حديث عمر

(٢) حديث اللهم اغفر للحجاج ولمن استغفر له الحاج : ك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م

(١) المائدة : ٣

قال : ثم ارتفعا فى الهواء فعاباعنى ، فانتبهت فزعا ، واغتممت غما شديدا ، وأهمنى أمرى ، فقلت إذا قبل حج ستة أنفس ؟ فأين أكون أنا فى ستة أنفس ؟ فلما أفضت من عرفة قمت عند المشعر الحرام فجعلت أفكر فى كثرة الخلق وفى قلة من قبل منهم ، فحملنى النوم فاذا الشخصان قد نزلا على هيئتهما فنادى أحدهما صاحبه وأعاد الكلام بعينه ، ثم قال : أتدرى ماذا حكم ربنا عز وجل فى هذه الليلة ؟ قال لا ، قال فانه وهب لكل واحد من الستة مائة ألف قال فانتبهت وبى من السرور ما يجل عن الوصف

وعنه أيضا رضى الله عنه قال حججت سنة فلما قضيت مناسكى تفكرت فيمن لا يقبل حجه فقلت : اللهم إنى قد وهبت حجتى وجعلت ثوابها لمن لم تقبل حجته ، قال فرأيت رب العزة فى النوم جل جلاله فقال لى : ياعلى تتسخى على وأنا خلقت السخاء والأسخياء ، وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين ، وأحق بالجود والكرم من العللين : قد وهبت كل من لم أقبل حجه لمن قبلته

فضيلة البيت ومكة المشرفة

قال صلى الله عليه وسلم :[1] « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ وَعَدَ هَذَا الْبَيْتَ أَنْ يَحُجَّهُ فِي كُلِّ سَنَةٍ سِتُّمِائَةِ أَلْفٍ ، فَإِنْ نَقَصُوا أَكْمَلَهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الْمَلَائِكَةِ ، وَإِنَّ الْكَعْبَةَ تُحْشَرُ كَالْعَرُوسِ الْمَزْفُوفَةِ وَكُلُّ مَنْ حَجَّهَا يَتَعَلَّقُ بِأَسْتَارِهَا يَسْعَوْنَ حَوْلَهَا حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ فَيَدْخُلُونَ مَعَهَا » وفى الخبر :[2] « إِنَّ الْحَجَرَ الْأَسْوَدَ يَاقُوتَةٌ مِنْ يَوَاقِيتِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَهُ عَيْنَانِ وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ يَشْهَدُ لِكُلِّ مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ وَصِدْقٍ » وَ« كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[3] يُقَبِّلُهُ كَثِيراً » وروى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[4] سَجَدَ عَلَيْهِ » وَ« كَانَ يَطُوفُ عَلَى الرَّاحِلَةِ

---

(١) حديث ان الله قد وعد هذا البيت ان يحجه فى كل سنة ستمائة ألف ـ الحدث : لم أجد له أصلا

(٢) حديث ان الحجر ياقوته من يوافيت الجنة ويبعث يوم القيامة له عينان ـ الحديث : ت وصححه ن من حديث ابن عباس الحجر الأسود من الجنة لفظ ن وباقي الحديث رواه ت وحسنه و ه وحب و لك وصحح اسناده من حديث ابن عباس أيضا وللحاكم من حديث أنس ان الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة وصحح اسناده ورواه ن حب لك من حديث عبدالله بن عمرو

(٣) حديث انه صلى الله عليه وسلم كان يقبله كثيرا أخرجاه من حديث عمر دون قوله كثيرا و ن أنه كان يقبله كل مرة ثلاثا ان رآه خاليا

(٤) حديث انه كان يسجد عليه : البزار و لك من حديث عمر وصحح اسناده

فيضعُ الْمِحْجَنَ عَلَيْهِ ثُمَّ يُقَبِّلُ طَرَفَ الْمِحْجَنِ »[1] «وَقَبَّلَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ: إِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكَ حَجَرٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَوْلَا أَنِّي رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ ثُمَّ بَكَى حَتَّى عَلَا نَشِيجُهُ فَالْتَفَتَ إِلَى وَرَائِهِ فَرَأَى عَلِيًّا كَرَّمَ اللهُ وَجْهَهُ وَرَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَقَالَ يَا أَبَا الْحَسَنِ هَاهُنَا تُسْكَبُ الْعَبَرَاتُ وَتُسْتَجَابُ الدَّعَوَاتُ، فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بَلْ هُوَ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ، قَالَ: وَكَيْفَ؟ قَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى الذُّرِّيَّةِ كَتَبَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا ثُمَّ أَلْقَمَهُ هَذَا الْحَجَرَ فَهُوَ يَشْهَدُ لِلْمُؤْمِنِ بِالْوَفَاءِ وَيَشْهَدُ عَلَى الْكَافِرِ بِالْجُحُودِ» قيل فذلك هو معنى قول الناس عند الاستلام: اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك

وروى عن الحسن البصرى رضى الله عنه أن صوم يوم فيها بمائة ألف يوم، وصدقة درهم بمائة ألف درهم، وكذلك كل حسنة بمائة ألف، ويقال طواف سبعة أسابيع يعدل عمرة وثلاث عمر تعدل حجة[2] وفى الخبر الصحيح: «عُمْرَةٌ فِي رَمَضَانَ كَحَجَّةٍ مَعِي» وقال صلى الله عليه وسلم:[3] «أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ ثُمَّ آتِي أَهْلَ الْبَقِيعِ فَيُحْشَرُونَ مَعِي ثُمَّ آتِي أَهْلَ مَكَّةَ فَأُحْشَرُ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ» وفى الخبر:[4] «إِنَّ آدَمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا قَضَى مَنَاسِكَهُ لَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ فَقَالُوا بَرَّ حَجُّكَ يَا آدَمُ لَقَدْ حَجَجْنَا هَذَا الْبَيْتَ قَبْلَكَ بِأَلْفَيْ عَامٍ» وجاء فى الأثر: «إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَنْظُرُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ فَأَوَّلُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ أَهْلُ الْحَرَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِ الْحَرَمِ أَهْلُ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، فَمَنْ رَآهُ طَائِفًا غَفَرَ لَهُ وَمَنْ رَآهُ مُصَلِّيًا غَفَرَ لَهُ وَمَنْ رَآهُ قَائِمًا مُسْتَقْبِلَ الْكَعْبَةِ غَفَرَ لَهُ»

---

(١) حديث قبله عمر وقال انى لأعلم انك حجر: أخرجاه دون الزيادة التى رواها على ورواه بتلك الزيادة ك وقال ليس من شرط الشيخين

(٢) حديث عمرة فى رمضان كحجة معى: أخرجاه من حديث ابن عباس دون قوله معى فهى عند مسلم على الشك تقضى حجة أو حجة معى ورواه ك بزيادتها من غير شك

(٣) حديث أنا أول من تنشق عنه الأرض ثم آتى أهل البقيع فيحشرون معى ـ الحديث: ت وحسنه وحب من حديث ابن عمر

(٤) حديث ان آدم لما قضى مناسكه لقيته الملائكة فقالوا برحجك يا آدم ـ الحديث: رواه المفضل الجندى ومن طريقه ابن الجوزى فى العلل من حديث ابن عباس وقال لايصح ورواه الأزرقى فى تاريخ مكة موقوفا على ابن عباس

وكوشف بعض الأولياء رضى الله عنهم ، قال : إنى رأيت الثغور كلها تسجد لعبادان ، ورأيت عبادان ساجدة لجدة . ويقال لا تغرب الشمس من يوم إلا ويطوف بهذا البيت رجل من الأبدال ، ولا يطلع الفجر من ليلة إلا طاف به واحد من الأوتاد ، وإذا انقطع ذلك كان سبب رفعه من الأرض فيصبح الناس وقد رفعت الكعبة لا يرى الناس لها أثرا وهذا إذا أتى عليها سبع سنين لم يحجها أحـد ، ثم يرفع القرآن من المصاحف فيصبح الناس فاذا الورق أبيض يلوح ليس فيه حرف ، ثم ينسخ القرآن من القلوب فلا يذكر منه كلمة ، ثم يرجع الناس إلى الأشعار والأغانى وأخبار الجاهلية ، ثم يخرج الدجال وينزل عيسى عليه السلام فيقتله ، والساعة عنـد ذلك بمنزلة الحامل المقرب التى تتوقع ولادتها . وفى الخبر [1] « اسْتَكْثِرُوا مِنَ الطَّوَافِ بِهذَا الْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يُرْفَعَ فَقَدْ هُدِمَ مَرَّتَيْنِ وَيُرْفَعُ فِى الثَّالِثَةِ » وروى عن على رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال قال الله تعالى : [2] « إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أُخَرِّبَ الدُّنْيَا بَدَأْتُ بِبَيْتِى فَخَرَّبْتُهُ ثُمَّ أُخَرِّبُ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِه »

فضيلة المقام بمكة المكرمة حرسها الله تعالى وكراهيته

كره الخائفون المحتاطون من العلماء المقام بمكة لمعان ثلاثة :

الأول : خوف التبرم والانس بالبيت ، فإن ذلك ربمـا يؤثر فى تسكين حرقة القلب فى الاحترام ، وهكذا كان عمر رضى الله عنه يضرب الحجاج إذا حجوا ويقول : يا أهل اليمن يمنكم ، ويأهل الشام شامكم ، ويأهل العراق عراقكم ولذلك هم عمر رضى الله عنه بمنع الناس من كثرة الطواف وقال خشيت أن يأنس الناس بهذا البيت

الثانى : تهييج الشوق بالمفارقة لتنبعث داعية العود ، فإن الله تعالى جعل البيت مثابة للناس وأمنا أى يثوبون ويعودون إليه مرة بعد أخرى ولا يقضون منه وطرا . وقال بعضهم: تكون فى بلد وقلبك مشتاق إلى مكة متعلق بهذا البيت خير لك من أن تكون فيه وأنت متبرم بالمقام وقلبك فى بلد آخر . وقال بعض السلف : كم من رجل بخراسان وهو أقرب إلى هذا البيت ممن يطوف به . ويقال إن لله تعالى عبادا تطوف بهم الكعبة تقربا إلى الله عز وجل

---

(١) حديث استكثروا من الطواف بهذا البيت ـ الحديث: البزار وحب ولك وصححه من حديث ابن عمر استمتعوا من هذا البيت فانه هدم مرتين ويرفع فى الثالثة

(٢) حديث قال الله اذا أردت أن أخرب الدنيا بدأت ببيتى فخربته ثم أخرب الدنيا على أثره: ليس له أصل

الثالث : الخوف من ركوب الخطايا والذنوب بها، فإن ذلك مخطر ، وبالحرى أن يورث مقت الله عز وجل لشرف الموضع . وروى عن وهيب بن الورد المكى قال : كنت ذات ليلة فى الحجر أصلى فسمعت كلاما بين الكعبة والأستار يقول إلى الله أشكو ثم إليك ياجبرائيل ماألقى من الطائفين حولى من تفكرهم فى الحديث ولغوهم ولهوهم ، لئن لم ينتهوا عن ذلك لأنتفضن انتفاضة يرجع كل حجر منى إلى الجبل الذى قطع منه .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه مامن بلد يؤاخذ فيه العبد بالنية قبل العمل إلا مكة ، وتلا قوله تعالى : (وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ[1]) أى أنه على مجرد الارادة ويقال إن السيآت تضاعف بها كما تضاعف الحسنات . وكان ابن عباس رضى الله عنه يقول الإحتكار بمكة من الالحاد فى الحرم . وقيل الكذب أيضاً وقال ابن عباس : لأن أذنب سبعين ذنباً بركية أحب إلى من أن أذنب ذنباً واحداً بمكة . وركية منزل بين مكة والطائف ولخوف ذلك انتهى بعض المقيمين إلى أنه لم يقض حاجته فى الحرم بل كان يخرج إلى الحل عند قضاء الحاجة . وبعضهم أقام شهرا ، وما وضع جنبه على الأرض . وللمنع من الاقامة كره بعض العلماء أجور دور مكة

ولا تظنن أن كراهة المقام يناقض فضل البقعة ، لأن هذه كراهة علتها ضعف الخلق وقصورهم عن القيام بحق الموضع . فمعنى قولنا : إن ترك المقام به أفضل ، أى بالاضافة إلى مقام مع التقصير والتبرم ، أما أن يكون أفضل من المقام مع الوفاء بحقه فهيهات ، وكيف لا ولما عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة استقبل الكعبة وقال[1] « إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وأَحَبُّ بِلَادِ اللهِ تَعَالَى إِلَيَّ وَلَوْلَا أَنِّى اخرِجْتُ مِنْكِ لَمَا خَرَجْتُ » وكيف لا . والنظر إلى البيت عباده ، والحسنات فيها مضاعفة كما ذكرناه ؟

---

(١) حديث انك لخير أرض الله وأحب بلاد الله الى الله ولولا انى أخرجت منك ماخرجت : ت وصححه و ن فى الكبرى و هو حسن من حديث عبد الله بن عدى بن الحمراء

(١) الحج : ٢٥

فضيلة المدينة الشريفة على سائر البلاد

ما بعد مكة بقعة أفضل من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فالأعمال فيها أيضا مضاعفة، قال صلى الله عليه وسلم [1] « صَلاةٌ فِي مَسْجِدِي هَذا خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيما سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ » وكذلك كل عمل بالمدينة بألف، وبعد مدينته الأرض المقدسة فان الصلاة فيها بخمسمائة صلاة فيما سواها إلا المسجد الحرام، وكذلك سائر الأعمال. وروى ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم [2] أنه قال: « صَلاةٌ فِي مَسْجِدِ الْمَدِينَةِ بِعَشْرَةِ آلَافِ صَلاةٍ ، وَصَلاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى بِأَلْفِ صَلاةٍ ، وَصَلاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ بِمِائَةِ أَلْفِ صَلاةٍ » وقال صلى الله عليه وسلم: [3] « مَنْ صَبَرَ عَلَى شِدَّتِهَا وَلَأْوَائِهَا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم : [4] « مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ فَإِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وما بعد هذه البقاع الثلاث فالمواضع فيها متساوية إلا الثغور فان المقام بها للمرابطة فيها فيه فضل عظيم. ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: [5] « لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ : الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَسْجِدِي هَذَا وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى »

وقد ذهب بعض العلماء إلى الاستدلال بهذا الحديث فى المنع من الرحلة لزيارة المشاهد وقبور العلماء والصلحاء، وماتبين لى أن الأمر كذلك ، بل الزيارة مأمور بها ، قال صلى الله عليه وسلم [6] « كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيَارَةِ الْقُبُورِ فَزُورُوهَا وَلَا تَقُولُوا هُجْراً » .

---

(١) حديث صلاة فى مسجدى هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام: متفق عليه من حديث أبي هريرة ورواه م من حديث ابن عمر

(٢) حديث ابن عباس صلاة فى مسجد المدينة بعشرة آلاف صلاة وصلاة فى المسجد الأقصى بألف صلاة وصلاة فى المسجد الحرام بمائة ألف صلاة: غريب لم أجده بجملته هكذا و ه من حديث ميمونة باسناد جيد فى بيت القدس إئتوه فصلوا فيه فان صلاة فيه كألف صلاة فى غيره وله من حديث أنس صلاة بالمسجد الأقصى بخمسين ألف صلاة وصلاة فى مسجدى بخمسين ألف صلاة ليس فى أسناده من ضعف وقال الذهبي انه منكر

(٣) حديث لا يصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شفيعا يوم القيامة: م من حديث أبي هريرة وابن عمر وأبي سعيد

(٤) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ـ الحديث: ت ه من حديث ابن عمر قال ت حسن صحيح

(٥) حديث لا تشد الرحال إلا الى ثلاثة مساجد ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد

(٦) حديث كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها م من حديث بريدة بن الحصيب

والحديث إنما ورد فى المساجد، وليس فى معناها المشاهد، لأن المساجد بعد المساجد الثلاثة متماثلة ، ولا بلد إلا وفيه مسجد فلا معنى للرحلة إلى مسجد آخر . وأما المشاهد فلا تتساوى ، بل بركة زيارتها على قدر درجاتهم عند الله عز وجل ، نعم لو كان فى موضع لا مسجد فيه فله أن يشد الرحال إلى موضع فيه مسجد ، وينتقل إليه بالكلية إن شاء

ثم ليت شعرى هل يمنع هذا القائل من شد الرحال إلى قبور الأنبياء عليهم السلام : مثل ابراهيم وموسى ويحيى وغيرهم عليهم السلام ! فالمنع من ذلك فى غاية الاحالة ، فإذا جوز هذا فقبور الأولياء والعلماء والصلحاء فى معناها ، فلا يبعد أن يكون ذلك من أغراض الرحلة ، كما أن زيارة العلماء فى الحياة من المقاصد هذا فى الرحلة

أما المقام فالأولى بالمريد أن يلازم مكانه إذا لم يكن قصده من السفر استفادة العلم مهما سلم له حاله فى وطنه ، فان لم يسلم فيطلب من المواضع ماهو أقرب إلى الخمول وأسلم للدين وأفرغ للقلب وأيسر للعبادة ، فهو أفضل المواضع له ، قال صلى الله عليه وسلم [1] « الْبِلَادُ بِلَادُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَالْخَلْقُ عِبَادُهُ فَأَيُّ مَوْضِعٍ رَأَيْتَ فِيهِ رِفْقاً فَأَقِمْ وَاحْمِدِ اللهَ تَعَالَى » وفى الخبر: [2] « مَنْ بُورِكَ لَهُ فِى شَيْءٍ فَلْيَلْزَمْهُ وَمَنْ جُعِلَتْ مَعِيشَتُهُ فِى شَيْءٍ فَلَا يَنْتَقِلْ عَنْهُ حَتَّى يَتَغَيَّرَ عَلَيْهِ »

وقال أبو نعيم : رأيت سفيان الثورى وقد جعل جرابه على كتفه وأخذ نعليه بيده ، فقلت إلى أين ياأباعبد الله ؟ قال : إلى بلد أملا فيه جرابى بدرهم . وفى حكاية أخرى بلغنى عن قرية فيها رخص أقيم فيها ، قال : فقلت وتفعل هذا ياأباعبد الله ؟ فقال نعم إذا سمعت برخص فى بلد فاقصده فانه أسلم لدينك وأقل لهمك . وكان يقول : هذا زمان سوء لا يؤمن فيه على الخاملين فكيف بالمشهورين ؟ هذا زمان تنقل ينتقل الرجل من قرية إلى قرية يفر بدينه من الفتن

---

(١) حديث البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فأى موضع رأيت فيه رفقا فأقم : أحمد والطبرانى من حديث الزبير بسند ضعيف

(٢) حديث من رزق فى شىء فليلزمه ومن جعلت معيشته فى شىء فلا ينتقل عنه حتى يتغير عليه: ه من حديث أنس بالجملة الاولى بسند حسن ومن حديث عائشة بسند فيه جهالة بلفظ اذا سبب الله لأحدكم رزقا من وجه فلا يدعه حتى يتغير أو يتنكر له

ويحكى عنه أنه قال : والله ما أدرى أى البلاد أسكن ؟ فقيل له : خراسان ، فقال : مذاهب مختلفة وآراء فاسدة ؟ قيل : فالشام ، قال : يشار اليك بالأصابع . أراد الشهرة قيل : فالعراق . قال : بلد الجبابرة . قيل مكة . قال : مكة تذيب الكيس والبدن . وقال له رجل غريب : عزمت على المجاورة بمكة فأوصنى . قال : أوصيك بثلاث : لاتصلين فى الصف الأول ، ولاتصحبن قرشيا ، ولا تظهرن صدقة . وإنما كره الصف الأول لانه يشتهر فيفتقد إذا غاب فيختلط بعمله التزين والتصنع

الفصل الثانى

فى شروط وجوب الحج وصحة أركانه وواجباته ومحظوراته

أما الشرائط : فشرط صحة الحج اثنان : الوقت ، والاسلام . فيصح حج الصبى ، ويحرم بنفسه إن كان مميزا ، ويحرم عنه وليه أن كان صغيرا ، ويفعل به مايفعل فى الحج من الطواف والسعى وغيره . وأما الوقت فهو شوال وذو القعدة وتسع من ذى الحجة إلى طلوع الفجر من يوم النحر . فمن أحرم بالحج فى غير هذه المدة فهى عمرة ، وجميع السنة وقت العمرة ، ولكن من كان معكوفا على النسك أيام منى فلا ينبغى أن يحرم بالعمرة لأنه لايتمكن من الاشتغال عقيبه لاشتغاله بأعمال منى

وأما شروط وقوعه عن حجة الاسلام فخمسة : الاسلام ، والحرية ، والبلوغ ، والعقل ، والوقت . فان أحرم الصبى أو العبد ولكن عتق العبد و بلغ الصبى بعرفة أو بمزدلفة وعاد إلى عرفة قبل طلوع الفجر ، أجزأهما عن حجة الاسلام ، لأن الحج عرفة ، وليس عليهما دم إلاشاة . وتشترط هذه الشرائط فى قوع العمرة عن فرض الاسلام الا الوقت

وإما شروط وقوع الحج نفلا عن الحر البالغ : فهو بعد براءة ذمته عن حجة الاسلام . فحج الاسلام متقدم ، ثم القضاء لمن أفسده فى حالة الوقوف ، ثم النذر ، ثم النيابة . ثم النفل وهذا الترتيب مستحق ، وكذلك يقع وإن نوى خلافه

وأما شروط لزوم الحج فخمسة : البلوغ ، والاسلام ، والعقل ، والحرية ، والاستطاعة . ومن لزمه فرض الحج لزمه فرض العمرة . ومن أراد دخول مكة لزيارة أو تجارة ولم يكن حطابا لزمه الاحرام على قول ، ثم يتحلل بعمل عمرة أو حج

وأما الاستطاعة فنوعان : أحدهما المباشرة ، وذلك له أسباب : أما فى نفسه فبالصحة ، وأما فى الطريق فبأن تكون خصبة آمنة بلابحر مخطر ولاعدو قاهر ، وأما فى المال فبأن يجد نفقته ذهابه وايابه إلى وطنه ، كان له أهل أولم يكن ، لأن مفارقة الوطن شديدة ، وأن يملك نفقة من تلزمه نفقته فى هذه المدة ، وأن يملك مايقضى به ديونه ، وأن يقدر على راحلة أو كرائها بمحمل أو زاملة إن استمسك على الزاملة

وأما النوع الثانى : فاستطاعة المعضوب بماله ، وهو أن يستأجر من يحج عنه بعد فراغ الأجير عن حجة الاسلام لنفسه ، ويكفى نفقة الذهاب بزاملة فى هذا النوع ، والابن إذا عرض طاعته على الاب الزمن صار به مستطيعا ، ولو عرض ماله لم يصر به مستطيعا ، لأن الخدمة بالبدن فيها شرف للولد ، وبذل المال فيه منة على الوالد . ومن استطاع لزمه الحج وله التأخير ، ولكنه فيه على خطر ، فان تيسر له ولو فى آخر عمره سقط عنه ، وإن مات قبل الحج لقى الله عز وجل عاصيا بترك الحج ، وكان الحج فى تركته يحج عنه وإن لم يوص ، كسائر ديونه . وإن استطاع فى سنة فلم يخرج مع الناس وهلك ماله فى تلك السنة قبل حج الناس ثم مات لقى الله عز وجل ولاحج عليه

ومن مات ولم يحج مع اليسار فأمره شديد عند الله تعالى ، قال عمر رضى الله عنه : لقد هممت أن أكتب فى الامصار بضرب الجزية على من لم يحج ممن يستطيع إليه سبيلا ! وعن سعيد ابن جبير وابراهيم النخعى ومجاهد وطاوس : لوعلمت رجلا غنيا وجب عليه الحج ثم مات قبل أن يحج ماصليت عليه . وبعضهم كان له جار موسر فمات ولم يحج فلم يصل عليه . وكان ابن عباس يقول : من مات ولم يزك ولم يحج سأل الرجعة الى الدنيا ، وقرأ قوله عزوجل « [1] رَبِّ أَرْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحاً فِيمَا تَرَكْتُ » قال الحج

وأما الأركان التى لايصح الحج بدونها فخمسة : الاحرام ، والطواف ، والسعى بعده ، والوقوف بعرفة ، والحلق بعده على قول . وأركان العمرة كذلك إلاالوقوف

والواجبات المجبورة بالدم ست : الاحرام من الميقات ، فمن تركه وجاوز الميقات محلا فعليه شاة ، والرمى فيه الدم قولا واحدا . وأما الصبر بعرفة إلى غروب الشمس. والمبيت بمزدلفة

(١) المؤمنون : ٩٩

والمبيت بمنى . وطواف الوداع . فهذه الأربعة يجبر تركها بالدم على أحد القولين ، وفى القول الثانى فيها دم على وجه الاستحباب

وأما وجوب أداء الحج والعمرة فثلاثة : الأول الافراد وهو الأفضل، وذلك أن يقدم الحج وحده ، فاذا فرغ خرج إلى الحل فأحرم واعتمر. وأفضل الحل لاحرام العمرة الجعرانة ، ثم التنعيم ، ثم الحديبية : وليس على المفرد دم إلا أن يتطوع

الثانى : القران وهو أن يجمع فيقول : لبيك بحجة وعمرة معا فيصير محرما بهما ، ويكفيه أعمال الحج ، وتندرج العمرة تحت الحج كما يندرج الوضوء تحت الغسل ، إلا أنه إذا طاف وسعى قبل الوقوف بعرفة فسعيه محسوب من النسكين . وأما طوافه فغير محسوب لأن شرط طواف الفرض فى الحج أن يقع بعد الوقوف . وعلى القارن دم شاة إلا أن يكون مكيا فلا شىء عليه ، لأنه لم يترك ميقاته إذ ميقاته مكة

الثالث : التمتع ، وهو أن يجاوز الميقات محرما بعمرة ويتحلل بمكة ويتمتع بالمحظورات إلى وقت الحج ثم يحرم بالحج ، ولا يكون متمتعا إلا بخمس شرائط :

أحدها: أن لا يكون من حاضرى المسجد الحرام، وحاضره من كان منه على مسافة لا تقصر فيها الصلاة

الثانى : أن يقدم العمرة على الحج

الثالث : أن تكون عمرته فى أشهر الحج

الرابع : أن لا يرجع إلى ميقات الحج ، ولا إلى مثل مسافته لإحرام الحج

الخامس : أن يكون حجه وعمرته عن شخص واحد

فاذا وجدت هذه الأوصاف كان متمتعا ولزمه دم شاة ، فان لم يجد فصيام ثلاثة أيام فى الحج قبل يوم النحر متفرقة أو متتابعة ، وسبعة إذا رجع إلى الوطن. وإن لم يصم الثلاثة حتى رجع إلى الوطن صام العشرة تتابعا أو متفرقا. وبدل دم القران والتمتع سواء . والافضل الافراد ثم التمتع ثم القران

وأما محظورات الحج والعمرة فستة :

الأول : اللبس للقميص والسراويل والخف والعمامة ، بل ينبغى أن يلبس أزارا ورداء ونعلين ، فان لم يجد نعلين فمكعبين ، فان لم يجد ازارا فسراويل ولا بأس بالمنطقة والاستظلال فى المحمل ، ولكن لا ينبغى أن يغطي رأسه فان احرامه فى الرأس . وللمرأة أن تلبس

كل مخيط بعد أن لا تستر وجهها بما يماسه فإن إحرامها فى وجهها

الثانى : الطيب ، فليجتنب كل مايعده العقلاء طيبا فان تطيب أولبس فعليه دم شاة

الثالث : الحلق والقلم ، وفيهما الفدية أعنى دم شاة . ولا بأس بالكحل ودخول الحمام والفصد والحجامة وترجيل الشعر

الرابع : الجماع ، وهو مفسد قبل التحلل الأول ، وفيه بدنة أو بقرة أو سبع شياه ، وأن كان بعد التحلل الأول لزمه البدنة ولم يفسد حجه

الخامس : مقدمات الجماع كالقبلة والملامسة التى تنقض الطهر مع النساء ، فهو محرم ، وفيه شاة ، وكذا فى الاستمناء . ويحرم النكاح والانكاح ، ولادم فيه لأنه لا ينعقد

السادس : قتل صيد البر أعنى مايؤكل أو هو متولد من الحلال والحرام ، فان قتل صيدا فعليه مثله من النعم يراعى فيه التقارب فى الخلقة ، وصيد البحر حلال ولا جزاء فيه

الباب الثالث

فى ترتيب الأعمال الظاهرة من أول السفر إلى الرجوع وهى عشر جمل

الجملة الاولى فى السير من أول الخروج إلى الاحرام ، وهى ثمانية :

الأولى فى المال : فينبغى أن يبدأ بالتوبة ، ورد المظالم ، وقضاء الديون ، واعداد النفقة لكل من تلزمه نفقته إلى وقت الرجوع ، ويرد ماعنده من الودائع ، ويستصحب من المال الحلال الطيب ما يكفيه لذهابه وإيابه من غير تقتير بل على وجه يمكنه معه التوسع فى الزاد والرفق بالضعفاء والفقراء ، ويتصدق بشىء قبل خروجه ، ويشترى لنفسه دابة قوية على الحمل لا تضعف ، أو يكتريها ، فان اكترى فليظهر للمكارى كل ما يريد أن يحمله من قليل أو كثير ويحصل رضاه فيه

الثانية : فى الرفيق : ينبغى أن يلتمس رفيقا صالحا محبا للخير معينا عليه ، إن نسى ذكره ، وإن ذكر أعانه ، وإن جبن شجعه ، وإن عجز قواه ، وإن ضاق صدره صبره . ويودع رفقاءه المقيمين وإخوانه وجيرانه ؛ فيودعهم ويلتمس أدعيتهم ؛ فان الله تعالى جاعل فى أدعيتهم خيرا

والسنة فى الوداع أن يقول[1] «أستودِعُ اللهَ دِينَكَ وأمانَتَكَ وخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ» وكان صلى الله عليه وسلم [2] يقول لمن أراد السفر «فى حِفْظِ اللهِ وكَنَفِهِ، زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَى وغَفَرَ ذَنْبَكَ ووَجَّهَكَ لِلْخَيْرِ أَيْنَمَا كُنْتَ»

الثالثة: فى الخروج من الدار: ينبغى إذا هَمَّ بالخروج أن يصلى ركعتين أولا، يقرأ فى الأولى بعد الفاتحة (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ)، وفى الثانية الاخلاص، فاذا فرغ رفع يديه ودعا الله سبحانه عن إخلاص صاف ونية صادقة، وقال: اللهم أنت الصاحب فى السفر، وأنت الخليفة فى الأهل والمال والولد والأصحاب، احفظنا وإياهم من كل آفة وعاهة، اللهم إنا نسألك فى مسيرنا هذا البر والتقوى ومن العمل ما ترضى، اللهم انا نسألك أن تطوى لنا الأرض، وتهون علينا السفر، وأن ترزقنا فى سفرنا سلامة البدن والدين والمال، وتبلغنا حج بيتك وزيارة قبر نبيك محمد صلى الله عليه وسلم، اللهم إنا نعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى الأهل والمال والولد والأصحاب، اللهم اجعلنا وإياهم فى جوارك، ولا تسلبنا وإياهم نعمتك، ولا تغير ما بنا وبهم من عافيتك

الرابعة: إذ حصل على باب الدار قال: بسم الله توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، رب أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أذل أو أذل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل على، اللهم إنى لم أخرج أشرا ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة، بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا إلى لقائك. فاذا مشى قال: اللهم بك انتشرت وعليك توكلت، وبك اعتصمت وإليك توجهت، اللهم أنت ثقتي وأنت رجائى، فاكفنى ما أهمنى وما لا أهتم به وما أنت أعلم به منى، عز جارك وجل ثناؤك ولا إله غيرك، اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبى ووجهنى للخير أينما توجهت. ويدعو بهذا الدعاء فى كل منزل يدخل عليه

﴿ الباب الثانى فى ترتيب الأفعال الظاهرة ﴾

(١) حديث استودعُ الله دِينك وأمانتك وخواتيم عملك: د ت وصححه و ن من حديث ابن عمر أنه كان يقول للرجل اذا اراد سفرا ادن منى حتى أودعك كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يودعنا

(٢) حديث كان صلى الله عليه وسلم يقول لمن اراد سفرا فى حفظ الله وكنفه زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك للخير أينما توجهت فى الدعاء: الطبرانى من حديث أنس وهو عند ت وحسنه دون قوله فى حفظ الله وكنفه

الخامسة فى الركوب : فاذا ركب الراحلة يقول : بسم الله وبالله والله أكبر ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ، ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن ، سبحان الذى سخر لنا هذا وما كناله مقرنين، وإنا إلى ربنا لمنقلبون ، اللهم إنى وجهت وجهى اليك وفوضت أمرى كله اليك وتوكلت فى جميع أمورى عليك ، أنت حسبى ونعم الوكيل ؛ فاذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال ، سبحان الله والحمدلله ولا إله إلاالله والله أكبر ، سبع مرات ، وقال : الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، اللهم أنت الحامل على الظهر وأنت المستعان على الأمور

السادسة فى النزول: والسنة أن لاينزل حتى يحمى النهار ، ويكون أكثر سيره بالليل ، قال صلى الله عليه وسلم[1] « عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ فَإِنَّ ٱلارْضَ تُطْوَى بِٱللَّيْلِ مَا لاَ تُطْوَى بِٱلنَّهَارِ » وليقلل نومه بالليل حتى يكون عونا على السير ، ومهما أشرف على المنزل فليقل : اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ، ورب البحار وماجرين ، أسألك خير هذا المنزل وخير أهله ، وأعوذ بك من شره وشر مافيه ، اصرف عنى شر شرارهم ، فاذا نزل المنزل صلى ركعتين فيه ثم قال : أعوذ بكلمات الله التامة التى لايجوزهن بر ولا فاجر من شر ماخلق . فاذا جن عليه الليل يقول : ياأرض ربى وربك الله ، أعوذ بالله من شرك وشر مافيك ، وشر مادب عليك ، أعوذ بالله من شر كل أسد وأسود ، وحية وعقرب ، ومن شر ساكن البلد ، ووالد وماولد ، (وَلَهُ مَا سَكَنَ فِى ٱللَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ [1])

السابعة فى الحراسة : ينبغى أن يحتاط بالنهار ، فلا يمشى منفردا خارج القافلة لأنه ربما يغتال أو ينقطع ، ويكون بالليل متحفظا عند النوم[2] فان نام فى ابتداء الليل افترش ذراعه ، وإن نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل رأسه فى كفه ، هكذا كان ينام

---

(١) حديث عليكم بالدلجة فان الارض تطوى بالليل مالا تطوى بالنهار : د من حديث أنس دون قوله مالا تطوى بالنهار وهذه الزيادة فى الموطأ من حديث خالد بن معدان مرسلا

(٢) حديث كان اذا نام فى أول الليل افترش ذراعه واذا نام فى آخر الليل نصب ذراعه نصبا وجعل ذراعه فى كفه : أحمد و ت فى الشمائل من حديث أبى قتادة باسناد صحيح وعزاه أبو مسعود الدمشقى والحميدى الى م ولم أره فيه

(١) الانعام : ١٣

رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفره ، لأنه ربما استثقل النوم فتطلع الشمس وهو لايدرى، فيكون مايفوته من الصلاة أفضل مما يناله من الحج . والأحب في الليل [١] أَنْ يَتَنَاوَبَ الرَّفِيقَانِ فِي الْحِرَاسَةِ ، فاذا نام أحدهما حرس الآخر فهو السنة ، فان قصده عدو أو سبع في ليل أو نهار فليقرأ آية الكرسى وشهدالله ، والاخلاص والمعوذتين ، وليقل : بسم الله ماشاء الله لاقوة الابالله ، حسبى الله توكلت على الله ، ماشاء الله لا يأتى بالخير الاالله ، ماشاء الله لايصرف السوء الاالله ، حسبى الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى ولادون الله ملجا ، كتب الله لأغلبن أنا ورسلى إن الله قوى عزيز ، تحصنت بالله العظيم ، واستغثت بالحى الذى لايموت ، اللهم احرسنا بعينك التى لاتنام ، واكنفنا بركنك الذى لايرام ، اللهم ارحمنا بقدرتك علينا فلانهلك وأنت ثقتنا ورجاؤنا ، اللهم أعطف علينا قلوب عبادك وإمائك برأفة ورحمة انك أنت أرحم الراحمين

الثامنة : مهما علا نشزا من الأرض فى الطريق فيستحب أن يكبر ثلاثا ، ثم يقول : اللهم لك الشرف على كل شرف ، ولك الحمد على كل حال، ومهما هبط سبّح ، ومهما خاف الوحشة فى سفره قال: سبحان الله الملك القدوس، رب الملائكة والروح، جللت السموات بالعزة والجبروت

الجملة الثانية فى آداب الاحرام من الميقات الى دخول مكة وهى خمسة :

الأول: أن يغتسل وينوى به غسل الاحرام ، أعنى إذا انتهى إلى الميقات المشهور الذى يحرم الناس منه ، ويتمم غسله بالتنظيف، ويسرح لحيته ورأسه ، ويقلم أظفاره ، ويقص شاربه ويستكمل النظافة التى ذكرناها فى الطهارة

الثانى : إن يفارق الثياب المخيطة ويلبس ثوبى الاحرام ، فيرتدى ويتزر بثوبين أبيضين فالأبيض هو أحب الثياب إلى الله عز وجل ، ويتطيب فى ثيابه وبدنه ، ولا بأس بطيب يبقى جرمه بعد الاحرام [٢] فقد « رُوِىَ بَعْضُ الْمِسْكِ عَلَى مَفْرِقِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ الْإِحْرَامِ » مما كان استعمله قبل الاحرام

---

(١) حديث تناوب الرفيقين فى الحراسة فاذا نام أحدهما حرس الآخر : هق من طريق ابن اسحق من حديث جابر فى حديث فيه فقال الانصارى للمهاجرى أى الليل أحب اليك أن أكفيكه أوله أو آخره فقال له اكفنى أوله فاضطجع المهاجرى ـ الحديث : والحديث عند أبى داود ولكن ليس فيه قول الانصارى للمهاجرى

(٢) حديث رؤية وبيض المسك على مفرق رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الاحرام : متفق عليه من حديث عائشة قالت كأنما أنظر الى وبيض المسك ـ الحديث :

الثالث : أن يصبر بعد لبس الثياب حتى تنبعث به راحلته إن كان راكبا ، أو يبدأ بالسير إن كان راجلا ، فعند ذلك ينوى الاحرام بالحج أو بالعمرة قرانا أو افرادا كما أراد ، ويكفي مجرد النية لانعقاد الاحرام ، ولكن السنة أن يقرن بالنية لفظ التلبية فيقول : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لاشريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك . وان زاد قال: لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك ، والرغباء اليك ، لبيك بحجة حقا ، تعبدا ورقا ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد

الرابع : إذا انعقد احرامه بالتلبية المذكورة فيستحب أن يقول : اللهم إنى أريد الحج فيسره لى وأعنى على أداء فرضه وتقبله منى ، اللهم انى نويت أداء فريضتك فى الحج فاجعلنى من الذين استجابوا لك وآمنوا بوعدك واتبعوا أمرك ، واجعلنى من وفدك الذين رضيت عنهم وارتضيت وقبلت منهم ، اللهم فيسرلى أداء مانويت من الحج ، اللهم قد أحرم لك لحمى وشعرى ودمى وعصبى ومخى وعظامى ، وحرمت على نفسى النساء والطيب ولبس المخيط ابتغاء وجهك والدار الآخرة . ومن وقت الاحرام حرم عليه المحظورات الستة التى ذكرناها من قبل ، فليجتنبها

الخامس : يستحب تجديد التلبية فى دوام الاحرام خصوصا عند اصطدام الرفاق ، وعند اجتماع الناس ، وعند كل صعود وهبوط ، وعند كل ركوب ونزول ، رافعا بها صوته بحيث لا يبح حلقه ولاينبهر [1] فانه لاَ يُنَادِى أَصَمَّ وَلاَ غَائِباً كما ورد فى الخبر . ولا بأس برفع الصوت بالتلبية فى المساجد الثلاثة ، فانها مظنة المناسك ، أعنى المسجد الحرام ، ومسجد الخيف ، ومسجد الميقات . وأما سائر المساجد فلا بأس فيها بالتلبية من غير رفع صوت . وكان صلى الله عليه وسلم [2] إذا أعجبه شىء قال « لَبَّيْكَ إِنَّ الْعَيْشَ عَيْشُ الآخِرَةِ »

---

(١) حديث انكم لاتنادون أصم ولا غائبا : متفق عليه من حديث أبى موسى

(٢) حديث كان اذا أعجبه شىء قال لبيك ان العيش عيش الآخرة : الشافعى فى المسند من حديث مجاهد مرسلا بنحوه وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف بعرفات فلما قال لبيك اللهم لبيك قال انما الخير خير الآخرة

الجملة الثالثة في آداب دخول مكة إلى الطواف، وهي ستة:

الأول: أن يغتسل بذي طوى لدخول مكة. والاغتسالات المستحبة المسنونة في الحج تسعة: الأول للاحرام من الميقات، ثم لدخول مكة، ثم لطواف القدوم، ثم للوقوف بعرفة، ثم للوقوف بمزدلفة، ثم ثلاثة أغسال لرمي الجمار الثلاث، ولا غسل لرمي جمرة العقبة، ثم لطواف الوداع. ولم ير الشافعي رضي الله عنه في الجديد الغسل لطواف الزيارة ولطواف الوداع، فتعود إلى سبعة

الثاني: أن يقول عند الدخول في أول الحرم وهو خارج مكة: اللهم هذا حرمك وأمنك فحرم لحمي ودمي وشعري وبشري على النار، وآمني من عذابك يوم تبعث عبادك، واجعلني من أوليائك وأهل طاعتك

الثالث: أن يدخل مكة من جانب الأبطح وهو من ثنية كداء بفتح الكاف «عَدَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] مِنْ جَادَّةِ الطَّرِيقِ إِلَيْهَا» فالتأسي به أولى. وإذا خرج خرج من ثنية كدى بضم الكاف وهي الثنية السفلى، والاولى هي العليا

الرابع: إذا دخل مكة وانتهى إلى رأس الردم فعنده يقع بصره على البيت، فليقل: لا إله إلا الله والله أكبر، اللهم أنت السلام ومنك السلام، ودارك دار السلام، تباركت يا ذا الجلال والاكرام، اللهم إن هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته، اللهم فزده تعظيما، وزده تشريفا وتكريما، وزده مهابة، وزد من حجه برا وكرامة، اللهم افتح لي أبواب رحمتك وأدخلني جنتك، وأعذني من الشيطان الرجيم

الخامس: إذا دخل المسجد الحرام فليدخل من باب بني شيبة وليقل: بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاذا قرب من البيت قال: الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وعلى ابراهيم خليلك وعلى جميع أنبيائك ورسلك، وليرفع يديه وليقل: اللهم اني أسألك في مقامي هذا في أول مناسكي أن تقبل توبتي وأن تتجاوز عن خطيئتي وتضع عني وزري، الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة للناس وأمنا، وجعله مباركا وهدى للعالمين، اللهم إني عبدك

---

(١) حديث دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثنية كداء بفتح الكاف: متفق عليه من حديث ابن عمر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل مكة دخل من الثنية العليا التي بالبطحاء الحديث

والبلد بلدك ، والحرم حرمك ، والبيت بيتك ، جئتك أطلب رحمتك وأسألك مسئلة المضطر الخائف من عقوبتك ، الراجى لرحمتك ، الطالب مرضاتك .

السادس: أن تقصد الحجر الاسود بعد ذلك وتمسه بيدك اليمنى وتقبله وتقول : اللهم أمانتى أديتها وميثاق وفيته اشهد لى بالموافاة ، فان لم يستطع التقبيل وقف فى مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرج على شىء دون الطواف وهو طواف القدوم إلا أن يجد الناس فى المكتوبة فيصلى معهم ثم يطوف

الجملة الرابعة فى الطواف :

فاذا أراد افتتاح الطواف إما للقدوم وأما لغيره فينبغى أن يراعى أمورا ستة :

الأول: أن يراعى شروط الصلاة من طهارة الحدث والخبث فى الثوب والبدن والمكان وستر العورة فالطواف بالبيت صلاة ، ولكن الله سبحانه أباح فيه الكلام ، وليضطبع قبل ابتداء الطواف، وهو أن يجعل وسط ردائه تحت إبطه اليمنى ويجمع طرفيه على منكبه الايسر فيرخى طرفا وراء ظهره وطرفا على صدره ، ويقطع التلبية عند ابتداء الطواف ، ويشتغل بالادعية التى سنذكرها

الثانى : إذا فرغ من الاضطباع فليجعل البيت على يساره ، وليقف عند الحجر الأسود ، وليتنح عنه قليلا ليكون الحجر قدامه فيمر بجميع الحجر بجميع بدنه فى ابتداء طوافه ، وليجعل بينه وبين البيت قدر ثلاث خطوات ليكون قريبا من البيت فانه أفضل ، ولكيلا يكون طائفاً على الشاذروان ، فإنه من البيت ، وعند الحجر الأسود قد يتصل الشاذروان بالأرض ويلتبس به ، والطائف عليه لا يصح طوافه لأنه طائف فى البيت . والشاذروان هو الذى فضل عن عرض جدار البيت بعد أن ضيق أعلى الجدار ، ثم من هذا الموقف يبتدىء الطواف

الثالث : أن يقول قبل مجاوزة الحجر بل فى ابتداء الطواف : بسم الله والله أكبر ، اللهم إيمانا بك وتصديقا بكتابك ، ووفاء بعهدك واتباعا لسنة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم . ويطوف ، فأول ما يجاوز الحجر ينتهى إلى باب البيت فيقول : اللهم هذا البيت بيتك ،وهذا الحرم حرمك ، وهذا الامن أمنك ، وهذا مقام العائذ بك من النار . وعند ذكر المقام يشير بعينه إلى مقام ابراهيم عليه السلام: اللهم ان بيتك عظيم ووجهك كريم وأنت أرحم الراحمين

فأعذني من النار ، من الشيطان الرجيم ، وحرم لحمي ودمي على النار ، وآمني من أهوال يوم القيامة ، واكفني مؤنة الدنيا والآخرة . ثم يسبح الله تعالى ويحمده حتى يبلغ الركن العراقي، فعنده يقول : اللهم إني أعوذ بك من الشرك والشك ، والكفر والنفاق ، والشقاق وسوء الاخلاق ، وسوء المنظر في الاهل والمال والولد . فاذا بلغ الميزاب قال : اللهم أظلنا تحت عرشك يوم لاظل إلاظلك ، اللهم اسقني بكأس محمد صلى الله عليه وسلم شربة لا أظمأ بعدها أبدا . فاذا بلغ الركن الشامي قال : اللهم اجعله حجا مبرورا ، وسعيا عليه مشكورا ، وذنبا مغفورا ، وتجارة لن تبور ، ياعزيز ياغفور ، رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم . فاذا بلغ الركن اليماني قال : اللهم إني أعوذ بك من الكفر ، وأعوذ بك من الفقر ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة المحيا والممات ، وأعوذ بك من الخزي في الدنيا والآخرة . ويقول بين الركن اليماني والحجر الأسود : اللهم ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا برحمتك فتنة القبر وعذاب النار . فاذا بلغ الحجر الأسود قال : اللهم اغفرلي برحمتك ، أعوذ برب هذا الحجر من الدين والفقر ، وضيق الصدر وعذاب القبر . وعند ذلك قدتم شوط واحد : فيطوف كذلك سبعة أشواط فيدعو بهذه الأدعية في كل شوط

الرابع : أن يرمل في ثلاثة أشواط،ويمشي في الأربعة الأخر على الهيئة المعتادة . ومعنى الرمل الاسراع في المشي مع تقارب الخطأ، وهو دون العدو،وفوق المشي المعتاد ؛ والمقصود منه ومن الاضطباع اظهار الشطارة والجلادة والقوة .هكذا كان القصد أولا قطعا لطمع الكفار و بقيت تلك السنّة[1] والأفضل الرمل مع الدنوّ من البيت؛ فان لم يمكنه للزحمة فالرمل مع البعد أفضل ؛ فليخرج إلى حاشية المطاف وليرمل ثلاثا ؛ ثم ليقرب إلى البيت في المزدحم

---

(١) حديث مشروعية الرمل والاضطباع قطعا لطمع الكفار وبقيت تلك السنة أما الرمل : فمتفق عليه من حديث ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فقال المشركون أنه يقدم عليكم قوم قد وهنتهم حمى يثرب فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا الاشواط الثلاثة ـ الحديث : وأما الاضطباع فروى د ه ك وصححه من حديث عمر قال فيم الرملان الآن والكشف عن المناكب وقد أظهر الله الاسلام ونفى الكفر وأهله ومع ذلك لاندع شيئا كنا نفعله على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم

وليمش أربعا ؛ وإن أمكنه استلام الحجر فى كل شوط فهو الأحب ؛ وإن منعه الزحمة أشار باليد وقبّل يده ؛ وكذلك استلام الركن اليمانى يستحب من سائر الأركان . وروى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] كَانَ يَسْتَلِمُ الرُّكْنَ الْيَمَانِيَّ وَيُقَبِّلُهُ[2] وَيَضَعُ خَدَّهُ عَلَيْهِ »[3] ومن أراد تخصيص الحجر بالتقبيل واقتصر فى الركن اليمانى على الاستلام أغنى عن اللمس باليد فهو أولى

الخامس : إذا تم الطواف سبعا فليأت الملتزم ؛ وهو بين الحجر والباب ؛ وهو موضع استجابة الدعوة ؛ وليلتزق بالبيت ؛ وليتعلق بالأستار ؛ وليلصق بطنه بالبيت ؛ وليضع عليه خده الأيمن وليبسط عليه ذراعيه وكفيه ، وليقل : اللهم يارب البيت العتيق أعتق رقبتى من النار وأعذنى من الشيطان الرجيم ؛ وأعذنى من كل سوء ؛ وقنعنى بما رزقتنى ؛ وبارك لى فيما آتيتنى اللهم ان هذا البيت بيتك ؛ والعبد عبدك ؛ وهذا مقام العائذ بك من النار ؛ اللهم اجعلنى أكرم وفدك عليك . ثم ليحمد الله كثيرا فى هذا الموضع وليصل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الرسل كثيرا وليدع بحوائجه الخاصة وليستغفر من ذنوبه . كان بعض السلف فى هذا الموضع يقول لمواليه تنحوا عنى حتى أقر لربى بذنوبى

السادس : إذا فرغ من ذلك ينبغى أن يصلى خلف المقام ركعتين يقرأ فى الأولى

---

(١) حديث استلامه صلى الله عليه وسلم للركن اليمانى : متفق عليه من حديث ابن عمر قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يقدم مكه اذا استلم الركن الاسود ـ الحديث : ولهما من حديثه لم أر رسول الله صلى الله عليه وسلم يمس من الاركان الا اليمانين ولمسلم من حديث ابن عباس لم أره يستلم غير الركنين اليمانيين وله من حديث جابر الطويل حتى اذا أتيت البيت معه استلم الركن

(٢) حديث تقبيله صلى الله عليه وسلم له : متفق عليه من حديث عمر أنه قبل الحجر وقال لولا إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلك ماقبلتك وللبخارى من حديث ابن عمر رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستلمه ويقبله وله فى التاريخ من حديث ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا استلم الركن اليمانى قبله

(٣) حديث وضع الخد عليه : قط ك من حديث ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الركن اليمانى ـ الحديث : قال ك صحيح الاسناد قلت فيه عبد الله ن مسلم بن هرمز ضعفه الجمهور

قل يا أيها الكافرون ، وفى الثانية الاخلاص ، وهما ركعتا الطواف ، قال الزهرى[١] مضت السُّنة أن يصلى لكل سبع ركعتين ، وإن قرن بين أسابيع وصلى ركعتين جاز[٢] فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكل أسبوع طواف ، وليدع بعد ركعتى الطواف ، وليقل: اللهم يسر لى اليسرى وجنبنى العسرى ، واغفرلى فى الآخرة والاولى ، واعصمنى بألطافك حتى لا أعصيك ، وأعنّى على طاعتك بتوفيقك وجنبنى معاصيك ، واجعلنى ممن يُحبك ويحب ملائكتك ورسلك ويحب عبادك الصالحين ، اللهم حببنى إلى ملائكتك ورسلك وإلى عبادك الصالحين ، اللهم فكما هديتنى إلى الاسلام فثبتنى عليه بألطافك وولايتك ، واستعملنى لطاعتك وطاعة رسولك ، وأجرنى من مضلات الفتن . ثم ليعد إلى الحجر وليستلمه وليختم به الطواف . قال صلى الله عليه وسلم:[٣] « مَنْ طَافَ بِالْبَيْتِ اسْبُوعًا وَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ فَلَهُ مِنَ الأَجْرِ كَعِتْقِ رَقَبَةٍ » : وهذه كيفية الطواف . والواجب من جملته بعد شروط الصلاة أن يستكمل عدد الطواف سبعا بجميع البيت ، وأن يبتدىء بالحجر الاسود ويجعل البيت على يساره ، وأن يطوف داخل المسجد وخارج البيت ، لا على الشاذروان ولا فى الحجر ، وأن يوالى بين الأشواط ولا يفرقها تفريقا خارجا عن المعتاد ، وما عدا هذا فهو سنن وهيآت

الجملة الخامسة فى السعى :

فاذا فرغ من الطواف فليخرج من باب الصفا وهو فى محاذاة الضلع الذى بين الركن اليمانى والحجر ، فاذا خرج من ذلك الباب وانتهى إلى الصفا وهو جبل ، فيرقى فيه درجات

---

(١) حديث الزهرى مضت السنة أن يصلى لكل أسبوع ركعتين : ذكره خ تعليقا السنة أفضل لم يطف النبي صلى الله عليه وسلم أسبوعا إلا صلى ركعتين وفى الصحيحين من حديث ابن عمر قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف بالبيت سبعا وصلى خلف المقام ركعتين

(٢) حديث قرانه صلى الله عليه وسلم بين أسابيع : ابن أبى حاتم من حديث بن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قرن ثلاثة أطواف ليس بينها صلاة ورواه عق فى الضعفاء وابن شاهين فى أماليه من حديث أبى هريرة وزاد ثم صلى لكل أسبوع ركعتين وفى أسنادهما عبد السلام بن أبى الجبوب منكر ـ الحديث :

(٣) حديث من طاف بالبيت أسبوعا وصلى ركعتين فله من الاجر كعتق رقبة : ت وحسنه و ن ه من حديث ابن عمر من طاف بالبيت وصلى ركعتين كان كعتق رقبة لفظ ه وقال الآخر من طاف بهذا البيت أسبوعا فأحصاه كان كعتق رقبة وللبيهقى فى الشعب من طاف أسبوعا وركع ركعتين كانت كعتاق رقبة

فى حضيض الجبل بقدر قامة الرجل . رَقِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] حَتَّى بَدَتْ لَهُ الْكَعْبَةُ » وابتداء السعي من أصل الجبل كاف . وهذه الزيادة مستحبة ، ولكن بعض تلك الدرج مستحدثة ، فينبغي أن لايخلفها وراء ظهره فلا يكون متما للسعى . وإذا ابتدأ من هاهنا سعى بينه وبين المروة سبع مرات

وعند رقيه فى الصفا ينبغي أن يستقبل البيت ويقول : الله أكبر الله أكبر ، الحمد لله على ماهدانا ، الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها ، لا إله إلا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت ، بيده الخير وهو على كل شيء قدير ، لا إله إلا الله وحده صدق وعده ، ونصر عبده ، وأعز جنده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ، الحمد لله رب العالمين ، فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون ، وله الحمد فى السموات والأرض وعشيا وحين تظهرون ، يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ويحيي الأرض بعد موتها وكذلك تخرجون ، ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون ، اللهم إنى أسألك إيمانا دائما ويقينا صادقا ، وعلما نافعا ، وقلبا خاشعا ، ولسانا ذاكرا ، وأسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة فى الدنيا والآخرة . ويصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ويدعوا لله عز وجل بما شاء من حاجته عقيب هذا الدعاء

ثم ينزل ويبتدىء السعي وهو يقول : رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم إنك أنت الأعز الأكرم ، اللهم آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار . ويمشى على هينة حتى ينتهي إلى الميل الأخضر وهو أول مايلقاه إذا نزل من الصفا ، وهو على زاوية المسجد الحرام فاذا بقي بينه وبين محاذاة الميل ستة أذرع أخذ في السير السريع وهو الرمل حتى ينتهي إلى الميلين الأخضرين ، ثم يعود إلى الهينة

فإذا انتهى الى المروة صعدها كما صعد الصفا ، وأقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعاء ، وقد حصل السعي مرة واحدة ، فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان ، يفعل ذلك سبعا

---

(١) حديث انه رقى على الصفا حتى بدت له الكعبة: م من حديث جابر فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى رأى البيت وله من حديث أبي هريرة أتى الصفا فعلا عليه حتي نظر الى البيت

ويرمل فى موضع الرمل فى كل مرة ، ويسكن فى موضع السكون كما سبق ، وفى كل نوبة يصعد الصفا والمروة ، فاذا فعل ذلك فقد فرغ من طواف القدوم والسعى وهما سنتان والطهارة مستحبة للسعى وليست بواجبة ؛ بخلاف الطواف. وإذا سعى فينبغى أن لا يعيد السعى بعد الوقوف . ويكتفى بهذا ركنا ، فانه ليس من شرط السعى أن يتأخر عن الوقوف وإنما ذلك شرط فى طواف الركن، نعم شرط كل سعى أن يقع بعد طواف أى طواف كان

الجملة السادسة فى الوقوف وما قبله

الحاج إذا انتهى يوم عرفة إلى عرفات فلا يتفرغ لطواف القدوم ودخول مكة قبل الوقوف . وإذا وصل قبل ذلك بأيام فطاف طواف القدوم فيمكث محرما إلى اليوم السابع من ذى الحجة، فيخطب الامام بمكة خطبة بعد الظهر عند الكعبة، ويأمر الناس بالاستعداد للخروج إلى منى يوم التروية والمبيت بها وبالغدوّ منها إلى عرفة لاقامة فرض الوقوف بعد الزوال ؛ إذ وقت الوقوف من الزوال إلى طلوع الفجر الصادق من يوم النحر . فينبغى أن يخرج إلى منى ملبيا . ويستحب له المشى من مكة فى المناسك إلى انقضاء حجته إن قدر عليه ، والمشى من مسجد ابراهيم عليه السلام إلى الموقف أفضل وآكد.

فاذا انتهى إلى منى قال : اللهم هذه منى فامنن علىّ بما مننت به على أوليائك وأهل طاعتك . وليمكث هذه الليلة بمنى، وهو مبيت منزل لا يتعلق به نسك، فاذا أصبح يوم عرفة صلى الصبح ، فاذا طلعت الشمس على ثبير سار إلى عرفات ويقول : اللهم اجعلها خير غدوة غدوتها قط ، وأقربها من رضوانك ، وأبعدها من سخطك ، اللهم إليك غدوت وإياك رجوت وعليك اعتمدت ووجهك أردت فاجعلنى ممن تباهى به اليوم من هو خير منى وأفضل

فاذا أتى عرفات فليضرب خباءه بنمرة قريبا من المسجد فَثَمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] قُبَّتَهُ . ونمرة هى بطن عرنة دون الموقف ودون عرفة وليغتسل للوقوف .

---

(١) حديث ضربه صلى الله عليه وسلم قبته بنمرة : مسلم من حديث جابر الطويل فأمر بقبة من شعر تضرب له بنمرة ـ الحديث :

فاذا زالت الشمس خطب الأمام خطبة وجيزة وقعد ، وأخذ المؤذن فى الأذان والامام فى الخطبة الثانية، ووصل الاقامة بالاذان ، وفرغ الامام مع تمام إقامة المؤذن، ثم جمع بين الظهر والعصر بأذان وإقامتين، وقصر الصلاة ، وراح إلى الموقف، فليقف بعرفة ولا يقفن فى وادى عرنة

وأما مسجد إبراهيم عليه السلام فصدره فى الوادى وأخرياته من عرفة فمن وقف فى صدر المسجد لم يحصل له الوقوف بعرفة ، ويتميز مكان عرفة من المسجد بصخرات كبار فرشت ثم . والأفضل أن يقف عند الصخرات بقرب الامام مستقبلا للقبلة راكبا ، وليكثر من أنواع التحميد والتسبيح والتهليل والثناء على الله عز وجل والدعاء والتوبة ، ولا يصوم فى هذا اليوم ليقوى على المواظبة على الدعاء ، ولا يقطع التلبية يوم عرفة بل لأحب أن يلبي تارة ويكب على الدعاء أخرى

وينبغى أن لا ينفصل من طرف عرفة الا بعد الغروب ليجمع فى عرفة بين الليل والنهار ، وإن أمكنه الوقوف يوم الثامن ساعة عند إمكان الغلط فى الهلال فهو الحزم وبه الامن من الفوات

ومن فاته الوقوف حتى طلع الفجر يوم النحر فقد فاته الحج ، فعليه أن يتحلل عن إحرامه بأعمال العمرة ، ثم يريق دما لأجل الفوات ، ثم يقضى العام الآتى . وليكن أهم اشتغاله فى هذا اليوم الدعاء ، ففى مثل تلك البقعة ومثل ذلك الجمع ترجى إجابة الدعوات

والدعاء المأثور عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] وعن السلف فى يوم عرفة أولى ما يدعو به فليقل : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حى لا يموت بيده الخير وهو على كل شىء قدير ، اللهم اجعل فى قلبى نوراً ، وفى سمعى نوراً ،

---

(١) حديث الدعاء المأثور فى يوم عرفة لا اله الا الله وحده لا شريك له ـ الحديث : ت من رواية عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده أن النبى صلى الله عليه وسلم قال خير الدعاء دعاء يوم عرفة وخير ماقلت أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير وقال حسن غريب وله من حديث على قال أكثر مادعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة فى الموقف اللهم لك الحمد كالذى تقول وخيرا مما نقول لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى واليك مآبى ولك رب تراثى اللهم انى أعوذ بك من شر ماتجىء به الريح وقال ليس بالقوى اسناده وروى المستغفرى فى الدعوات من حديثه ياعلى ان أكثر دعاء من قبلى يوم عرفة أن أقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير اللهم اجعل فى بصرى نورا وفى سمعى نورا وفى قلبي نورا اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمري اللهم إنى أعوذ بك من وسواس الصدر وشتات الامر وفتنة القبر وشر مايلج

وفى بصرى نورا ، وفى لسانى نورا ، اللهم اشرح لى صدرى ويسر لى أمرى. وليقل: اللهم رب الحمد لك الحمد كما نقول وخيرا مما نقول ، لك صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى ، واليك ما بى واليك ثوابى اللهم إنى أعوذ بك من وساوس الصدر وشتات الأمر وعذاب القبر ، اللهم إنى أعوذ بك من شر ما يلج فى الليل ، ومن شر مايلج فى النهار ، ومن شر ماتهب به الرياح ، ومن شر بوائق الدهر ، اللهم إنى أعوذ بك من تحول عافيتك وفجأة نقمتك وجميع سخطك ، اللهم اهدنى بالهدى ، واغفرلى فى الآخرة والأولى ، ياخير مقصود ، وأسنى منزول به ، وأكرم مسؤل مالديه ، أعطنى العشية أفضل ماأعطيت أحدا من خلقك وحجاج بيتك ياأرحم الراحمين اللهم يارفيع الدرجات ومنزل البركات ، ويافاطر الأرضين والسموات : ضجت اليك الأصوات بصنوف اللغات يسألونك الحاجات ، وحاجتى اليك أن لاتنسانى فى دار البلاء إذا نسينى أهل الدنيا، اللهم إنك تسمع كلامى وترى مكانى وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شيء من أمرى ، أنا البائس الفقير المستغيث المستجير ، الوجل المشفق المعترف بذنبه ، أسألك مسألة المسكين ، وأبتهل اليك ابتهال المذنب الذليل ، وأدعوك دعاء الخائف الضرير ، دعاء من خضعت لك رقبته ، وفاضت لك عبرته ، وذل لك جسده ، ورغم لك أنفه . اللهم لاتجعلنى بدعائك رب شقيا ، وكن بى رءوفا . رحيما ، ياخير المسؤلين ، وأكرم المعطين .

الهى من مدح لك نفسه فانى لائم نفسى ، الهى أخرست المعاصى لسانى فمالى وسيلة من عمل ، ولاشفيع سوى الأمل . الهى إنى أعلم أن ذنوبي لم تبق لى عندك جاها ولا للاعتذار وجها ولكنك أكرم الأكرمين . إلهى إن لم أكن أهلا أن أبلغ رحمتك فان رحمتك أهل أن تبلغنى ، ورحمتك وسعت كل شيء ، وأنا شيء . إلهى إن ذنوبى وإن كانت عظاما ولكنها صغار فى جنب عفوك فاغفرها لى يا كريم . إلهى أنت أنت وأنا أنا أنا العواد إلى الذنوب ، وأنت العواد إلى المغفرة . إلهى إن كنت لاترحم إلا أهل طاعتك فالى من يفزع المذنبون .

فى الليل وشر ما يلج فى النهار وشر ماتهب به الرياح ومن شر بوائق الدهر واسناده ضعيف وروى الطبرانى فى المعجم الصغير من حديث ابن عباس قال كان مما دعا به رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية عرفة اللهم انك ترى مكانى وتسمع كلامى وتعلم سرى وعلانيتى ولا يخفى عليك شيء من أمرى أنا البائس الفقير فذكر الحديث : الى قوله ياخير المسؤلين وياخير المعطين واسناده ضعيف وباقى الدعاء من دعاء بعض السلف وفى بعضه ماهو مرفوع ولكن ليس مقيدا بموقف عرفة .

إلهى تجنبت عن طاعتك عمداً وتوجهت إلى معصيتك قصدا ، فسبحانك ما أعظم حجتك على وأكرم عفوك عنى ، فبوجوب حجتك على وانقطاع حجتى عنك وفقرى اليك وغناك عنى إلا غفرت لى ، يا خير من دعاه داع ، وأفضل من رجاه راج ، بحرمة الاسلام ، وبذمة محمد عليه السلام أتوسل اليك فاغفر لى جميع ذنوبى ، واصرفنى من موقفى هذا مقضى الحوائج ، وهب لى ماسألت، وحقق رجائى فيما تمنيت . إلهى دعوتك بالدعاء الذى علمتنيه فلا تحرمنى الرجاء الذى عرفتنيه . إلهى ماأنت صانع العشية بعبد مقر لك بذنبه ، خاشع لك بذلته ، مستكين بجرمه ، متضرع اليك من عمله ، تائب اليك من اقترافه ، مستغفر لك من ظلمه ، مبتهل اليك فى العفو عنه ، طالب اليك نجاح حوائجه ، راج اليك فى موقفه مع كثرة ذنوبه ، فياملجأ كل حى ، وولى كل مؤمن ، من أحسن فبرحمتك يفوز ، ومن أخطأ فبخطيئته يهلك . اللهم اليك خرجنا ، وبفنائك أنخنا ، وإياك أملنا ، وما عندك طلبنا ، ولإحسانك تعرضنا ، ورحمتك رجونا ، ومن عذابك أشفقنا ، واليك بأثقال الذنوب هربنا ، ولبيتك الحرام حججنا ، يامن يملك حوائج السائلين ، ويعلم ضمائر الصامتين ، يامن ليس معه رب يدعى ، ويامن ليس فوقه خالق يخشى ، ويامن ليس له وزير يؤتى ، ولا حاجب يرشى ، يامن لا يزداد على كثرة السؤال إلا جودا وكرما ، وعلى كثرة الحوائج إلا تفضلا وإحسانا . اللهم إنك جعلت لكل ضيف قرى ، ونحن أضيافك فاجعل قرانا منك الجنة . اللهم إن لكل وفد جائزة ولكل زائر كرامة ، ولكل سائل عطية ، ولكل راج ثوابا ، ولكل ملتمس لما عندك جزاء ، ولكل مسترحم عندك رحمة ولكل راغب إليك زلفى ، ولكل متوسل إليك عفوا ، وقد وفدنا إلى بيتك الحرام ، ووقفنا بهذه المشاعر العظام ، وشهدنا هذه المشاهد الكرام ، رجاء لما عندك ، فلا تخيب رجاءنا . إلهنا تابعت النعم حتى اطمأنت الأنفس بتتابع نعمك ، وأظهرت العبر حتى نطقت الصوامت بحجتك ، وظاهرت المنن حتى اعترف أولياؤك بالتقصير عن حقك ، وأظهرت الآيات حتى أفصحت السموات والأرضون بأدلتك ، وقهرت بقدرتك حتى خضع كل شىء لعزتك ، وعنت الوجوه لعظمتك ، إذا أساءت عبادك حلمت وأمهلت ، وإن أحسنوا تفضلت وقبلت ، وإن عصوا سترت ، وإن أذنبوا عفوت وغفرت ، وإذا دعونا أجبت ، وإذا نادينا سمعت ، وإذا أقبلنا إليك قربت ،

وإذا ولينا عنك دعوت . إلهنا إنك قلت فى كتابك المبين لمحمد خاتم النبيين : (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ (١)) فأرضاك عنهم الاقرار بكلمة التوحيد بعد الجحود ، وإنا نشهد لك بالتوحيد مخبتين ، ولمحمد بالرسالة مخلصين ، فاغفر لنا بهذه الشهادة سوالف الإجرام ، ولا تجعل حظنا فيه أنقص من حظ من دخل فى الاسلام إلهنا إنك أحببت التقرب إليك بعتق ماملكت أيماننا ونحن عبيدك وأنت أولى بالتفضل فأعتقنا ، وإنك أمرتنا أن نتصدق على فقرائنا ونحن فقراؤك وأنت أحق بالتطول فتصدق علينا ، ووصيتنا بالعفو عمن ظلمنا وقد ظلمنا أنفسنا وأنت أحق بالكرم فاعف عنا ، ربنا اغفر لنا وارحمنا أنت مولانا ، ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا برحمتك عذاب النار

وليكثر من دعاء الخضر عليه السلام وهو أن يقول : يامن لا يشغله شأن عن شأن ، ولا سمع عن سمع ، ولا تشتبه عليه الأصوات ، يامن لا تغلطه المسائل ولا تختلف عليه اللغات ، يامن لا يبرمه إلحاح الملحين ، ولا تضجره مسئلة السائلين ، أذقنا بَرْد عفوك وحلاوة مناجاتك ، وليدع بما بداله . وليستغفر له ولوالديه ولجميع المؤمنين والمؤمنات ، وليلح فى الدعاء ، وليعظم المسئلة فان الله لا يتعاظمه شيء وقال مطرف بن عبد الله وهو بعرفة : اللهم لا ترد الجميع من أجلى . وقال بكر المزنى قال رجل لما نظرت إلى أهل عرفات ظننت أنهم قد غفر لهم لولا أنى كنت فيهم

الجملة السابعة فى بقية أعمال الحج بعد الوقوف من المبيت والرمى والنحر والحلق والطواف

فاذا أفاض من عرفة بعد غروب الشمس فينبغى أن يكون على السكينة والوقار . وليجتنب وجيف الخيل وإيضاع الابل كما يعتاده بعض الناس ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) « نَهَى عَنْ وَجِيفِ الْخَيْلِ وَإِيضَاعِ الْإِبِلِ ، وقال : اتَّقُوا اللهَ وَسِيرُوا سَيْراً جَمِيلاً لَا تَطَؤُا ضَعِيفاً وَلَا تُؤْذُوا مُسْلِماً » فاذا بلغ المزدلفة اغتسل لها لان المزدلفة من الحرم ، فليدخله بغسل وإن قدر على دخوله ماشيا فهو أفضل وأقرب إلى توقير الحرم ، ويكون فى الطريق رافعا صوته بالتلبية

---

(١) حديث نهى النبي عن وجيف الخيل وإيضاع الابل: ن ك وصححه من حديث أسامة بن زيد عليكم بالسكينة والوقار فان البر ليس فى ايضاع الابل وقال ك ليس البر ايجاف الخيل والابل وللبخارى من حديث ابن عباس فان البر ليس بالايضاع

(١) الأنفال : ٣٨

فاذا بلغ المزدلفة ، قال : اللهم إن هذه مزدلفة ، جمعت فيها ألسنة مختلفة ، تسألك حوائج مؤتنفة، فاجعلني ممن دعاك فاستجبت له ، وتوكل عليك فكفيته ، ثم يجمع بين المغرب والعشاء بمزدلفة فى وقت العشاء قاصرا لها بأذان واقامتين ليس بينهما نافلة ، ولكن يجمع نافلة المغرب والعشاء والوتر بعد الفريضتين ، ويبدأ بنافلة المغرب ، ثم بنافلة العشاء كما فى الفريضتين ، فان ترك النوافل فى السفر خسران ظاهر ، وتكليف ايقاعها فى الأوقات إضرار وقطع للتبعية بينها وبين الفرائض. فاذا جاز أن يؤدى النوافل مع الفرائض بتيمم واحد بحكم التبعية فبأن يجوز أداؤها على حكم الجمع بالتبعية أولى . ولا يمنع من هذا مفارقة النفل للفرض فى جواز أدائه على الراحلة لما أومأنا اليه من التبعية والحاجة ثم يمكث تلك الليلة بمزدلفة وهو مبيت نسك . ومن خرج منها فى النصف الأول من الليل ولم يبت فعليه دم وإحياء هذه الليلة الشريفة من محاسن القربات لمن يقدر عليه

ثم إذا انتصف الليل يأخذ فى التأهب للرحيل، ويتزوّد الحصى منها ، ففيها أحجار رخوة فليأخذ سبعين حصاة فانها قدر الحاجة . ولا بأس بأن يستظهر بزيادة فربما يسقط منه بعضها ولتكن الحصى خفافا بحيث يحتوى عليه أطراف البراجم ، ثم ليغلس بصلاة الصبح ، وليأخذ فى المسير حتى إذا انتهى إلى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف ويدعو إلى الاسفار ويقول اللهم بحق المشعر الحرام ، والبيت الحرام والشهر الحرام والركن والمقام ، أبلغ روح محمد منا التحية والسلام ، وأدخلنا دار السلام ، ياذا الجلال والاكرام

ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهى إلى موضع يقال له وادى محسر ، فيستحب له أن يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادى وإن كان راجلا أسرع فى المشى

ثم إذا أصبح يوم النحر خلط التلبية بالتكبير : فيلبي تارة ويكبر أخرى ، فينتهي إلى منى ومواضع الجمرات وهى ثلاثة ، فيتجاوز الأولى والثانية فلا شغل له معهما يوم النحر ؛ حتى ينتهى الى جمرة العقبة ، وهى على يمين مستقبل القبلة فى الجادة والمرمى مرتفع قليلا فى سفح الجبل ، وهو ظاهر بمواقع الجمرات ، ويرمى جمرة العقبة بعد طلوع الشمس بقدر رمح

وكيفيته : أن يقف مستقبلا للقبلة وإن استقبل الجمرة فلا بأس ، ويرمى سبع حصيات رافعاً يده ، ويبدل التلبية بالتكبير ، ويقول مع كل حصاة : الله أكبر على طاعة الرحمن

ورغم الشيطان ، اللهم تصديقا بكتابك واتباعا لسنة نبيك ، فاذا رمى قطع التلبية والتكبير ، الا التكبير عقيب فرائض الصلوات من ظهر يوم النحر الى عقيب الصبح من آخر أيام التشريق . ولا يقف فى هذا اليوم للدعاء بل يدعو فى منزله

وصفة التكبير أن يقول: الله أكبر الله أكبر، الله أكبر كبيرا ، والحمد لله كثيرا ، وسبحانه الله بكرة وأصيلا، لا إله إلا الله وحده لا شريك له مخلصين له الدين ولو كره الكافرون ، لا اله الا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، لا اله إلا الله والله أكبر. ثم ليذبح الهدى إن كان معه ، والأولى أن يذبح بنفسه ، وليقل : بسم الله والله أكبر اللهم منك وبك وأليك ، تقبل منى كما تقبلت من خليك ابراهيم

والتضحية بالبدن أفضل ، ثم بالبقر ، ثم بالشاة ، والشاة أفضل من مشاركة ستة فى البدنة أو البقرة ، والضأن أفضل من المعز ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] «خَيْرُ الْأُضْحِيَةِ الْكَبْشُ الْاقرَنُ» والبيضاء أفضل من الغبراء والسوداء . وقال أبو هريرة : البيضاء أفضل فى الأضحى من دم سوداوين . وليأكل منه إن كانت من هدى التطوع . ولا يضحين بالعرجاء والجدعاء والعضباء والجرباء والشرقاء والخرقاء والمقابلة والمدابرة والعجفاء . والجدع فى الأنف والاذن القطع منهما . والغضب فى القرن : وفى نقصان القوائم . والشرقاء المشقوقة الأذن من فوق . والخرقاء من أسفل . والمقابلة المخروقة الأذن من قدام . والمدابرة من خلف . والعجفاء المهزولة التى لا تنقى أى لا مخ فيها من الهزال

ثم ليحلق بعد ذلك والسنة أن يستقبل القبلة ويبتدىء بمقدم رأسه فيحلق الشق الأيمن إلى العظمين المشرفين على القفا ، ثم ليحلق الباقى ويقول : اللهم أثبت لى بكل شعرة حسنة وامح عنى بها سيئة ، وارفع لى بها عندك درجة . والمرأة تقصر الشعر ، والأصلع يستحب له إمرار الموسى على رأسه . ومهما حلق بعد رمى الجمرة فقد حصل له التحلل الأول ، وحل له كل المحذورات إلا النساء والصيد

ثم يفيض إلى مكة ويطوف كما وصفناه . وهذا الطواف طواف ركن فى الحج ، ويسمى طواف الزيارة . وأول وقته بعد نصف الليل من ليلة النحر . وأفضل وقته يوم النحر ،

---

(١) حديث خير الاضحية الكبش: د من حديث عبادة بن الصامت و ت ه من حديث أبى أمامة قال ت غريب وعفير يضعف فى الحديث

ولا آخر لوقته بل أن يؤخر إلى أى وقت شاء ، ولكن يبقى مقيداً بعلقة الاحرام ، فلا تحل له النساء إلى أن يطوف ، فاذا طاف تم التحلل وحل الجماع وارتفع الاحرام بالكلية ، ولم يبق إلا رمى أيام التشريق والمبيت بمنى وهى واجبات بعد زوال الاحرام على سبيل الاتباع للحج وكيفية هذا الطواف مع الركعتين كما سبق فى طواف القدوم. فاذا فرغ من الركعتين فليسع كما وصفنا إن لم يكن سعى بعد طواف القدوم ، وإن كان قد سعى فقد وقع ذلك ركنا فلا ينبغى أن يعيد السعى

وأسباب التحلل ثلاثة : الرمى ، والحلق ، والطواف الذى هو ركن. ومهما أتى باثنين من هذه الثلاثة فقد تحلل أحد التحللين ولا حرج عليه فى التقديم والتأخير بهذه الثلاث مع الذبح ، ولكن الأحسن أن يرمى ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف

والسنة للامام فى هذا اليوم أن يخطب بعد الزوال ، وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم ففى الحج أربع خطب : خطبة يوم السابع وخطبة يوم عرفة . وخطبة[1] يوم النحر ، وخطبة يوم النفر الأول . وكلها عقيب الزوال ، وكلها افراد إلا خطبة يوم عرفة فانها خطبتان بينهما جلسة

ثم إذا فرغ من الطواف عاد الى منى للمبيت والرمى ، فيبيت تلك الليلة بمنى ، وتسمى ليلة القر لأن الناس فى غد يقرون بمنى ولا ينفرون ، فاذا أصبح اليوم الثانى من العيد وزالت الشمس اغتسل للرمي وقصد الجمرة الأولى التى تلى عرفة وهى على يمين الجادة ، ويرمى اليها بسبع حصيات ، فاذا تعداها انحرف قليلا عن يمين الجادة ووقف مستقبل القبلة وحمد الله تعالى وهلل وكبر ودعا مع حضور القلب وخشوع الجوارح ، ووقف مستقبل القبلة قدر قراءة سورة البقرة مقبلا على الدعاء ، ثم يتقدم إلى الجمرة الوسطى ويرمى كما رمى الأولى ، ويقف كما وقف للاولى ، ثم يتقدم إلى جمرة العقبة ويرمي سبعا ، ولا يعرج على شغل بل يرجع إلى منزله ويبيت تلك الليلة بمنى ، وتسمى هذه الليلة ليلة النفر الأول ، ويصبح

---

(١) حديث الخطبة يوم النحر وهى خطبة وداع رسول الله صلى الله عليه وسلم: خ من حديث أبى بكرة خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم النحر وله من حديث ابن عباس خطب الناس يوم النحر وفى حديث علقه خ ووصله هـ من حديث ابن عمر وقف النبى صلى الله عليه وسلم يوم النحر بين الجمرات فى الحجة التى حج فيها فقال أى يوم هذا ـ الحديث : وفيه ثم ودع الناس فقالوا هذه حجة الوداع

فاذا صلى الظهر فى اليوم الثانى من أيام التشريق رمى فى هـذا اليوم إحدى وعشرين حصاة كاليوم الذي قبله ، ثم هو مخـير بين المقام بمنى وبين العود إلى مكة ، فان خرج من منى قبل غروب الشمس فلا شىء عليه ، وان صبر إلى الليل فلا يجوز له الخروج بل لزمه المبيت حتى يرمى فى يوم النفر الثانى أحـدا وعشرين حجرا كما سبق . وفى ترك المبيت والرمى اراقة دم ، وليتصدق باللحم ، وله أن يزور البيت فى ليالى منى بشرط أن لا يبيت إلا بمنى كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ [1] ولا يتركن حضور الفرائض مع الأمام فى مسجد الخيف ، فان فضله عظيم ، فاذا أفاض من منى فالاولى أن يقيم بالمحصب من منى ، ويصلى العصر والمغرب والعشاء ويرقد رقدة فهو السنة [2] رواه جماعة من الصحابة رضى الله عنهم ، فان لم يفعل ذلك فلا شىء عليه

الجملة الثامنة فى صفة العمرة وما بعدها إلى طواف الوداع

من أراد أن يعتمر قبل حجه أو بعده كيفما أراد فليغتسل ويلبس ثياب الاحرام كما سبق فى الحج ، ويحرم بالعمرة من ميقاتها

وأفضل مواقيتها الجعرانة ، ثم التنعيم ، ثم الحديبية . وينوى العمرة ويلبى ، ويقصد مسجد عائشة رضي الله عنها ويصلى ركعتين ويدعو بما شاء ، ثم يعود إلى مكة وهو يلبى حتى يدخل المسجد الحرام ، فاذا دخـل المسجد ترك التلبية وطاف سبعا وسعى سبعا كما وصفنا . فاذا فرغ حلق رأسه وقد تمت عمرته

والمقيم بمكة ينبغى أن يكثر الاعتمار والطواف · وليكثر النظر إلى البيت . فاذا دخـله فليصل ركعتين بين العمودين فهو الافضل ، وليدخله حافيا موقرا ، قيل لبعضهم : هل دخلت بيت ربك اليوم ؟ فقـال : والله ما أرى هاتين القـدمين أهـلا للطواف حول بيت ربى

---

(١) حديث زيارة البيت في ليالى منى والمبيت بمنى: د فى المراسيل من حديث طاوس قال أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يفيض كل ليلة من ليالى منى قال د وقد أسند قلت وصله ابن عدى عن طاوس عن ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزور البيت أيام منى وفيـه عمرو بن رباح ضعيف والمرسل صحيح الاسناد ولأبى داود من حـديث عائشة ان النبي صلى الله عليه وسلم مكث بمنى ليالى أيام التشريق

(٢) حديث نزول المحصب وصلاة العصر والمغرب والعشاء به والرقود به رقدة : خ من حـديث أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلي الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالبطحاء ثم هجع هجعة ـ الحديث :

فكيف أراهما أهلا لأن ألمّ بهما بيت ربي ، وقد علمت حيث مشيتا وإلى أين مشيتا ؟ وليكثر شرب ماء زمزم ، وليستق بيده من غير استنابة إن أمكنه ، وليرتو منه حتى يتضلع ، وليقل : اللهم اجعله شفاء من كل داء وسقم ، وارزقني الاخلاص واليقين والمعافاة في الدنيا والآخرة !

قال صلى الله عليه وسلم [1] « مَاءُ زَمْزَمَ لِمَا شُرِبَ لَهُ » أي يشفي ماقصد به

الجملة التاسعة في طواف الوداع

مهما عنّ له الرجوع إلى الوطن بعد الفراغ من إتمام الحج والعمرة فلينجز أولا أشغاله ، وليشد رحاله ، وليجعل آخر أشغاله وداع البيت . ووداعه بأن يطوف به سبعا كما سبق ولكن من غير رمل واضطباع ، فاذا فرغ منه صلى ركعتين خلف المقام ، وشرب من ماء زمزم ، ثم يأتي الملتزم ويدعو ويتضرع ويقول : اللهم إن البيت بيتك والعبد عبدك وابن عبدك وابن أمتك ، حملتني على ما سخرت لي من خلقك حتى سيرتني في بلادك ، وبلغتني بنعمتك حتى أعنتني على قضاء مناسكك ، فان كنت رضيت عني فازدد عني رضا ، وإلا فمنّ الآن قبل تباعدي عن بيتك ، هذا أوان انصرافي إن أذنت لي غير مستبدل بك ولا ببيتك ولا راغب عنك ولا عن بيتك ، اللهم أصحبني العافية في بدني ، والعصمة في ديني ، وأحسن منقلبي ، وارزقني طاعتك أبدا ما أبقيتني ، واجمع لي خير الدنيا والآخرة إنك على كل شيء قدير ، اللهم لا تجعل هذا آخر عهدي ببيتك الحرام ، وإن جعلته آخر عهدي فعوضني عنه الجنة ! والأحب أن لا يصرف بصره عن البيت حتى يغيب عنه

الجملة العاشرة في زيارة المدينة وآدابها

قال صلى الله عليه وسلم [2] « مَنْ زَارَنِي بَعْدَ وَفَاتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي » وقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث ماء زمزم لما شرب له : ه من حديث جابر بسند ضعيف ورواه قط و ك في المستدرك من حديث ابن عباس قال الحاكم صحيح الاسناد ان سلم من محمد بن حبيب الجارودي قال ابن القطان سلم منه فان الخطيب قال فيه كان صدوقا قال ابن القطان لكن الراوي عنه مجهول وهو محمد بن هشام المروزي

(٢) حديث من زارني بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي : الطبراني والدارقطني من حديث ابن عمر

[1]« وَمَنْ وَجَدَ سَعَةً وَلَمْ يَفِدْ إِلَيَّ فَقَدْ جَفَانِي » وقال صلى الله عليه وسلم[2] « مَنْ جَاءَنِي زَائِرًا لَا يُهِمُّهُ إِلَّا زِيَارَتِي كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ سُبْحَانَهُ أَنْ أَكُونَ لَهُ شَفِيعًا » فمن قصد زيارة المدينة فليصل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى طريقه كثيرا

فإذا وقع بصره على حيطان المدينة وأشجارها قال : اللهم هذا حرم رسولك فاجعله لى وقاية من النار وأمانا من العذاب وسوء الحساب . وليغتسل قبل الدخول من بئر الحرة ، وليتطيب ، وليلبس أنظف ثيابه ، فإذا دخلها فليدخلها متواضعا معظما ، وليقل : بسم الله وعلى ملة رسول الله صلى الله عليه وسلم رب أدخلنى مُدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيرا

ثم يقصد المسجد ويدخله ، ويصلى بجنب المنبر ركعتين ، ويجعل عمود المنبر حذاء منكبه الأيمن ، ويستقبل السارية التى إلى جانبها الصندوق ، وتكون الدائرة التى فى قبلة المسجد بين عينيه ، فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يغير المسجد . وليجتهد أن يصلى فى المسجد الأول قبل أن يزاد فيه

ثم يأتى قبر النبى صلى الله عليه وسلم فيقف عند وجهه ، وذلك بأن يستدبر القبلة ويستقبل جدار القبر على نحو من أربعة أذرع من السارية التى فى زاوية جدار القبر ، ويجعل القنديل على رأسه : وليس من السنة أن يمس الجدار ولا أن يقبله ، بل الوقوف من بعد أقرب للاحترام فيقف ويقول : السلام عليك يارسول الله ، السلام عليك يانبى الله ، السلام عليك ياأمين الله ، السلام عليك ياحبيب الله ، السلام عليك ياصفوة الله ، السلام عليك ياخيرة الله ، السلام عليك ياأحمد ، السلام عليك يامحمد ، السلام عليك ياأبا القاسم ، السلام عليك ياماحى ، السلام عليك ياعاقب ، السلام عليك ياحاشر ، السلام عليك يابشير ، السلام عليك يانذير ،

---

(١) حديث من وجد سعة ولم يفد الى فقد جفانى : ابن عدى والدارقطنى فى غرائب مالك وابن حبان فى الضعفاء والخطيب فى الرواة عن مالك من حديث ابن عمر من حج ولم يزرني فقد جفانى وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات وروى ابن النجار فى تاريخ المدينة من حديث أنس مامن أحد من أمتى له سعة ثم لم يزرنى فليس له عذر

(٢) حديث من جاءنى زائرا لاتهمه الا زيارتى كان حقا على الله أن أكون له شفيعا : الطبرانى من حديث ابن عمر وصححه ابن السكن

السلام عليك يا طهر ، السلام عليك يا طاهر ، السلام عليك ياأكرم ولد آدم ، السلام عليك ياسيد المرسلين ، السلام عليك ياخاتم النبيين ، السلام عليك يا رسول رب العالمين ، السلام عليك ياقائد الخير ، السلام عليك يافاتح البر ، السلام عليك يا نبي الرحمة ، السلام عليك ياهادى الأمة ، السلام عليك ياقائد الغر المحجلين ، السلام عليك وعلى أهل بيتك الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، السلام عليك وعلى أصحابك الطيبين وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين ، جزاك الله عنا أفضل ماجزى نبيا عن قومه ورسولا عن أمته. وصلى عليك كلما ذكرك الذاكرون ، وكلما غفل عنك الغافلون ، وصلى عليك فى الأولين والآخرين أفضل وأكمل وأعلى وأجلّ وأطيب وأطهر ما صلى على أحد من خلقه ، كما استنقذنا بك من الضلالة ، وبصرنا بك من العماية ، وهدانا بك من الجهالة ، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنك عبده ورسوله ، وأمينه وصفيه ، وخيرته من خلقه ، وأشهد أنك قد بلغت الرسالة ، وأديت الأمانة ، ونصحت الأمة ، وجاهدت عدوك ، وهديت أمتك ، وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، فصلى الله عليك وعلى أهل بيتك الطيبين وسلم وشرّف وكرم وعظم وإن كان قد أوصى بتبليغ سلام فيقول : السلام عليك من فلان، السلام عليك من فلان

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على أبى بكر الصديق رضى الله عنه لأن رأسه عند منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورأس عمر رضى الله عنه عند منكب أبى بكر رضى الله عنه

ثم يتأخر قدر ذراع ويسلم على الفاروق عمر رضى الله عنه ويقول : السلام عليكما يا وزيرى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمعاونين له على القيام بالدين مادام حيا ، والقائمين فى أمته بعده بأمور الدين ، تتبعان فى ذلك آثاره ، وتعملان بسنته ، فجزاكما الله خير ماجزى وزيرى نبى عن دينه ثم يرجع فيقف عند رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم بين القبر والاسطوانه اليوم ويستقبل القبلة ، وليحمد الله عز وجل ، وليمجده ، وليكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم يقول : اللهم إنك قد قلت وقولك الحق: (وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا [1]) اللهم إنا قد سمعنا قولك وأطعنا أمرك

---
(١) النساء : ٦٤

وقصدنا نبيك ، متشفعين به اليك فى ذنوبنا وما أثقل ظهورنا من أوزارنا ، تائبين من زللنا معترفين بخطايانا وتقصيرنا ، فتب اللهم علينا ، وشفّع نبيك هذا فينا ، وارفعنا بمنزلته عندك وحقهِ عليك ، اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار ، واغفرلنا ولإخواننا الذين سبقونا بالايمان اللهم لا تجعله آخر العهد من قبر نبيك ومن حرمك ياأرحم الراحمين

ثم يأتى الروضة فيصلى فيها ركعتين ويكثر من الدعاء مااستطاع لقوله صلى الله عليه وسلم[1] « مَا بَيْنَ قَبْرِى وَمِنْبَرِى رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ وَمِنْبَرِى عَلَى حَوْضِى » ويدعو عند المنبر . ويستحب أن يضع يده على الرمانة السفلى التى كان رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] يضع يده عليها عند الخطبة . ويستحب له أن يأتى أحدا يوم الخميس ويزور قبور الشهداء ، فيصلى الغداة فى مسجد النبى صلى الله عليه وسلم ثم يخرج ، ويعود إلى المسجد لصلاة الظهر ، فلا يفوته فريضة فى الجماعة فى المسجد . ويستحب أن يخرج كل يوم إلى البقيع بعد السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزور قبر عثمان رضى الله عنه وقبر الحسن بن على رضى الله عنهما ، وفيه أيضا قبر على بن الحسين ومحمد بن على وجعفر بن محمد رضى الله عنهم ، ويصلى فى مسجد فاطمة رضى الله عنها ويزور قبر ابراهيم بن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذلك كله بالبقيع

ويستحب له أن يأتى مسجد قباء فى كل سبت ويصلى فيه ، لماروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] قال « مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ حَتَّى يَأْتِىَ مَسْجِدَ قُبَاءَ وَيُصَلِّىَ فِيهِ كَانَ لَهُ عِدْلُ عُمْرَةٍ » ويأتى بئر أريس ، يقال إن النبى صلى الله عليه وسلم[4] تفَلَ فيها ، وهى عند المسجد ، فيتوضأ منها ويشرب من مائها . ويأتى مسجد الفتح وهو على الخندق ، وكذا يأتى سائر المساجد والمشاهد

---

(١) حديث مابين قبري ومنبرى روضة من رياض الجنة ومنبرى على حوضى : منفق عليه من حديث أبى هريرة وعبد الله بن زيد

(٢) حديث وضعه صلى الله عليه وسلم يده عند الخطبة على رمانة المنبر : لم أقف له على أصل وذكر محمد ابن الحسن بن زبالة فى تاريخ المدينة أن طول رمانتى المنبر اللتين كان يمسكهما صلى الله عليه وسلم بيديه الكريمتين اذا جلس شبر وأصبعان

(٣) حديث من خرج من بيته حتى يأتى مسجد قباء ويصلى فيه كان عدل عمرة : النسائى وابن ماجه من حديث سهل بن حنيف باسناد صحيح

(٤) حديث ان النبى صلى الله عليه وسلم تفل فى بئر أريس : لم أقف له على أصل وانما ورد أنه تفل فى بئر البصة وبئر غرس كما سيأتى عند ذكرها

ويقال إن جميع المشاهد والمساجد بالمدينة ثلاثون موضعا يعرفها أهل البلد ، فيقصد مافدر عليه . وكذلك يقصد الآبار التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبع آبار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم وإن أمكنه

---

(١) حديث الآبار التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتوضأ منها ويغتسل ويشرب منها وهي سبعة آبار : قلت وهي بئر أريس وبئرحا وبئر رومة وبئر غرس وبئر بضاعة وبئر البصة وبئر السقيا أو العهن أو بئر جمل فحديث بئر أريس رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري في حديث فيه حتى دخل بئر أريس قال فجلست عند بابها وبابها من جريد حتى قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حاجته وتوضأ ـ الحديث : وحديث بئر حا منفق عليه من حديث أنس قال كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلا وكان أحب أمواله اليه بئر حا وكانت مستقبلة المسجد وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب ـ الحديث : وحديث بئر رومة رواه ت ن من حديث عثمان أنه قال أنشدكم بالله والاسلام هل تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدم المدينة وليس بها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال من يشتري بئر رومة ويجعل دلوه مع دلاء المسلمين ـ الحديث : قال ت حديث حسن وفي رواية لهما هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد الا بالثمن فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل ـ الحديث : وقال حسن صحيح وروى البغوي والطبراني من حديث بشير الاسلمي قال لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء وكانت لرجل من بني غفار عين يقال لها رومة وكان يبيع منها القربة بمد الحديث : وحديث بئر غرس رواه ابن حبان في الثقات من حديث أنس أنه قال ائتوني بماء من بئر غرس فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يشرب منها ويتوضأ ولابن ماجه باسناد جيد مرفوعا اذا أنامت فاغسلوني بسبع قرب من بئري بئر غرس وروينا في تاريخ المدينة لابن النجار باسناد ضعيف مرسلا ان النبي صلي الله عليه وسلم توضأ منها وبرق فيها وغسل منها حين توفي : وحديث بئر بضاعة رواه أصحاب السنن من حديث أبي سعيد الخدري أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنتوضأ من بئر بضاعة وفي رواية انه يستقي لك من بئر بضاعة ـ الحديث : قال يحيى بن معين اسناده جيد وقال ت حسن وللطبراني من حديث أبي أسيد بصق النبي صلى الله عليه وسلم في بئر بضاعة ورويناه أيضا في تاريخ ابن النجار من حديث سهل بن سعد وحديث بئر البصة رواه ابن عدي من حديث أبي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه يوما فقال هل عندكم من سدر أغسل به رأسي فان اليوم الجمعة قال نعم فأخرج له سدرا وخرج معه الى البصة فغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه وصب غسالة رأسه ومراق شعره في البصة وفيه محمد بن الحسن ابن زبالة ضعيف وحديث بئر السقيا رواه د من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستعذب له من بيوت السقيا زاد البزار في مسنده أو من بئر السقيا ولاحمد من حديث علي خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اذا كنا بالسقيا التي كانت لسعد ابن أبي وقاص قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ائتوني بوضوء فلما توضأ قام ـ الحديث :

الاقامة بالمدينة مع مراعاة الحرمة فلها فضل عظيم، قال صلى الله عليه وسلم[1] « لَا يَصْبِرُ عَلَى لَأْوَائِهَا وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم: [2] « مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ فَإِنَّهُ لَنْ يَمُوتَ بِهَا أَحَدٌ إِلَّا كُنْتُ لَهُ شَفِيعًا أَوْ شَهِيدًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

ثم إذا فرغ من أشغاله وعزم على الخروج من المدينة فالمستحب أن يأتى القبر الشريف ويعيد دعاء الزيارة كما سبق، ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويسأل الله عز وجل أن يرزقه العودة اليه، ويسأل السلامة فى سفره، ثم يصلى ركعتين فى الروضة الصغيرة، وهى موضع مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن زيدت المقصورة فى المسجد، فاذا خرج فليخرج رجله اليسرى أولا، ثم اليمنى، وليقل: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ولا تجعله آخر العهد بنبيك وحط أوزارى بزيارته وأصحبنى فى سفرى السلامة ويسر رجوعى إلى أهلى ووطنى سالما ياأرحم الراحمين. وليتصدق على جيران رسول الله صلى الله عليه وسلم بما قدر عليه، وليتتبع المساجد التى بين المدينة ومكة فيصلى فيها، وهى عشرون موضعا

فصل فى سنن الرجوع من السفر

كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [3] إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَى رَأْسِ كُلِّ شَرَفٍ مِنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ وَيَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ

وأما بئر جمل فنى الصحيحين من حديث أبى الجهم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بئر جمل ـ الحديث: وصله خ وعلقه م والمشهور أن الآبار بالمدينة سبعة وقد روى الدارمي من حديث عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال فى مرضه صبوا على سبع قرب من آبار شتى ـ الحديث: وهو عند خ دون قوله من آبار شتى

(١) حديث لايصبر على لأوائها وشدتها أحد الا كنت له شفيعا يوم القيامة: تقدم فى الباب قبله

(٢) حديث من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها ـ الحديث: تقدم فى الباب قبله

(٣) حديث كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا قفل من غزو أوحج أو عمرة يكبر على كل شرف من الأرض ـ الحديث: متفق عليه من حديث ابن عمر وما زاده فى آخره فى بعض الروايات من قوله وكل شىء هالك إلاوجهه له الحكم واليه ترجعون رواه المحاملى فى الدعاء باسناد جيد

صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ » وفى بعض الروايات « وَكُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ » فينبغى أن يستعمل هذه السنة فى رجوعه

وإذا أشرف على مدينته يحرك الدابة ويقول : اللهم اجْعَلْ لنا بها قرارا ورزقا حسنا[1] ثم ليرسل إلى أهله من يخبرهم بقدومه كى لايقدم عليهم بغتة ، فذلك هو السنة ولا ينبغى أن يطرق أهله ليلا فاذا دخل البلد فليقصد المسجد أولا[2] وليصل ركعتين فهو السنة . كذلك كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاذا دخل بيته قال : توبا توبا لربنا أوبا لايغادر علينا حَوْبا فاذا استقر فى منزله فلا ينبغى أن ينسى ماأنعم الله به عليه من زيارة بيته وحرمه وقبر نبيه صلى الله عليه وسلم فيكفر تلك النعمة بأن يعود إلى الغفلة واللهو والخوض فى المعاصى ، فما ذلك علامة الحج المبرور ، بل علامته أن يعود زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة متأهبا للقاء رب البيت بعد لقاء البيت

الباب الثالث

فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة

بيان دقائق الآداب وهى عشرة

الأول: أن تكون النفقة حلالا، وتكون اليد خالية من تجارة تشغل القلب وتفرق الهم، حتى يكون الهم مجردا لله تعالى، والقلب مطمئنا منصرفا إلى ذكر الله تعالى وتعظيم شعائره وقد روى فى خبر من طريق أهل البيت[3] « إِذَا كَانَ آخِرُ الزَّمَانِ خَرَجَ النَّاسُ إِلَى الْحَجِّ أَرْبَعَةَ أَصْنَافٍ : سَلَاطِينُهُمْ لِلنُّزْهَةِ ، وَأَغْنِيَاؤُهُمْ لِلتِّجَارَةِ ، وَفُقَرَاؤُهُمْ لِلْمَسْأَلَةِ ، وَقُرَّاؤُهُمْ لِلسُّمْعَةِ »

---

(١) حديث ارسال المسافر إلى أهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة : لم أجد فيه ذكر الارسال وفى الصحيحين من حديث جابر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزاة فلما قدمنا المدينة ذهبنا لندخل فقال أمهلوا حتى ندخل ليلا أى عشاء كى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة

(٢) حديث صلاة ركعتين فى المسجد عند القدوم من السفر : تقدم فى الصلاة

{ الباب الثالث فى الآداب الدقيقة والأعمال الباطنة }

(٣) حديث اذا كان فى آخر الزمان خرج الناس للحج أربعة أصناف سلاطينهم للنزهة وأغنياؤهم للتجارة وفقراؤهم للسؤال وقراؤهم للسمعة : الخطيب من حديث أنس باسناد مجهول وليس فيه ذكر السلاطين ورواه أبو عثمان الصابونى فى كتاب المائتين فقال تحج أغنياء أمتى للنزهة وأوساطهم للتجارة وفقراؤهم للمسئلة وقراؤهم للرياء والسمعة

وفى الخبر إشارة إلى جملة أغراض الدنيا التى يتصور أن تتصل بالحج ، فكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج ، ويخرجه عن حيز حج الخصوص؛لاسيما إذا كان متجردا بنفس الحج بأن يحج لغيره بأجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة . وقد كره الورعون وأرباب القلوب ذلك إلا أن يكون قصده المقام بمكة ولم يكن له مايبلغه فلا بأس أن يأخذ ذلك على هذا القصد لاليتوصل بالدين إلى الدنيا بل بالدنيا إلى الدين ، فعند ذلك ينبغى أن يكون قصده زيارة بيت الله عز وجل ومعاونة أخيه المسلم باسقاط الفرض عنه . وفى مثله ينزل قول رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « يُدْخِلُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالْحَجَّةِ الْوَاحِدَةِ ثَلاَثَةً الْجَنَّةَ : الْمُوصِى بِهَا ، وَالْمُنَفِّذَ لَهَا ، وَمَنْ حَجَّ بِهَا عَنْ أَخِيهِ » ولست أقول لاتحل الاجرة أو يحرم ذلك بعد أن أسقط فرض الاسلام عن نفسه ، ولكن الأولى أن لايفعل ، ولا يتخذ ذلك مكسبه ومتجره ، فان الله عز وجل يعطى الدنيا بالدين ولا يعطى الدين بالدنيا . وفى الخبر[2] « مَثَلُ الَّذِى يَغْزُو فِى سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَأْخُذُ أَجْراً مَثَلُ امِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ : تُرْضِعُ وَلَدَهَا وَتَأْخُذُ أَجْرَهَا » فمن كان مثاله فى أخذ الاجرة على الحج مثال أم موسى فلا بأس بأخذه ، فانه يأخذ ليتمكن من الحج والزيارة فيه ، وليس يحج ليأخذ الأجرة بل يأخذ الأجرة ليحج كما كانت تأخذ أم موسى ليتيسر لها الارضاع بتلبيس حالها عليهم

الثانى : أن لايعاون أعداء الله سبحانه بتسليم المكس ، وهم الصادون عن المسجد الحرام من أمراء مكة والأعراب المترصدين فى الطريق ، فان تسليم المال اليهم إعانة على الظلم وتيسير لأسبابه عليهم ، فهو كالاعانة بالنفس ، فليتلطف فى حيلة الخلاص ، فان لم يقدر فقد قال بعض العلماء ولا بأس بما قاله . إن ترك التنفل بالحج والرجوع عن الطريق أفضل من إعانة الظلمة ، فان هذه بدعة أحدثت ، وفى الانقياد لها مايجعلها سنة مطردة ، وفيه ذل وصغار على المسلمين ببذل جزية ، ولا معنى لقول القائل إن ذلك يؤخذ منى وأنا مضطر ، فانه لو قعد فى البيت أو رجع من الطريق لم يؤخذ منه شىء ، بل ربما يظهر أسباب الترفه فتكثر مطالبته ، فلو كان فى زى الفقراء لم يطالب ، فهو الذى ساق نفسه إلى حالة الاضطرار

---

(١) حديث يدخل الله بالحجة الواحدة ثلاثة الجنة الموصى بها والمنفذ لها ومن حج بها عن أخيه : هق من حديث جابر بسند ضعيف

(٢) حديث مثل الذى يغزو ويأخذ أجرا مثل أم موسى ترضع ولدها وتأخذ أجرها : ابن عدى من حديث معاذ وقال مستقيم الاسناد منكر المتن

الثالث : التوسع فى الزاد وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقتير ولا إسراف ، بل على الاقتصاد ، وأعنى بالاسراف التنعم بأطايب الأطعمة والترفه بشرب أنواعها على عادة المترفين ، فأما كثرة البذل فلاسرف فيه ، إذ لاخير فى السرف ولا سرف فى الخير كما قيل ، وبذل الزاد فى طريق الحج نفقة فى سبيل الله عز وجل ، والدرهم بسبعمائة درهم ، قال ابن عمر رضى الله عنهما : من كرم الرجل طيب زاده فى سفره . وكان يقول : أفضل الحاج أخلصهم نية وأزكاهم نفقة . وأحسنهم يقينا . وقال صلى الله عليه وسلم[1] « اَلْحَجُّ اَلْمَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا اَلْجَنَّةَ . فَقِيلَ لَهُ يَا رَسُولَ اللهِ : مَا بِرُّ اَلْحَجِّ ؟ فَقَالَ : طِيبُ اَلْكَلَامِ وَ إِطْعَامُ الطَّعَامِ »

الرابع : ترك الرفث والفسوق والجدال كما نطق به القرءان . والرفث اسم جامع لكل لغو وخناء وفحش من الكلام ، ويدخل فيه مغازلة النساء ومداعبتهن ، والتحدث بشأن الجماع ومقدماته ، فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور ، والداعى إلى المحظور محظور . والفسق اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله عز وجل . والجدال هو المبالغة فى الخصومة والمماراة بما يورث الضغائن ويفرق فى الحال الهمة ويناقض حسن الخلق . وقد قال سفيان : من رفث فسد حجه . وقد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم طيب الكلام مع إطعام الطعام من بر الحج ، والمماراة تناقض طيب الكلام ، فلا ينبغى أن يكون كثير الاعتراض على رفيقه وجماله ، وعلى غيره من أصحابه ، بل يلين جانبه ، ويخفض جناحه للسائرين إلى بيت الله عز وجل ، ويلزم حسن الخلق . وليس حسن الخلق كف الأذى بل احتمال الأذى . وقيل سمى السفر سفرا لأنه يسفر عن أخلاق الرجال . ولذلك قال عمر رضى الله عنه لمن زعم أنه يعرف رجلا : هل صحبته فى السفر الذى يستدل به على مكارم الأخلاق ؟ قال لا ، فقال : ماأراك تعرفه

الخامس : أن يحج ماشياً إن قدر عليه ، فذلك الأفضل : أوصى عبدالله بن عباس رضى الله عنهما بنيه عند موته فقال : يابنى حجوا مشاة فان للحاج الماشى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم ، قيل : وما حسنات الحرم : قال الحسنة بمائة ألف . والاستحباب فى المشى فى المناسك ، والتردد من مكة إلى الموقف وإلى منى آكد منه فى الطريق ،

---

(1) حديث الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة فقيل له مابر الحج قال طيب الكلام واطعام الطعام : أحمد من حديث جابر باسناد لين ورواه الحاكم مختصرا وقال صحيح الأسناد

وإن أضاف إلى المشي الإحرام من دويرة أهله فقد قيل إن ذلك من إتمام الحج، قاله عمر وعلي وابن مسعود رضي الله عنهم في معنى قوله عز وجل: (وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ[1]) وقال بعض العلماء : الركوب أفضل لما فيه من الانفاق والمؤنة ، ولأنه أبعد عن ضجر النفس وأقل لأذاه ، وأقرب إلى سلامته وتمام حجه . وهذا عند التحقيق ليس مخالفاً للأول ؛ بل ينبغي أن يفصل ويقال : من سهل عليه المشي فهو أفضل ، فإن كان يضعف ويؤدي به ذلك إلى سوء الخلق وقصور عن عمل فالركوب له أفضل، كما أن الصوم للمسافر أفضل وللمريض ما لم يفض إلى ضعف وسوء خلق

وسئل بعض العلماء عن العمرة أيمشي فيها أو يكترى حمارا بدرهم فقال ان كان وزن الدرهم أشد عليه فالكراء أفضل من المشي ، وإن كان المشي أشد عليه كالاغنياء فالمشي له أفضل ، فكأنه ذهب فيه إلى طريق مجاهدة النفس ؛ وله وجه، ولكن الأفضل له أن يمشي ويصرف ذلك الدرهم إلى خير ، فهو أولى من صرفه إلى المكاري عوضا عن ابتذال الدابة فإذا كانت لا تتسع نفسه للجمع بين مشقة النفس ونقصان المال فما ذكره غير بعيد فيه

السادس : أن لا يركب إلا زاملة ، أما المحمل فليجتنبه إلا إذا كان يخاف من الزاملة أن لا يستمسك عليها لعذر ، وفيه معنيان : أحدهما التخفيف على البعير فإن المحمل يؤذيه . والثاني اجتناب زي المترفين المتكبرين « حَجَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] عَلَى رَاحِلَةٍ وَكَانَ تَحْتَهُ رَحْلٌ رَثٌّ وقَطِيفَةٌ خَلَقَةٌ قِيمَتُهَا أَرْبَعَةُ دَرَاهِمَ »[2] « وَطَافَ عَلَى الرَّاحِلَةِ لِيَنْظُرَ النَّاسُ إِلَى هَدْيِهِ وَشَمَائِلِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم :[3] « خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ » وقيل إن هذه المحامل أحدثها الحجاج وكان العلماء في وقته ينكرونها ، فروى سفيان الثوري عن أبيه أنه قال : برزت من الكوفة إلى القادسية للحج ووافيت الرفاق من البلدان فرأيت الحاج كلهم على زوامل وجوا لقات ورواحل وما رأيت في جميعهم إلا محملين . وكان ابن عمر إذا نظر إلى ما أحدث الحجاج من الزي والمحامل يقول : الحاج قليل والركب كثير . ثم نظر إلى رجل مسكين رث الهيئة تحته جوالق فقال هذا نعم من الحجاج

---

(١) حديث حج رسول الله صلى الله عليه وسلم على راحلة وكان تحته رحل رث وقطيفة خلقة قيمتها أربعة دراهم : الترمذي في الشمائل وابن ماجه من حديث أنس بسند ضعيف

(٢) حديث طوافه صلى الله عليه وسلم على راحلته : تقدم

(٣) حديث خذوا عني مناسككم : م ن واللفظ له من حديث جابر

(١) البقرة : ١٩٦

السابع: أن يكون رث الهيئة أشعث أغبر، غير مستكثر من الزينة ولا مائل إلى أسباب التفاخر والتكاثر، فيكتب في ديوان المتكبرين المترفين، ويخرج عن حزب الضعفاء والمساكين وخصوص الصالحين، فقد «أَمَرَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١] بِالشَّعَثِ وَالِاحْتِفَاءِ». و«نَهَى عَنِ التَّنَعُّمِ وَالرَّفَاهِيَةِ» في حديث فضالة بن عبيد[٢] وفي الحديث[٣] « إِنَّمَا الْحَاجُّ الشَّعِثُ التَّفِثُ »[٤] ويقول الله تعالى: انظروا إلى زوار بيتي قد جاءوني شعثاً غبراً من كل فج عميق . وقال تعالى : (ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ[١]) والتفث : الشعث والاغبرار ، وقضاؤه بالحلق وقص الشارب والأظفار .

وكتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى أمراء الأجناد. اخلولقوا واخشوشنوا ، أي البسوا الخلقان واستعملوا الخشونة في الأشياء . وقد قيل. زين الحجيج أهل اليمن. لأنهم على هيئة التواضع والضعف وسيرة السلف ، فينبغي أن يجتنب الحمرة في زيه على الخصوص والشهرة كيفما كانت على العموم، فقد روي « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٥] كَانَ فِي سَفَرٍ فَنَزَلَ أَصْحَابُهُ مَنْزِلاً فَسَرَحَتِ الْإِبِلُ فَنَظَرَ إِلَى أَكْسِيَةٍ حُمْرٍ عَلَى الْأَقْتَابِ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَرَى هَذِهِ الْحُمْرَةَ قَدْ غَلَبَتْ عَلَيْكُمْ قَالُوا فَقُمْنَا إِلَيْهَا وَنَزَعْنَاهَا عَنْ ظُهُورِهَا حَتَّى شَرَدَ بَعْضُ الْإِبِلِ »

الثامن : أن يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا تطيق ، والمحمل خارج عن حد طاقتها ، والنوم عليها يؤذيها ويثقل عليها . كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة عن قعود ، وكانوا لا يقفون عليها الوقوف الطويل . قال صلى الله عليه وسلم[٦] « لَا تَتَّخِذُوا ظُهُورَ دَوَابِّكُمْ كَرَاسِيَّ »

---

(١) حديث الامر بالشعث والاحتفاء : البغوي والطبراني من حديث عبد الله بن أبي حدرد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تمعددوا واخشوشنوا وانتضلوا وامشوا حفاة وفيه اختلاف ورواه ابن عدي من حديث أبي هريرة وكلاهما ضعيف

(٢) حديث فضالة بن عبيد في النهي عن التنعم والرفاهية وان النبي صلى الله عليه وسلم كان ينهى عن كثير من الارفاه ولأحمد من حديث معاذ اياك والتنعم ــ الحديث :

(٣) حديث انما الحاج الشعث التفث : ت ه من حديث ابن عمر وقال غريب

(٤) حديث يقول الله تعالى انظروا الى زوار بيتي قد جاءوا شعثا غبرا من كل فج عميق : الحاكم وصححه من حديث أبي هريرة دون قوله من كل فج عميق وكذا رواه أحمد من حديث عبد الله بن عمرو

(٥) حديث انه صلى الله عليه وسلم كان في سفر فنزل أصحابه منزلا فسرحت الابل فنظر الى أكسية حمر على الاقتاب : فقال أرى هذه الحمرة قد غلبت عليكم ــ الحديث : د من حديث رافع بن خديج وفيه رجل لم يسم

(٦) حديث لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسي: أحمد من حديث سهل بن معاذ بسند ضعيف ورواه الحاكم وصححه من رواية معاذ بن أنس عن أبيه

---

(١) الحج : ٢٩ .

ويستحب أن ينزل عن دابته غدوة وعشية يروّحها بذلك[١] فهو سنة وفيه آثار عن السلف. وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لا ينزل، ويوفى الأجرة، ثم: كان ينزل عنها ليكون بذلك محسنا إلى الدابة، فيكون فى حسناته ويوضع فى ميزانه لا فى ميزان المكارى. وكل من آذى بهيمة وحمّلها ما لا تطيق طولب به يوم القيامة. قال أبو الدرداء لبعيره عند الموت: يأيها البعير لا تخاصمنى إلى ربك فانى لم أكن أحمّلك فوق طاقتك. وعلى الجملة فى كل كبد حرّاء أجر. فليراع حق الدابة وحق المكارى جميعا. وفى نزوله ساعة ترويح الدابة وسرور قلب المكارى. قال رجل لابن المبارك: احمل لى هذا الكتاب معك لتوصله فقال: حتى أستأمر الجمال فانى قد اكتريت. فانظر كيف تورع من استصحاب كتاب لا وزن له؟ وهو طريق الحزم فى الورع، فانه إذا فتح باب القليل انجرّ إلى الكثير يسيراً يسيراً

التاسع: أن يتقرب باراقة دم وإن لم يكن واجبا عليه. ويجتهد أن يكون من سمين النعم ونفيسه، وليأكل منه إن كان تطوعا ولا يأكل منه إن كان واجبا. قيل فى تفسير قوله تعالى: (ذٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللّٰهِ[١]) إنه تحسينه وتسمينه. وسوق الهدى من الميقات أفضل إن كان لا يجهده ولا يكده، وليترك المكاس فى شرائه، فقد كانوا يغالون فى ثلاث ويكرهون المكاس فيهن: الهدى والأضحية والرقبة، فان أفضل ذلك أغلاه ثمنا وأنفسه عند أهله[٢] وروى ابن عمر أن عمر رضى الله عنهما أهدى بختية فطُلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها، وذلك لأن القليل الجيد خير من الكثير الدون. وفى ثلثمائة دينار قيمة ثلاثين بدنة، وفيها تكثير اللحم، ولكن ليس المقصود اللحم إنما المقصود تزكية النفس وتطهيرها عن صفة البخل وتزيينها بجمال التعظيم لله عز وجل، فلن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم وذلك يحصل بمراعاة النفاسة فى القيمة كثر العدد أو قل.

---

(١) حديث النزول عن الدابة غدوة وعشية يريحها بذلك: الطبرانى فى الأوسط من حديث أنس باسناد جيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان اذا صلى الفجر فى السفر مشى ورواه البيهقى فى الأدب وقال مشى قليلا وناقته تقاد

(٢) حديث ابن عمر أن عمر أهدى نجيبه فطلبت منه بثلثمائة دينار فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعها ويشترى بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل أهدها: أخرجه د وقال انحرها

---

(١) الحج: ٣٢

« وَسُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : [١] مَا بِرُّ الْحَجِّ ؟ فَقَالَ : الْعَجُّ وَالثَّجُّ » والعج هو رفع الصوت بالتلبية . والثج هو نحر البدن . وروت عائشة رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] قال : « مَا عَمِلَ آدَمِيٌّ يَوْمَ النَّحْرِ أَحَبَّ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ إِهْرَاقِهِ دَمًا وَإِنَّهَا لَتَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِقُرُونِهَا وَأَظْلَافِهَا وَإِنَّ الدَّمَ يَقَعُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِمَكَانٍ قَبْلَ أَنْ يَقَعَ بِالْأَرْضِ فَطِيبُوا بِهَا نَفْسًا » وفى الخبر : [٣] « لَكُمْ بِكُلِّ صُوفَةٍ مِنْ جِلْدِهَا حَسَنَةٌ وَكُلِّ قَطْرَةٍ مِنْ دَمِهَا حَسَنَةٌ وَإِنَّهَا لَتُوضَعُ فِي الْمِيزَانِ فَأَبْشِرُوا » وقال صلى الله عليه وسلم : « اسْتَنْجِدُوا هَدَايَاكُمْ فَإِنَّهَا مَطَايَاكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ »

العاشر : أن يكون طيب النفس بما أنفقه من نفقة وهدى ، وبما أصابه من خسران ومصيبة فى مال أو بدن إن أصابه ذلك ، فان ذلك من دلائل قبول حجه ، فأن المصيبة فى طريق الحج تعدل النفقة فى سبيل الله عز وجل : الدرهم بسبعمائة درهم ، وهو بمثابة الشدائد فى طريق الجهاد ؛ فله بكل أذى احتمله وخسران أصابه ثواب ، فلا يضيع منه شيء عند الله عز وجل . ويقال إن من علامة قبول الحج أيضا ترك ما كان عليه من المعاصى ، وأن يتبدل باخوانه البطالين إخوانا صالحين ، وبمجالس اللهو والغفلة مجالس الذكر واليقظة

بيان الأعمال الباطنة ووجه الإخلاص فى النية وطريق الاعتبار بالمشاهد الشريفة وكيفية الافتكار فيها والتذكر لأسرارها ومعانيها من أول الحج إلى آخره

اعلم أن أول الحج الفهم ، أعنى فهم موقع الحج فى الدين ، ثم الشوق إليه ، ثم العزم عليه ، ثم قطع العلائق المانعة منه ، ثم شراء ثوب الإحرام ، ثم شراء الزاد ، ثم اكتراء الراحلة

---

(١) حديث سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بر الحج فقال العج والثج : ت واستغربه و ه و ك وصححه والبزار واللفظ له من حديث أبى بكر وقال الباقولى أى الحج أفضل

(٢) حديث عائشة ما عمل ابن آدم يوم النحر أحب إلى الله من اهراقه دما ــ الحديث : ت وحسنه ابن ماجه وضعفه ابن حبان وقال خ انه مرسل ووصله ابن خزيمة

(٣) حديث لكم بكل صوفة من جلدها حسنة وكل قطرة من دمها حسنة وانها لتوضع فى الميزان فابشروا ه ك وصححه البيهقى من حديث زيد بن أرقم فى حديث فيه بكل شعرة حسنة قالوا فالصوف قال بكل شعرة من الصوف حسنة وفى رواية للبيهقى بكل قطرة حسنة قال خ لا يصح وروى أبو الشيخ فى كتاب الضحايا من حديث على أما انها يجاء بها يوم القيامة بلحومها ودمائها حتى توضع فى ميزانك يقولها لفاطمة

ثم الخروج ، ثم المسير فى البادية ، ثم الإحرام من الميقات بالتلبية ، ثم دخول مكة ثم استتمام الأفعال كما سبق . وفى كل واحد من هذه الأمور تذكرة للمتذكر، وعبرة للمعتبر، وتنبيه للمريد الصادق ، وتعريف وإشارة للفطن . فلنرمز إلى مفاتحها حتى إذا انفتح بابها وعرفت أسبابها انكشف لكل حاج من أسرارها ما يقتضيه صفاء قلبه وطهارة باطنه وغزارة فهمه

أما الفهم : فاعلم أنه لا وصول إلى الله سبحانه وتعالى إلا بالتنزه عن الشهوات ، والكف عن اللذات ، والاقتصار على الضرورات فيها ، والتجرد لله سبحانه فى جميع الحركات والسكنات ، ولأجل هذا انفرد الرهبانيون فى الملل السالفة عن الخلق ، وانحازوا إلى قلل الجبال، وآثروا التوحش عن الخلق ، لطلب الأنس بالله عز وجل ، فتركوا لله عز وجل اللذات الحاضرة ، وألزموا أنفسهم بالمجاهدات الشاقة طمعا فى الآخرة ، وأثنى الله عز وجل عليهم فى كتابه فقال ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ[1]﴾

فلما اندرس ذلك وأقبل الخلق على اتباع الشهوات ، وهجروا التجرد لعبادة الله عز وجل، وفتروا عنه ، بعث الله عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم لاحياء طريق الآخرة وتجديد سنة المرسلين فى سلوكها[1] فسأله أهل الملل عن الرهبانية والسياحة فى دينه فقال صلى الله عليه وسلم « أَبْدَلَنَا اللهُ بِهَا الْجِهَادَ وَالتَّكْبِيرَ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ » يعنى الحج . « وَسُئِلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[2] عَنِ السَّائِحِينَ فَقَالَ هُمُ الصَّائِمُونَ » فانعم الله عز وجل على هذه الامة بأن جعل الحج رهبانية لهم . فشرف البيت العتيق بالاضافة إلى نفسه تعالى ، ونصبه مقصدا لعباده ، وجعل ما حواليه حرما لبيته تفخيما لأمره ، وجعل عرفات كالميزاب على فناء حوضه،

---

(١) حديث سئل عن الرهبانية والسياحة فقال بدلنا الله بها الجهاد والتكبير على كل شرف: أبوداود من حديث أبى أمامة أن رجلا قال يارسول الله ائذن لى فى السياحة فقال ان سياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله رواه الطبرانى بلفظ ان لكل أمة سياحة وسياحة أمتى الجهاد فى سبيل الله ولكل أمة رهبانية ورهبانية أمتى الرباط فى نحر العدو وللبيهقى فى الشعب من حديث أنس رهبانية أمتى الجهاد فى سبيل الله وكلاهما ضعيف والترمذى وحسنه والنسائى فى اليوم والليلة وابن ماجه من حديث أبى هريرة ان رجلا قال يارسول الله انى أريد ان أسافر فأوصنى قال عليك بتقوى الله والتكبير على كل شرف

(٢) حديث سئل عن السائحين فقال هم الصائمون البيهقى فى الشعب من حديث أبى هريرة وقال المحفوظ عن عبيد بن عمير عن عمر مرسلا .

(1) المائدة : ٨٢

وأكد حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره ، ووضعه على مثال حضرة الملوك يقصده الزوار من كل فج عميق ومن كل أوب سحيق ، شعثاً غبراً متواضعين لرب البيت ، ومستكينين له خضوعا لجلاله واستكانة لعزته ، مع الاعتراف بتنزيهه عن أن يحويه بيت أو يكتنفه بلد ، ليكون ذلك أبلغ فى رقهم وعبوديتهم ، وأتم فى إذعانهم وانقيادهم ، ولذلك وظف عليهم فيها أعمالا لا تأنس بها النفوس ، ولا تهتدى إلى معانيها العقول : كرمى الجمار بالأحجار ، والتردد بين الصفا والمروة على سبيل التكرار . وبمثل هذه الأعمال يظهر كمال الرق والعبودية ، فان الزكاة ارفاق ، ووجهه مفهوم ، وللعقل إليه ميل . والصوم كسر للشهوة التى هى آلة عدو الله ، وتفرغ للعبادة بالكف عن الشواغل ؛ والركوع والسجود فى الصلاة تواضع لله عز وجل بأفعال هى هيئة التواضع ، وللنفوس أنس بتعظيم الله عز وجل . فأما ترددات السعى ورمي الجمار وأمثال هذه الأعمال فلا حظ للنفوس ولا أنس للطبع فيها ، ولا اهتداء للعقل إلى معانيها ، فلا يكون فى الاقدام عليها باعث إلا الأمر المجرد ، وقصد الامتثال للأمر من حيث إنه أمر واجب الاتباع فقط ، وفيه عزل للعقل عن تصرفه وصرف النفس والطبع عن محل أنسه ، فان كل ما أدرك العقل معناه مال الطبع إليه ميلاً ما ، فيكون ذلك الميل معينا للأمر وباعثا معه على الفعل ، فلا يكاد يظهر به كمال الرق والانقياد . ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى الحج على الخصوص[1] « لَبَّيْكَ بِحَجَّةٍ حَقًّا تَعَبُّداً وَرِقًّا » ولم يقل ذلك فى صلاة ولا غيرها

وإذا اقتضت حكمة الله سبحانه وتعالى ربط نجاة الخلق بأن تكون أعمالهم على خلاف هوى طباعهم ، وأن يكون زمامها بيد الشرع ، فيترددون فى أعمالهم على سنن الانقياد ، وعلى مقتضى الاستعباد وكان ما لا يهتدى إلى معانيه أبلغ أنواع التعبدات فى تزكية النفوس وصرفها عن مقتضى الطباع والأخلاق إلى مقتضى الاسترقاق . وإذا تفطنت لهذا فهمت أن تعجب النفوس من هذه الافعال العجيبة مصدره الذهول عن أسرار التعبدات . وهذا القدر كاف فى تفهم أصل الحج إن شاء الله تعالى

وأما الشوق : فانما ينبعث بعد الفهم والتحقق بأن البيت بيت الله عز وجل ، وأنه وضع على مثال حضرة الملوك ، فقاصده قاصد إلى الله عز وجل وزائر له ، وإن من قصد البيت فى الدنيا جدير بأن لا يضيع زيارته ، فيرزق مقصود الزيارة فى ميعاده المضروب له ، وهو النظر إلى وجه الله الكريم فى دار القرار من حيث إن العين القاصرة الفانية فى دار الدنيا

---

(١) حديث لبيك بحجة حقا تعبدا ورقا تقدم فى الزكاة

لاتتهيأ لقبول نور النظر إلى وجه الله عز وجل، ولا تطيق احتماله ، ولاتستعد للاكتحال به لقصورها ، وإنها إن أمدت في الدار الآخرة بالبقاء ونزهت عن أسباب التغير والفناء استعدت للنظر والإبصار ، ولكنها بقصد البيت والنظر إليه تستحق لقاء رب البيت بحكم الوعد الكريم . فالشوق إلى لقاء الله عز وجل يشوقه إلى أسباب اللقاء لامحالة . هذا مع أن المحب مشتاق إلى كل ماله إلى محبوبه إضافة ، والبيت مضاف إلى الله عز وجل ، فبالحرى أن يشتاق إليه لمجرد هذه الاضافة ، فضلا عن الطلب لنيل ماوعد عليه من الثواب الجزيل

وأما العزم: فليعلم أنه بعزمه قاصد إلى مفارقة الأهل والوطن ، ومهاجرة الشهوات واللذات ، متوجها إلى زيارة بيت الله عز وجل . وليعظم في نفسه قدر البيت وقدر رب البيت ، وليعلم أنه عزم على أمر رفيع شأنه خطير أمره ، وأن من طلب عظيما خاطر بعظيم ، وليجعل عزمه خالصا لوجه الله سبحانه بعيدا عن شوائب الرياء والسمعة . وليتحقق أنه لايقبل من قصده وعمله إلا الخالص ، وأن من أفحش الفواحش أن يقصد بيت الملك وحرمه والمقصود غيره ، فليصحح مع نفسه العزم ، وتصحيحه باخلاصه ، وإخلاصه باجتناب كل مافيه رياء وسمعة . فليحذر أن يستبدل الذى هو أدنى بالذى هو خير .

وأما قطع العلائق : فمعناه رد المظالم والتوبة الخالصة لله تعالى عن جملة المعاصى ، فكل مظلمة علاقة ، وكل علاقة مثل غريم حاضر متعلق بتلابيبه ينادى عليه ويقول له : إلى أين تتوجه ؟ أتقصد بيت ملك الملوك وأنت مضيع أمره فى منزلك هذا ، ومستهين به ، ومهمل له: أولا تستحى أن تقدم عليه قدوم العبد العاصى فيردك ولا يقبلك ، فان كنت راغبا فى قبول زيارتك فنفذ أوامره ، ورد المظالم ، وتب إليه أولا من جميع المعاصى ، واقطع علاقة قلبك عن الالتفات إلى ماوراءك ، لتكون متوجها إليه بوجه قلبك ، كما انك متوجه إلى بيته بوجه ظاهرك ، فان لم تفعل ذلك لم يكن لك من سفرك أولا إلا النصب والشقاء ، وآخراً إلا الطرد والرد . وليقطع العلائق عن وطنه قطع من انقطع عنه وقدر أن لايعود إليه وليكتب وصيته لأولاده وأهله ، فان المسافر وماله لعلى خطر إلا من وقى الله سبحانه . وليتذكر عند قطعه العلائق لسفر الحج قطع العلائق لسفر الآخرة ، فان ذلك بين يديه على القرب ، وما يقدمه من هذا السفر طمع فى تيسير ذلك السفر فهو المستقر وإليه المصير ، فلا ينبغى أن يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد بهذا السفر .

وأما الزاد : فليطلبه من موضع حلال ، وإذا أحس من نفسه الحرص على استكثاره وطلب ما يبقى منه على طول السفر ولا يتغير ولا يفسد قبل بلوغ المقصد ، فليتذكر أن سفر الآخرة أطول من هذا السفر ، وأن زاده التقوى، وأن ما عداه مما يظن أنه زاده يتخلف عنه عند الموت ويخونه فلا يبقى معه، كالطعام الرطب الذى يفسد فى أول منازل السفر فيبقى وقت الحاجة متحيرا محتاجا لا حيلة له . فليحذر أن تكون أعماله التى هى زاده إلى الآخرة لا تصحبه بعد الموت ، بل يفسدها شوائب الرياء وكدورات التقصير

وأما الراحلة: إذا أحضرها فليشكر الله تعالى بقلبه على تسخير الله عز وجل له الدواب لتحمل عنه الأذى وتخفف عنه المشقة، وليتذكر عنده المركب الذى يركبه إلى دار الآخرة وهى الجنازة التى يحمل عليها ، فان أمر الحج من وجه يوازى أمر السفر إلى الآخرة ، ولينظر أيصلح سفره على هذا المركب لأن يكون زادا له لذلك السفر على ذلك المركب ، فما أقرب ذلك منه، وما يدريه لعل الموت قريب، ويكون ركوبه للجنازة قبل ركوبه للجمل، وركوب الجنازة مقطوع به ، وتيسر أسباب السفر مشكوك فيه ، فكيف يحتاط فى أسباب السفر المشكوك فيه ويستظهر فى زاده وراحلته ويهمل أمر السفر المستيقن

وأما شراء ثوبى الاحرام: فليتذكر عنده الكفن ولفه فيه، فانه سيرتدى ويتزر بثوبى الاحرام عند القرب من بيت الله عز وجل وربما لا يتم سفره إليه ، وأنه سيلقى الله عز وجل ملفوفا فى ثياب الكفن لا محالة ، فكما لا يلقى بيت الله عز وجل إلا مخالفا عادته فى الزى والهيئة ، فلا يلقى الله عز وجل بعد الموت إلا فى زى مخالف لزى الدنيا ، وهذا الثوب قريب من ذلك الثوب إذ ليس فيه مخيط كما فى الكفن

وأما الخروج من البلد : فليعلم عنده أنه فارق الأهل والوطن متوجها إلى الله عز وجل فى سفر لا يضاهى أسفار الدنيا فليحضر فى قلبه أنه ماذا يريد وأين يتوجه، وزيارة من يقصد وأنه متوجه إلى ملك الملوك فى زمرة الزائرين له ، الذين نودوا فأجابوا ، وشوقوا فاشتاقوا واستنهضوا فنهضوا ، وقطعوا العلائق ؛ وفارقوا الخلائق ، وأقبلوا على بيت الله عز وجل الذى فخم أمره وعظم شأنه ورفع قدره ، تسليا بلقاء البيت عن لقاء رب البيت ، إلى أن يرزقوا منتهى مناهم ويسعدوا بالنظر إلى مولاهم . وليحضر فى قلبه رجاء الوصول والقبول

لا إدلالاً بأعماله في الارتحال ومفارقة الأهل والمال ، ولكن ثقة بفضل الله عز وجل ورجاء لتحقيقه وعده لمن زار بيته ، وليرج أنه إن لم يصل إليه وأدركته المنية فى الطريق لقى الله عز وجل وافداً إليه إذ قال جل جلاله (وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ[1])

وأما دخول البادية إلى الميقات ومشاهدة تلك العقبات : فليتذكر فيها ما بين الخروج من الدنيا بالموت إلى ميقات يوم القيامة وما بينهما من الأهوال والمطالبات . وليتذكر من هول قطاع الطريق هول سؤال منكر ونكير ، ومن سباع البوادى عقاربَ القبر وديدانه وما فيه من الأفاعى والحيات ، ومن انفراده عن أهله وأقاربه وحشةَ القبر وكربته ووحدته وليكن فى هذه المخاوف فى أعماله وأقواله متزوداً لمخاوف القبر

وأما الاحرام والتلبية من الميقات : فليعلم أن معناه إجابة نداء الله عز وجل ، فارج أن تكون مقبولا ، وأخش أن يقال لك : لا لبيك ولا سعديك . فكن بين الرجاء والخوف مترددا ، وعن حولك وقوتك متبرئا ، وعلى فضل الله عز وجل وكرمه متكلا ، فان وقت التلبية هو بداية الأمر وهى محل الخطر . قال سفيان بن عيينة : حج على بن الحسين رضى الله عنهما فلما أحرم واستوت به راحلته اصفرّ لونه وانتفض ووقعت عليه الرعدة ولم يستطع أن يلبي ، فقيل له : لم لا تلبي ؟ فقال : أخشى أن يقال لى لا لبيك ولا سعديك ، فلما لبى غشى عليه ووقع عن راحلته ، فلم يزل يعتريه ذلك حتى قضى حجه . وقال أحمد بن أبى الحوارى : كنت مع أبى سليمان الدارنى رضى الله عنه حين أراد الاحرام فلم يلب حتى سرنا ميلا فأخذته الغشية ثم أفاق وقال . يا أحمد إن الله سبحانه أوحى إلى موسى عليه السلام : مُرْ ظلمة بنى إسرائيل أن يقلوا من ذكرى فانى أذكر من ذكرنى منهم باللعنة ، ويحك يا أحمد : بلغنى أن من حج من غير حله ثم لبى قال الله عز وجل لا لبيك ولا سعديك حتى ترد ما فى يديك ، فما نأمن أن يقال لنا ذلك! وليتذكر الملبي عند رفع الصوت بالتلبية فى الميقات إجابته لنداء الله عز وجل ، إذ قال : (وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ[2]) ونداء الخلق بنفخ الصور ، وحشرهم من القبور ، وازدحامهم فى عرصات القيامة مجيبين لنداء الله سبحانه ، ومنقسمين إلى مقربين وممقوتين ، ومقبولين ومردودين ، ومترددين فى أول الأمر بين الخوف والرجاء تردد الحاج فى الميقات حيث لا يدرون أيتيسر لهم إتمام الحج وقبوله أم لا

(١) النساء : ١٠٠ . (٢) الحج : ٢٧

وأما دخول مكة : فليتذكر عندها أنه قد انتهى إلى حرم الله تعالى آمنا ، وليرج عنده أن يأمن بدخوله من عقاب الله عز وجل ، وليخش أن لا يكون أهلا للقرب فيكون بدخوله الحرم خائبا ومستحقا للمقت ، وليكن رجاؤه فى جميع الأوقات غالبا ، فالكرم عميم ، والرب رحيم ، وشرف البيت عظيم ، وحق الزائر مرعى ، وذمام المستجير اللائذ غير مضيع

وأما وقوع البصر على البيت . فينبغى أن يحضر عنده عظمة البيت فى القلب ، ويقدر كأنه مشاهد لرب البيت لشدة تعظيمه اياه ، وارج أن يرزقك الله تعالى النظر إلى وجهه الكريم كما رزقك الله النظر إلى بيته العظيم . واشكر الله تعالى على تبليغه إياك هذه الرتبة وإلحاقه إياك بزمرة الوافدين عليه ، واذكر عند ذلك انصباب الناس فى القيامة إلى جهة الجنة آملين لدخولها كافة ، ثم انقسامهم إلى مأذونين فى الدخول ومصروفين ، انقسام الحاج إلى مقبولين ومردودين . ولا تغفل عن تذكر أمور الآخرة فى شىء مما تراه ، فان كل أحوال الحاج دليل على أحوال الآخرة

وأما الطواف بالبيت : فاعلم أنه صلاة فاحضر فى قلبك فيه من التعظيم والخوف والرجاء والمحبة ما فصلناه فى كتاب الصلاة . واعلم أنك بالطواف متشبه بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين حوله ، ولا تظنن أن المقصود طواف جسمك بالبيت ، بل المقصود طواف قلبك بذكر رب البيت ، حتى لا تبتدىء الذكر إلا منه ولا تختم إلا به كما تبتدىء الطواف من البيت وتختم بالبيت . واعلم أن الطواف الشريف هو طواف القلب بحضرة الربوبية ، وأن البيت مثال ظاهر فى عالم الملك لتلك الحضرة التى لا تشاهد بالبصر وهى عالم الملكوت ، كما أن البدن مثال ظاهر فى عالم الشهادة للقلب الذى لا يشاهد بالبصر وهو فى عالم الغيب ، وأن عالم الملك والشهادة مَدْرَجة إلى عالم الغيب والملكوت لمن فتح الله له الباب . والى هذه الموازنة وقعت الاشارة بأن البيت المعمور فى السموات بازاء الكعبة ، فان طواف الملائكة به كطواف الأنس بهذا البيت . ولما قصرت رتبة أكثر الخلق عن مثل ذلك الطواف أمروا بالتشبه بهم بحسب الامكان ، ووعدوا بأن [1] « مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ » والذى يقدر على مثل ذلك الطواف هو الذى يقال إن الكعبة تزوره وتطوف به ، على ما رآه بعض المكاشفين لبعض أولياء الله سبحانه وتعالى

---

(١) حديث من تشبه بقوم فهو منهم: أبو داود من حديث ابن عمر بسند صحيح

وأما الاستلام : فاعتقد عنده أنك مبايع لله عز وجل على طاعته ؛ فصمم عزمك على الوفاء ببيعتك ، فمن غدر فى المبايعة استحق المقت ، وقد روى ابن عباس رضى الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] أنه قال « اَلْحَجَرُ اْلأَسْوَدُ يَمِينُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فِى اْلأَرْضِ يُصَافِحُ بِهَا خَلْقَهُ كَمَا يُصَافِحُ الرَّجُلُ أَخَاهُ »

وأما التعلق بأستار الكعبة والالتصاق بالملتزم . فلتكن نيتك فى الالتزام طلب القرب حبا وشوقا للبيت ولرب البيت ، وتبركا بالمماسة ، ورجاء للتحصن عن النار فى كل جزء من بدنك لافى البيت . ولتكن نيتك فى التعلق بالستر الالحاح فى طلب المغفرة وسؤال الأمان، كالمذنب المتعلق بثياب من أذنب إليه المتضرع اليه فى عفوه عنه المظهر له أنه لاملجأله منه إلا اليه ، ولامفزع له إلا كرمه وعفوه ، وأنه لايفارق ذيله إلا بالعفو وبذل الأمن فى المستقبل

وأما السعي بين الصفا والمروة فى فناء البيت : فانه يضاهى تردد العبد بفناء دار الملك جائيا وذاهبا مرة بعد أخرى ، إظهارا للخلوص فى الخدمة ، ورجاء للملاحظة بعين الرحمة ؛ كالذى دخل على الملك وخرج وهو لايدرى ماالذى يقضى به الملك فى حقه من قبول أو رد، فلا يزال يتردد على فناء الدار مرة بعد أخرى يرجو أن يرحم فى الثانية إن لم يرحم فى الأولى. وليتذكر عند تردده بين الصفا والمروة تردده بين كفتى الميزان فى عرصات القيامة ، وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيآت . وليتذكر تردده بين الكفتين ناظرا إلى الرجحان والنقصان متردداً بين العذاب والغفران

وأما الوقوف بعرفة : فاذكر بما ترى من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات ، واختلاف اللغات ، واتباع الفرق أئمتهم فى الترددات على المشاعر ، اقتفاء لهم ، وسيرا بسيرهم ، عرصات القيامة ، واجتماع الأمم مع الأنبياء والأئمة ، واقتفاء كل أمة نبيها ، وطمعهم فى شفاعتهم وتحيرهم فى ذلك الصعيد الواحد بين الرد والقبول . واذا تذكرت ذلك فالزم قلبك الضراعة والابتهال إلى الله عز وجل ؛ فتحشر فى زمرة الفائزين المرحومين . وحقق رجاءك بالاجابة فالموقف شريف ، والرحمة إنما تصل من حضرة الجلال إلى كافة الخلق بواسطة القلوب العزيزة من أوتاد الأرض . ولاينفك الموقف عن طبقة من الأبدال والأوتاد ، وطبقة من الصالحين وأرباب القلوب . فاذا اجتمعت هممهم وتجردت للضراعة والابتهال قلوبهم ،

---

(١) حديث ابن عباس الحجر يمين الله فى الأرض يصافح بها خلقه ـ الحديث : تقدم فى العلم من حديث عبد الله بن عمرو

وارتفعت إلى الله سبحانه أيديهم وامتدت إليه أعناقهم ، وشخصت نحو السماء أبصارهم، مجتمعين بهمة واحدة على طلب الرحمة ، فلا تظنن أنه يخيب أملهم ويضيع سعيهم ويدخر عنهم رحمة تغمرهم . ولذلك قيل : إن من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالى لم يغفر له وكأن اجتماع الهمم والاستظهار بمجاورة الأبدال والأوتاد المجتمعين من أقطار البلاد هو سر الحج وغاية مقصوده ، فلا طريق إلى استدرار رحمة الله سبحانه مثل اجتماع الهمم وتعاون القلوب فى وقت واحد على صعيد واحد

وأما رمى الجمار : فاقصد به الانقياد للأمر اظهارا للرق والعبودية ،وانتهاضا لمجرد الامتثال من غير حظ للعقل والنفس فيه ، ثم اقصد به التشبه بابراهيم عليه السلام حيث عرض له إبليس لعنه الله تعالى فى ذلك الموضع ليدخل على حجه شبهة أو يفتنه بمعصية فأمره الله عز وجل أن يرميه بالحجارة طردا له وقطعا لأمله،فان خطر لك أن الشيطان عرض له وشاهده فلذلك رماه وأما أنا فليس يعرض لى الشيطان ، فاعلم أن هذا الخاطر من الشيطان وأنه الذى ألقاه فى قلبك ليفتر عزمك فى الرمى ويخيل إليك أنه فعل لا فائدة فيه ، وأنه يضاهى اللعب فلم تشتغل به . فاطرده عن نفسك بالجد والتشمير فى الرمى فيه برغم أنف الشيطان. واعلم أنك فى الظاهر ترمى الحصى إلى العقبة ، وفى الحقيقة ترمى به وجه الشيطان وتقصم به ظهره اذ لا يحصل ارغام أنفه إلا بامتثالك أمر الله سبحانه وتعالى تعظيما له بمجرد الأمر من غير حظ للنفس والعقل فيه ، وأما ذبح الهدى فاعلم أنه تقرب إلى الله تعالى بحكم الامتثال ، فأكمل الهدى وارج [1] أن يعتق الله بكل جزء منه جزءاً منك من النار، فهكذا ورد الوعد فكلما كان الهدى أكبر وأجزاؤه أوفر كان فداؤك من النار أعم

وأما زيارة المدينة : فاذا وقع بصرك على حيطانها فتذكر أنها البلدة التى اختارها الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم وجعل اليها هجرته ، وأنها داره التى شرع فيها فرائض ربه عز وجل وسنته ، وجاهد عدوه وأظهر بها دينه ، إلى أن توفاه الله عز وجل ، ثم جعل تربته فيها وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده رضى الله عنهما. ثم مثل فى نفسك مواقع أقدام رسول الله

---

(١) حديث انه يعتق بكل جزء من الأضحية جزأ من المضحى من النار: لم أقف له على أصل وفى كتاب الضحايا لأبى الشيخ من حديث أبى سعيد فان لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ما تقدم من ذنوبك يقوله لفاطمه واسناده ضعيف

صلى الله عليه وسلم عند ترداداته فيها ، وأنه ما من موضع قدم تطؤه إلا وهو موضع أقدامه العزيزة ، فلا تضع قدمك عليه إلا عن سكينة ووجل ، وتذكر مشيه وتخطيه في سككها ، وتصور خشوعه وسكينته في المشي ، وما استودع الله سبحانه قلبه من عظيم معرفته ورفعة ذكره مع ذكره تعالى حتى قرنه بذكر نفسه ، وإحباطه عمل من هتك حرمته ولو برفع صوته فوق صوته . ثم تذكر ما منّ الله تعالى به على الذين أدركوا صحبته وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه ، وأعظم تأسفك على مافاتك من صحبته وصحبة أصحابه رضى الله عنهم ثم اذكر أنك قد فاتتك رؤيته في الدنيا وأنك من رؤيته في الآخرة على خطر ، وأنك ربما لاتراه إلا بحسرة وقد حيل بينك و بينه قبوله إياك بسوء عملك ، كما قال صلى الله عليه وسلم[1] « يَرْفَعُ اللهُ إِلَيَّ أَقْوَاماً فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ يَا مُحَمَّدُ ! فَأَقُولُ يَارَبِّ أَصْحَابِي ! فَيَقُولُ إِنَّكَ لَاتَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ . فَأَقُولُ بُعْداً وَسُحْقاً » فان تركت حرمة شريعته ولو فى دقيقة من الدقائق فلا تأمن أن يحال بينك و بينه بعدولك عن محجته . وليعظم مع ذلك رجاؤك أن لا يحول الله تعالى بينك و بينه بعد أن رزقك الايمان وأشخصك من وطنك لأجل زيارته من غير تجارة ولا حظ فى دنيا ، بل لمحض حبك له وشوقك إلى أن تنظر إلى آثاره وإلى حائط قبره إذ سمحت نفسك بالسفر بمجرد ذلك لما فاتتك رؤيته ، فما أجدرك بأن ينظر الله تعالى اليك بعين الرحمة

فاذا بلغت المسجد فاذكر أنها العرصة التى اختارها الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم ولأول المسلمين وأفضلهم عصابة ، وأن فرائض الله سبحانه أول ما أقيمت فى تلك العرصة ، وأنها جمعت أفضل خلق الله حيا وميتا ، فليعظم أملك فى الله سبحانه أن يرحمك بدخولك إياه ، فادخله خاشعا معظما ، وما أجدر هذا المكان بأن يستدعى الخشوع من قلب كل مؤمن كما حكى عن أبى سليمان أنه قال : حج أويس القرنى رضى الله عنه ودخل المدينة فلما وقف على باب المسجد قيل له : هذا قبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فغشى عليه ، فلما أفاق قال: أخرجونى فليس يلذلى بلد فيه محمد صلى الله عليه وسلم مدفون !

---

(١) حديث يرفع الى أقوام فيقولون يامحمد يامحمد فأقول يارب أصحابى فيقول انك لاتدري ماأحدثوا بعدك فأقول بعدا وسحقا : متفق عليه من حديث ابن مسعود وأنس وغيرهما دون قوله يامحمد يامحمد

وأما زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم فينبغي أن تقف بين يديه كما وصفناه ، وتزوره ميتاكما تزوره حيا ، ولا تقرب من قبره إلا كما كنت تقرب من شخصه الكريم لو كان حيا ، وكما كنت ترى الحرمة فى أن لا تمس شخصه ولا تقبله بل تقف من بعد ماثلا بين يديه ، فكذلك فافعل ، فان المس والتقبيل للمشاهد عادة النصارى واليهود . واعلم أنه عالم بحضورك وقيامك وزيارتك ، وأنه يبلغه سلامك وصلاتك ، فمثل صورته الكريمة فى خيالك موضوعا فى اللحد بازائك وأحضر عظيم رتبته فى قلبك فقد روى عنه صلى الله عليه وسلم[(١)] « أَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى وَكَّلَ بِقَبْرِهِ مَلَكاً يُبَلِّغُهُ سَلَامَ مَنْ سَلَّمَ عَلَيْهِ مِنْ أُمَّتِهِ » هذا فى حق من لم يحضر قبره فكيف بمن فارق الوطن وقطع البوادى شوقا الى لقائه واكتفى بمشاهدة مشهده الكريم إذ فاته مشاهدة غرته الكريمة؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم[(٢)] « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مَرَّةً وَاحِدَةً صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ عَشْراً » فهذا جزاؤه فى الصلاة عليه بلسانه فكيف بالحضور لزيارته ببدنه ؟ ثم ائت منبر الرسول صلى الله عليه وسلم وتوهم صعود النبى صلى الله عليه وسلم المنبر ، ومثل فى قلبك طلعته البهية كأنها على المنبر وقد أحدق به المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم وهو صلى الله عليه وسلم يحثهم على طاعة الله عز وجل بخطبته ، وسل الله عز وجل أن لا يفرق فى القيامة بينك وبينه . فهذه وظيفة القلب فى أعمال الحج

فاذا فرغ منها كلها فينبغى أن يلزم قلبه الحزن والهم والخوف وأنه ليس يدرى أقبل منه حجه وأثبت فى زمرة المحبوبين أم رد حجه والحق بالمطرودين . وليتعرف ذلك من قلبه وأعماله فان صادف قلبه قد ازداد تجافيا عن دار الغرور وانصرافا إلى دار الأنس بالله تعالى ، ووجد أعماله قد اتزنت بميزان الشرع ، فليثق بالقبول ، فان الله تعالى لا يقبل إلا من أحبه ، ومن أحبه تولاه وأظهر عليه آثار محبته . وكف عنه سطوة عدوه إبليس لعنه الله ، فاذا ظهر ذلك عليه دل على القبول وإن كان الأمر بخلافه فيوشك أن يكون حظه من سفره العناء والتعب . نعوذ بالله سبحانه وتعالى من ذلك

تم كتاب أسرار الحج ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب آداب تلاوة القرءان

---

(١) حديث ان الله وكل بقبره صلى الله عليه وسلم ملكا يبلغه سلام من سلم عليه من أمته: ن حب ك من حديث ابن مسعود بلفظ ان لله ملائكة سياحين فى الارض يبلغونى عن أمتى السلام

(٢) حديث من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا: م من حديث أبي هريرة وعبد الله بن عمرو

كتاب آداب تلاوة القرآن

كتاب آداب تلاوة القرآن

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى امتنّ على عباده بنبيه المرسل صلى الله عليه وسلم ، وكتابه المنزل الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، حتى اتسع على أهل الأفكار طريق الاعتبار بما فيه من القصص والأخبار ، واتضح به سلوك المنهج القويم والصراط المستقيم بما فصّل فيه من الأحكام ، وفرّق بين الحلال والحرام ، فهو الضياء والنور ، وبه النجاة من الغرور ، وفيه شفاء لما فى الصدور . من خالفه من الجبابرة قصمه الله ، ومن ابتغى العلم فى غيره أضله الله . هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، والعروة الوثقى ، والمعتصم الأوفى ، وهو المحيط بالقليل والكثير والصغير والكبير ، لا تنقضى عجائبه ، ولا تتناهى غرائبه ، لا يحيط بفوائده عند أهل العلم تحديد ، ولا يخلقه عند أهل التلاوة كثرة الترديد . هو الذى أرشد الأولين والآخرين ، ولما سمعه الجن لم يلبثوا أن ولوا إلى قومهم منذرين فقالوا (إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا [١]) فكل من آمن به فقد وفق ، ومن قال به فقد صدق ، ومن تمسك به فقد هدى ، ومن عمل به فقد فاز . وقال تعالى : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ [٢]) : ومن أسباب حفظه فى القلوب والمصاحف استدامة تلاوته والمواظبة على دراسته مع القيام بآدابه وشروطه ، والمحافظة على ما فيه من الأعمال الباطنة والآداب الظاهرة ، وذلك لابد من بيانه وتفصيله

وتنكشف مقاصده فى أربعة أبواب

الباب الأول : فى فضل القرءان وأهله

الباب الثانى : فى آداب التلاوة فى الظاهر

الباب الثالث : فى الأعمال الباطنة عند التلاوة

الباب الرابع : فى فهم القرءان وتفسيره بالرأى وغيره

(١) الجن : ١ ، ٢ (٢) الحجر : ٩

الباب الأول

فى فضل القرآن وأهله وذم المقصرين فى تلاوته

فضيلة القرآن

قال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ ثُمَّ رَأَى أَنَّ أَحَداً أُوتِىَ أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِىَ فَقَدِ اسْتَصْغَرَ مَا عَظَّمَهُ اللهُ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « مَا مِنْ شَفِيعٍ أَفْضَلَ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ تَعَالَى مِنَ الْقُرْآنِ لاَ نَبِىٌّ وَلاَ مَلَكٌ وَلاَ غَيْرُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « لَوْ كَانَ الْقُرْآنُ فِى إِهَابٍ مَا مَسَّتْهُ النَّارُ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٤) « أَفْضَلُ عِبَادَةِ أُمَّتِى تِلاَوَةُ الْقُرْآنِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٥) أيضاً « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَرَأَ طٰهٰ وَيٰس قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ بِأَلْفِ عَامٍ فَلَمَّا سَمِعَتِ الْمَلاَئِكَةُ الْقُرْآنَ قَالَتْ طُوبَى لِأُمَّةٍ يَنْزِلُ عَلَيْهِمْ هَذَا، وَطُوبَى لِأَجْوَافٍ تَحْمِلُ هَذَا، وَطُوبَى لِأَلْسِنَةٍ تَنْطِقُ بِهَذَا » وقال صلى الله عليه وسلم : (٦) « خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ »

﴿ كتاب آداب تلاوة القرءان ﴾

﴿ الباب الأول فى فضل القرءان وأهله ﴾

(١) حديث من قرأ القرءان ثم رأى ان أحدا أوتى أفضل مما أوتى فقد استصغر ماعظمه الله: طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف

(٢) حديث مامن شفيع أعظم منزلة عندالله من القرءان لانبى ولاملك ولا غيره: رواه عبد الملك بن حبيب من رواية سعيد بن سليم مرسلا وللطبرانى من حديث ابن مسعود القرءان شافع مشفع ولمسلم من حديث أبى أمامة اقرءوا القرءان فانه يجىء يوم القيامة شفيعا لصاحبه

(٣) حديث لو كان القرءان فى اهاب مامسته النار : الطبرانى وابن حبان فى الضعفاء من حديث سهل ابن سعد ولأحمد والدارمى والطبرانى من حديث عقبة بن عامر وفيه ابن لهيعة ورواه ابن عدى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث عصمة بن مالك باسناد ضعيف

(٤) حديث أفضل عبادة أمتى تلاوة القرءان: أبو نعيم فى فضائل القرءان من حديث النعمان بن بشير وأنس واسنادها ضعيف

(٥) حديث ان الله عز وجل قرأ طه ويس قبل أن يخلق الخلق بألف عام ـ الحديث : الدارمى من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

(٦) حديث خيركم من تعلم القرءان وعلمه : خ من حديث عثمان بن عفان

وقال صلى الله عليه وسلم: (١) « يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: مَنْ شَغَلَهُ قِرَاءَةُ الْقُرْءَانِ عَنْ دُعَائِي وَمَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ ثَوَابِ الشَّاكِرِينَ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٢) « ثَلاَثَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كَثِيبٍ مِنْ مِسْكٍ أَسْوَدَ لَا يَهُولُهُمْ فَزَعٌ وَلَا يَنَالُهُمْ حِسَابٌ حَتَّى يُفْرَغَ مَا بَيْنَ النَّاسِ : رَجُلٌ قَرَأَ الْقُرْءَانَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَرَجُلٌ أَمَّ بِهِ قَوْمًا وَهُمْ بِهِ رَاضُونَ » . وقال صلى الله عليه وسلم: (٣) أَهْلُ الْقُرْءَانِ أَهْلُ اللهِ وَخَاصَّتُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٤) « إِنَّ الْقُلُوبَ تَصْدَأُ كَمَا يَصْدَأُ الْحَدِيدُ ، فَقِيلَ يَارَسُولَ اللهِ وَمَاجِلاَؤُهَا؟ فَقَالَ: تِلاَوَةُ الْقُرْءَانِ وَذِكْرُ الْمَوْتِ» وقال صلى الله عليه وسلم : (٥) «لَلَّهُ أَشَدُّ أُذُنًا إِلَى قَارِئِ الْقُرْءَانِ مِنْ صَاحِبِ الْقَيْنَةِ إِلَى قَيْنَتِهِ»

الآثار : قال أبو أمامة الباهلي : اقرءوا القرءان ولا تغرنكم هذه المصاحف المعلقة : فان الله لا يعذب قلبا هو وعاء للقرءان .وقال ابن مسعود : إذا أردتم العلم فانثروا القرءان فان فيه علم الأولين والآخرين . وقال أيضا : اقرءوا القرءان فانكم تؤجرون عليه بكل حرف منه عشر حسنات ، أمّا إنى لاأقول الحرف الم ، ولكن الألف حرف واللام حرف والميم حرف . وقال أيضا : لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرءان ، فان كان يحب القرءان ويعجبه فهو يحب الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم ، وإن كان يبغض القرءان فهو يبغض الله سبحانه ورسوله صلى الله عليه وسلم. وقال عمرو بن العاص: كل آية فى القرءان درجة فى الجنة ومصباح فى بيوتكم. وقال أيضاً من قرأ القرءان فقد أدرجت النبوة بين جنبيه إلا أنه لا يوحى اليه

وقال أبو هريرة : إن البيت الذى يتلى فيه القرءان اتسع بأهله ، وكثر خيره، وحضرته الملائكة ، وخرجت منه الشياطين ، وإن البيت الذى لا يتلى فيه كتاب الله عز وجل ضاق بأهله ، وقل خيره ، وخرجت منه الملائكة ، وحضرته الشياطين . وقال أحمد بن حنبل :

---

(١) حديث يقول الله من شغله قراءة القرءان عن دعائى ومسألتى أعطيته ثواب الشاكرين: ت من حديث أبى سعيد من شغله القرءان عن ذكرى أو مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين وقال حسن غريب ورواه ابن شاهين بلفظ المصنف

(٢) حديث ثلاثة يوم القيامة على كثيب من مسك ـ الحديث : تقدم فى الصلاة

(٣) حديث أهل القرءان أهل الله وخاصته: ن فى الكبرى و ه ك من حديث أنس باسناد حسن .

(٤) حديث ان هذه القلوب تصدأ كما يصدأ الحديد قيل ماجلاؤها قال تلاوة القرءان وذكر الموت: البيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف

(٥) حديث لله أشد أذنا الى قارىء القرءان من صاحب القينة الى قينته: ه حب ك وصححه من حديث فضالة بن عبيد

رأيت الله عز وجل فى المنام فقلت : يارب ماأفضل ماتقرب به المتقربون اليك ؟ قال بكلامى يا أحمد . قال قلت يارب بفهم أو بغير فهم ؟ قال : بفهم وبغير فهم . وقال محمد بن كعب القرظى : اذا سمع الناس القرءان من الله عز وجل يوم القيامة فكأنهم لم يسمعوه قط

وقال الفضيل بن عياض : ينبغى لحامل القرءان أن لا يكون له إلى أحد حاجة ولا إلى الخلفاء ، فمن دونهم ، فينبغى أن تكون حوائج الخلق إليه . وقال أيضا : حامل القرءان حامل راية الاسلام فلا ينبغى أن يلهو مع من يلهو ، ولا يسهو مع من يسهو ، ولا يلغو مع من يلغو ، تعظيما لحق القرءان . وقال سفيان الثورى : إذا قرأ الرجل القرءان قبل الملك بين عينيه . وقال عمرو بن ميمون : من نشر مصحفاً حين يصلى الصبح فقرأ منه مائة آية رفع الله عز وجل له مثل عمل جميع أهل الدنيا

ويروى [٢] أَنَّ خَالِدَ بْنَ عُقْبَةَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَالَ: اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْءانَ فَقَرَأَ عَلَيْهِ (إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى [١]) الآية فقال له : أَعِدْ فَأَعَادَ ، فقَالَ وَاللهِ إِنَّ لَهُ لَحَلَاوَةً ، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلَاوَةً ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُورِقٌ ، وَإِنَّ أَعْلَاهُ لَمُثْمِرٌ وَمَا يَقُولُ هَذَا بَشَرٌ » وقال الحسن : والله مادون القرءان من غنى ولا بعده من فاقة . وقال الفضيل : من قرأ خاتمة سورة الحشر حين يصبح ثم مات من يومه ختم له بطابع الشهداء ، ومن قرأها حين يمسى ثم مات من ليلته ختم له بطابع الشهداء . وقال القاسم بن عبد الرحمن : قلت لبعض النساك : ماهاهنا أحد تستأنس به ، فمد يده الى المصحف ووضعه على حجره وقال : هذا . وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه : ثلاث يزدن فى الحفظ ، ويذهبن البلغم : السواك ، والصيام ، وقراءة القرءان

فى ذم تلاوة الغافلين

قال أنس بن مالك : رب تال للقرءان والقرءان يلعنه . وقال ميسرة : الغريب هو القرءان فى جوف الفاجر . وقال أبو سليمان الدارنى : الزبانية أسرع إلى حملة القرءان الذين يعصون الله عز وجل منهم إلى عبدة الأوثان حين عصوا الله سبحانه بعد القرءان . وقال بعض العلماء : إذا قرأ ابن آدم القرءان ثم خلط ثم عاد فقرأ ، قيل له : مالك ولكلامى

---

(٢) حديث ان خالد بن عقبة جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اقرأ على فقرأ عليه ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذى القربى فقال أعد فأعاد فقال ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان أسفله لمغدق وان أعلاه لمثمر وما يقول هذا بشر : ذكره ابن عبد البر فى الاستيعاب بغير اسناد ورواه البيهقى فى الشعب من حديث ابن عباس بسند جيد الا أنه قال الوليد بن المغيرة بدل خالد بن عقبة وكذا ذكره ابن اسحق فى السيرة بنحوه

وقال ابن الرماح : ندمت على استظهارى القرءان لأنه بلغنى أن أصحاب القرءان يسألون عما يسأل عنه الأنبياء يوم القيامة . وقال ابن مسعود : ينبغى لحامل القرءان أن يعرف بليله اذا الناس ينامون ، وبنهاره اذا الناس يفرطون ، وبحزنه اذا الناس يفرحون ، وبيكائه إذا الناس يضحكون ، وبصمته اذا الناس يخوضون ، وبخشوعه إذا الناس يختالون وينبغى لحامل القرءان أن يكون مستكينا لينا ، ولا ينبغى له أن يكون جافيا ولا مماريا ولا صياحا ولا صخابا ولا حديدا

وقال صلى الله عليه وسلم:[١] « أَكْثَرُ مُنَافِقِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قُرَّاؤُهَا » وقال صلى الله عليه وسلم[٢] « اقْرَإِ الْقُرْءَانَ مَا نَهَاكَ ، فَإِنْ لَمْ يَنْهَكَ فَلَسْتَ تَقْرَؤُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم[٣] « مَا آمَنَ بِالْقُرْءَانِ مَنِ اسْتَحَلَّ مَحَارِمَهُ »

وقال بعض السلف : إن العبد ليفتتح سورة فتصلى عليه الملائكة حتى يفرغ منها ، وإن العبد ليفتتح سورة فتلعنه حتى يفرغ منها ، فقيل له : وكيف ذلك ؟ فقال : إذا أحل حلالها وحرم حرامها صلت عليه وإلا لعنته . وقال بعض العلماء : إن العبد ليتلو القرءان فيلعن نفسه وهو لا يعلم ، يقول . ألا لعنة الله على الظالمين وهو ظالم نفسه ، ألا لعنة الله على الكاذبين وهو منهم! وقال الحسن: إنكم اتخذتم قراءة القرءان مراحل وجعلتم الليل جملا فأنتم تركبونه فتقطعون به مراحله ، وإن من كان قبلكم رأوه رسائل من ربهم فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار

وقال ابن مسعود: أنزل القرءان عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته عملا ، إن أحدكم ليقرأ القرءان من فاتحته إلى خاتمته ما يسقط منه حرفا وقد أسقط العمل به. وفى حديث ابن عمر وحديث جندب رضى الله عنهما[٤] « لَقَدْ عِشْنَا دَهْراً طَوِيلاً وَأَحَدُنَا يُؤْتَى الْإِيمَانَ قَبْلَ الْقُرْءَانِ فَتَنْزِلُ السُّورَةُ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَتَعَلَّمُ حَلَالَهَا وَحَرَامَهَا وَآمِرَهَا وَزَاجِرَهَا وَمَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهَا ثُمَّ لَقَدْ رَأَيْتُ رِجَالاً يُؤْتَى أَحَدُهُمُ الْقُرْءَانَ قَبْلَ الْإِيمَانِ فَيَقْرَأُ مَا بَيْنَ فَاتِحَةِ الْكِتَابِ إِلَى خَاتِمَتِهِ لَا يَدْرِي مَا آمِرُهُ وَلَا زَاجِرُهُ وَلَا مَا يَنْبَغِي أَنْ يَقِفَ عِنْدَهُ مِنْهُ يَنْثُرُهُ نَثْرَ الدَّقَلِ »

---

(١) حديث أكثر منافقى أمتى قراؤها: أحمد من حديث عقبة بن عامر وعبد الله بن عمرو وفيها ابن لهيعة

(٢) حديث اقرأ القرءان ما نهاك فان لم ينهك فلست تقرؤه: طب من حديث عبد الله بن عمرو بسند ضعيف

(٣) حديث ما آمن بالقرءان من استحل محارمه: ت من حديث صهيب وقال ليس اسناده بالقوى

(٤) حديث ابن عمر وحديث جندب لقد عشنا دهرا وأحدنا يؤتى الايمان قبل القرءان ـ الحديث : تقدما فى العلم

وقد ورد فى التوراة : ياعبدى أما تستحى منى : يأتيك كتاب من بعض إخوانك وأنت فى الطريق تمشى فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرؤه وتتدبره حرفا حرفا حتى لا يفوتك شىء منه ، وهذا كتابى أنزلته إليك ، أنظركم فصلت لك فيه من القول ، وكم كررت عليك فيه لتتأمل طوله وعرضه ثم أنت معرض عنه ، أفكنت أهون عليك من بعض إخوانك! ياعبدى يقعد اليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك وتصغى إلى حديثه بكل قلبك فان تكلم متكلم أوشغلك شاغل عن حديثه أومأت إليه أن كف ، وها أناذا مقبل عليك ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عنى ، أفجعلتنى أهون عندك من بعض إخوانك ؟

الباب الثانى

فى ظاهر آداب التلاوة وهى عشرة

الأول فى حال القارىء :

وهو أن يكون على الوضوء واقفاً على هيئة الأدب والسكون إماقائما ، وإما جالساً مستقبل القبلة ، مطرقاً رأسه ، غير متربع ولامتكىء ولاجالس على هيئة التكبر، ويكون جلوسه وحده كجلوسه بين يدى أستاذه . وأفضل الأحوال أن يقرأ فى الصلاة قائما ، وأن يكون فى المسجد ، فذلك من أفضل الأعمال . فان قرأعلى غير وضوء وكان مضطجعا فى الفراش فله أيضاً فضل ولكنه دون ذلك ، قال الله تعالى : (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ [1]) فأثنى على الكل ولكن قدم القيام فى الذكر ثم القعود ثم الذكر مضطجعا . قال علىّ رضى الله عنه : من قرأ القرءان وهو قائم فى الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ، ومن قرأه وهو جالس فى الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة ، ومن قرأه فى غير صلاة وهو على وضوء فخمس وعشرون حسنة ، ومن قرأه على غير وضوء فعشر حسنات . وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب. قال أبو ذر الغفارى رضى الله عنه : إن كثرة السجود بالنهار وإن طول القيام بالليل أفضل

الثانى فى مقدار القراءة :

وللقراء عادات مختلفة فى الاستكثار والاختصار ، فمنهم من يختم القرءان فى اليوم والليلة مرة ، وبعضهم مرتين ، وانتهى بعضهم إلى ثلاث ، ومنهم من يختم فى الشهر مرة .

(١) آل عمران ١٩١

وأولى مايرجع إليه فى التقديرات قول رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] « مَنْ قَرَأَ الْقُرْءانَ فى أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثٍ لَمْ يَفْقَهْهُ » وذلك لان الزيادة عليه تمنعه الترتيل . وقد قالت عائشة رضى الله عنها لما سمعت رجلا يهذر القرءان هذرا : إن هذا ماقرأ القرءان ولاسكت . « وَأَمَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [2] عَبْدَ اللهِ بنَ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنْ يَخْتِمَ الْقُرْءانَ فِى كُلِّ سَبْعٍ » وكذلك كان جماعة من الصحابة رضى الله عنهم يختمون القرءان فى كل جمعة : كعثمان ، وزيد بن ثابت ، وابن مسعود ، وأبىّ بن كعب رضى الله عنهم . ففى الختم أربع درجات : الختم فى يوم وليلة وقد كرهه جماعة ، والختم فى كل شهر كل يوم جزء من ثلاثين جزءا ، وكأنه مبالغة فى الاقتصار كما أن الأوّل مبالغة فى الاستكثار ، وبينهما درجتان معتدلتان : إحداهما فى الأسبوع مرة ، والثانية فى الأسبوع مرتين تقريبا من الثلاث

والأحب أن يختم ختمة بالليل وختمة بالنهار ، ويجعل ختمه بالنهار يوم الاثنين فى ركعتى الفجر أو بعدهما ، ويجعل ختمه بالليل ليلة الجمعة فى ركعتى المغرب أو بعدهما ، ليستقبل أول النهار وأول الليل بختمته ، فان الملائكة عليهم السلام تصلى عليه إن كانت ختمته ليلا حتى يصبح ، وإن كان نهارا حتى يمسى فتشمله بركتهما جميع الليل والنهار . والتفصيل فى مقدار القراءة أنه إن كان من العابدين السالكين طريق العمل فلا ينبغى أن ينقص عن ختمتين فى الاسبوع ، وإن كان من السالكين بأعمال القلب وضروب الفكر أو من المشتغلين بنشر العلم فلا بأس أن يقتصر فى الأسبوع على مرة ، وإن كان نافذ الفكر فى معانى القرءان فقد يكتفى فى الشهر بمرة لكثرة حاجته إلى كثرة الترديد والتأمل

الثالث فى وجه القسمة :

أما من ختم فى الأسبوع مرة فيقسم القرءان [3] سبعة أحزاب ، فقد حزب الصحابة رضى الله عنهم القرءان أحزابا ، فروى أن عثمان رضى الله عنه كان يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة

﴿ الباب الثانى فى ظاهر آداب التلاوة ﴾

(١) حديث من قرأ القرءان فى أقل من ثلاث لم يفقهه : أصحاب السنن من حديث عبد الله بن عمرو وصححه
(٢) حديث أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن عمرو أن يختم القرءان فى كل أسبوع : متفق عليه من حديثه
(٣) حديث تحزيب القرءان على سبعة أحزاب د ه من حديث أوس بن حذيفة فى حديث فيه طرأ على حزبى من القرءان قال أوس فسألت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تحزبون القرءان قالوا ثلاث وخمس وسبع وتسع واحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وفى رواية للطبرانى فسألنا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجزىء القرءان فقالوا كان يجزئه ثلاثا فذكره مرفوعا واسناده حسن

وليلة السبت بالأنعام إلى هود ، وليلة الأحد يوسف إلى مريم ، وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون ، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص ، وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن ، ويختم ليلة الخميس . وابن مسعود كان يقسمه أقساما لاعلى هذا الترتيب . وقيل أحزاب القرءان سبعة : فالحزب الأول ثلاث سور ، والحزب الثانى خمس سور ، والحزب الثالث سبع سور ، والرابع تسع سور ، والخامس إحدى عشرة سورة ، والسادس ثلاث عشر سورة ، والسابع المفصل من ق إلى آخره . فهكذا حزبه الصحابة رضي الله عنهم ، وكانوا يقرءونه كذلك . وفيه خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وهذا قبل أن تعمل الأخماس والأعشار والأجزاء ، فما سوى هذا محدث .

الرابع فى الكتابة :

يستحب تحسين كتابة القرءان وتبيينه ، ولا بأس بالنقط والعلامات بالحمرة وغيرها ، فانها تزيين وتبيين وصد عن الخطأ واللحن لمن يقرؤه . وقد كان الحسن وابن سيرين ينكرون الأخماس والعواشر والأجزاء . وروى عن الشعبي وابراهيم كراهية النقط بالحمرة وأخذ الأجرة على ذلك ، وكانوا يقولون : جردوا القرءان . والظن بهؤلاء أنهم كرهوا فتح هذا الباب خوفا من أن يؤدى إلى احداث زيادات وحسما للباب ، وتشوقا إلى حراسة القرءان عما يطرق اليه تغييراً ، وإذا لم يؤد إلى محظور واستقر أمر الأمة فيه على ما يحصل به مزيد معرفة فلا بأس به ، ولا يمنع من ذلك كونه محدثا ، فكم من محدث حسن ، كما قيل فى إقامة الجماعات فى التراويح إنها من محدثات عمر رضى الله عنه ، وإنها بدعة حسنة ، إنما البدعة المذمومة ما يصادم السنة القديمة أو يكاد يفضى إلى تغييرها . وبعضهم كان يقول : أقرأ فى المصحف المنقوط ولا أنقطه بنفسى . وقال الأوزاعى عن يحيى بن أبى كثير : كان القرءان مجرداً فى المصاحف فأول ما أحدثوا فيه النقط على الباء والتاء وقالوا لا بأس به ، فانه نور له ، ثم أحدثوا بعده نقطا كباراً عند منتهى الآى فقالوا لا بأس به يعرف به رأس الآية ، ثم أحدثوا بعد ذلك الخواتم والفواتح . قال أبو بكر الهذلى : سألت الحسن عن تنقيط المصاحف بالأحمر فقال : وما تنقيطها ؟ قلت : يعربون الكلمة بالعربية . قال : أما إعراب القرءان فلا بأس به

وقال خالد الحذاء : دخلت على ابن سيرين فرأيته يقرأ فى مصحف منقوط وقد كان يكره النقط . وقيل إن الحجاج هو الذى أحدث ذلك ، وأحضر القراء حتى عدُّوا كلمات القرءان وحروفه وسوّوا أجزاءه وقسموه إلى ثلاثين جزءاً وإلى أقسام أخر

الخامس الترتيل :

هو المستحب فى هيئة القرءان لأنا سنبين أن المقصود من القراءة التفكر ، والترتيل معين عليه ، ولذلك نعتت أم سلمة رضى الله عنها قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم [1] فاذاهى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا . وقال ابن عباس رضى الله عنه : لأن أقرأ البقرة وآل عمران أرتلهما وأتدبرهما أحب إلىّ من أن أقرأ القرءان كله هذرمةً . وقال أيضا : لأن أقرأ إذا زلزلت والقارعة أتدبرهما أحب إلىّ من أن أقرأ البقرة وآل عمران تهذيرا . وسئل مجاهد عن رجلين دخلا فى الصلاة فكان قيامهما واحدا إلا أن أحدهما قرأ البقرة فقط والآخر القرءان كله فقال : هما فى الأجر سواء . واعلم أن الترتيل مستحب لا لمجرد التدبر ، فان العجمى الذى لا يفهم معنى القرءان يستحب له فى القراءة أيضا الترتيل والتؤدة ، لأن ذلك أقرب إلى التوقير والاحترام ؛ وأشد تأثيرا فى القلب من الهذرمة والاستعجال

السادس البكاء :

البكاء مستحب مع القراءة ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] « اتلُوا القُرءانَ وَابكُوا فَإنْ لَمْ تَبكُوا فَتَبَاكَوا » وقال صلى الله عليه وسلم [3] « لَيسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرءانِ » وقال صالح المرّى : قرأت القرءان على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى : ياصالح هذه القراءة فأين البكاء ؟ وقال ابن عباس رضى الله عنهما : إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود حتى تبكوا فان لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه . وإنما طريق تكلف البكاء أن يحضر قلبه الحزن ، فمن الحزن ينشأ البكاء . قال صلى الله عليه وسلم [4] « إنَّ القُرءانَ نَزَلَ بِحُزْنٍ فَإذَا قَرَأْتُمُوهُ فَتَحَازَنُوا » ووجه احضار الحزن أن يتأمل مافيه من التهديد والوعيد والمواثيق والعهود ، ثم يتأمل تقصيره فى أوامره وزواجره فيحزن لا محالة ويبكى ، فان لم يحضره حزن وبكاء كما يحضر أرباب القلوب الصافية فليبك على فقد الحزن والبكاء فان ذلك أعظم المصائب

---

(١) حديث نعتت أم سلمة قراءة النبى صلى الله عليه وسلم فاذاهى تنعت قراءة مفسرة حرفا حرفا : د ن ت وقال حسن صحيح

(٢) حديث اتلوا القرءان وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا : ه من حديث سعد ابن أبى وقاص بأسناد جيد

(٣) حديث ليس منا من لم يتغن بالقرءان : خ من حديث أبى هريرة

(٤) حديث أن القرءان نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا : أبو يعلى وأبو نعيم فى الحلية من حديث ابن عمر بسند ضعيف

السابع: ان يراعى حق الآيات فاذا مر بآية سجدة سجد، وكذلك إذا سمع من غيره سجدة سجد إذا سجد التالى، ولا يسجد إلا إذا كان على طهارة. وفى القرءان أربع عشرة سجدة وفى الحج سجدتان، وليس فى ص سجدة. وأقله أن يسجد بوضع جبهته على الأرض، وأكمله أن يكبر فيسجد ويدعو فى سجوده بما يليق بالآية التى قرأها، مثل أن يقرأ قوله تعالى: (خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ[1]) فيقول: اللهم اجعلنى من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك أو على أوليائك. وإذا قرأ قوله تعالى: (وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا[2]) فيقول: اللهم اجعلنى من الباكين إليك، الخاشعين لك. وكذلك كل سجدة. ويشترط فى هذه السجدة شروط الصلاة: من ستر العورة، واستقبال القبلة، وطهارة الثوب والبدن من الحدث والخبث. ومن لم يكن على طهارة عند السماع فاذا تطهر يسجد. وقد قيل فى كمالها أن يكبر رافعا يديه لتحريمه، ثم يكبر للهوىّ للسجود ثم يكبر للارتفاع ثم يسلم. وزاد زائدون التشهد، ولا أصل لهذا إلا القياس على سجود الصلاة وهو بعيد، فانه ورد الأمر فى السجود فليتبع فيه الأمر، وتكبيرة الهوى أقرب للبداية وما عدا ذلك ففيه بُعد. ثم المأموم ينبغى أن يسجد عند سجود الامام، ولا يسجد لتلاوة نفسه إذا كان مأموما

الثامن: أن يقول فى مبتدأ قراءته: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون. وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله، وليقل عند فراغه من القراءة صدق الله تعالى وبلّغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه، الحمد لله رب العالمين، وأستغفر الله الحى القيوم، وفى أثناء القراءة اذا مر بآية تسبيح سبّح وكبّر، وإذا مر بآية دعاء واستغفار دعا واستغفر، وإن مر بمرجوّ سأل، وإن مر بمخوّف استعاذ. يفعل ذلك بلسانه أو بقلبه فيقول: سبحان الله نعوذ بالله، اللهم ارزقنا اللهم ارحمنا. قال حذيفة: « صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَابْتَدَأَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ[1] فَكَانَ لَا يَمُرُّ بِآيَةِ رَحْمَةٍ إِلَّا سَأَلَ، وَلَا بِآيَةِ عَذَابٍ إِلَّا اسْتَعَاذَ،

---

(١) حديث حذيفة كان لا يمر بآية عذاب الا تعوذ ولا بآية رحمة إلا سأل ولا بآية تنزيه الا سبح: م مع اختلاف لفظ

(١) السجدة : ١٥ (٢) الاسراء : ١٠٩

وَلا بآيَةِ تنزيه إلَّا سَبَّحَ » فإذا فرغ قال ما كان يقوله صلوات الله عليه وسلامه[1] عند ختم القرآن « اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي بِالْقُرْآنِ واجْعَلْهُ لِي إماماً ونُوراً وهُدًى وَرَحْمَةً اللَّهُمَّ ذَكِّرْنِي مِنْهُ مَا نَسِيتُ وَعَلِّمْنِي مِنْهُ مَاجَهِلْتُ وَارْزُقْنِي تِلاوَتَهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وأَطْرافَ النَّهارِ واجْعَلْهُ لِي حُجَّةً يارَبَّ الْعالَمِينَ »

التاسع في الجهر بالقراءة :

ولا شك في أنه لابد أن يجهر به إلى حد يسمع نفسه إذ القراءة عبارة عن تقطيع الصوت بالحروف، ولابد من صوت فأقله مايسمع نفسه ، فإن لم يسمع نفسه لم تصح صلاته . فأما الجهر بحيث يسمع غيره فهو محبوب على وجه ومكروه على وجه آخر

ويدل على استحباب الإسرار ماروى أنه صلى الله عليه وسلم[2] قال: « فَضْلُ قِرَاءَةِ السِّرِّ عَلَى قِرَاءَةِ الْعَلانِيَةِ كَفَضْلِ صَدَقَةِ السِّرِّ عَلَى صَدَقَةِ الْعَلانِيَةِ » وفي لفظ آخر : « الْجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالْجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ والْمُسِرُّ بِهِ كَالْمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ » وفي الخبر العام:[3] « يَفْضُلُ عَمَلُ السِّرِّ عَلَى عَمَلِ الْعَلانِيَةِ سَبْعِينَ ضِعْفاً » وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم[4] « خَيْرُ الرِّزْقِ مَا يَكْفِي وَخَيْرُ الذِّكْرِ الْخَفِيُّ » وفي الخبر[5] « لا يَجْهَرْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْقِرَاءَةِ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ » وسمع سعيد بن المسيب ذات ليلة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن عبد العزيز يجهر بالقراءة في صلاته وكان حسن الصوت فقال لغلامه : اذهب إلى هذا المصلي فمره أن يخفض من صوته فقال الغلام : إن المسجد ليس لنا وللرجل فيه نصيب فرفع سعيد صوته

---

(١) حديث كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند ختم القرآن اللهم ارحمني بالقرآن واجعله لي اماما وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله لي حجة يارب العالمين : رواه أبو منصور المظفر بن الحسين الارجاني في فضائل القرآن وأبو بكر بن الضحاك في الشمائل كلاهما من طريق أبي ذر الهروي من رواية داود ابن قيس معضلا

(٢) حديث فضل قراءة السر على قراءة العلانية كفضل صدقة السر على صدقة العلانية: قال وفي لفظ آخر الجاهر بالقرآن كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة: د ن ت وحسنه من حديث عقبة بن عامر باللفظ الثاني

(٣) حديث يفضل عمل السر على عمل العلانية بسبعين ضعفا : البيهقي في الشعب من حديث عائشة

(٤) حديث خير الرزق ما يكفي وخير الذكر الخفي: أحمد وابن حبان من حديث سعد بن أبي وقاص

(٥) حديث لا يجهر بعضكم على بعض في القراءة بين المغرب والعشاء : رواه أبوداود من حديث البياضي دون قوله بين المغرب والعشاء والبيهقي في الشعب من حديث علي قبل العشاء و بعدها وفيه الحارث الاعور وهو ضعيف .

وقال : ياأيها المصلى إن كنت تريد الله عز وجل بصلاتك فاخفض صوتك، وإن كنت تريد الناس فإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا فسكت عمر بن عبد العزيز وخفف ركعته، فلما سلم أخذ نعليه وانصرف ، وهو يومئذ أمير المدينة

ويدل على استحباب الجهر ما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم [1] سَمِعَ جَمَاعَةً مِنْ أَصْحَابِهِ يَجْهَرُونَ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ فصَوَّبَ ذَلِكَ وقد قال صلى الله عليه وسلم [2] «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى فَلْيَجْهَرْ بِالْقِرَاءَةِ فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ وَعُمَّارَ الدَّارِ يَسْتَمِعُونَ قِرَاءَتَهُ وَيُصَلُّونَ بِصَلَاتِهِ» ومر صلى الله عليه وسلم بثلاثة من أصحابه رضى الله عنهم مختلفى الأحوال [3] فمر على أبى بكر رضى الله عنه وهو يخافت ، فسأله عن ذلك ، فقال : إن الذى أناجيه هو يسمعنى . ومر على عمر رضى الله عنه وهو يجهر ، فسأله عن ذلك، فقال : أوقظ الوسنان وأزجر الشيطان، ومر على بلال وهو يقرأ آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة ، فسأله عن ذلك ، فقال : أخلط الطيب بالطيب . فقال صلى الله عليه وسلم « كُلُّكُمْ قَدْ أَحْسَنَ وَأَصَابَ »

فالوجه فى الجمع بين هذه الأحاديث أن الإسرار أبعد عن الرياء والتصنع فهو أفضل فى حق من يخاف ذلك على نفسه ، فإن لم يخف ولم يكن فى الجهر مايشوش الوقت على مصل آخر فالجهر أفضل ، لأن العمل فيه أكثر ، ولأن فائدته أيضا تتعلق بغيره ، فالخير المتعدى أفضل من اللازم ، ولأنه يوقظ قلب القارىء ، ويجمع همه الى الفكر فيه ، ويصرف إليه سمعه ، ولأنه يطرد النوم فى رفع الصوت ، ولأنه يزيد فى نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ، ولأنه يرجو بجهره تيقظ نائم فيكون هو سبب إحيائه . ولأنه قد يراه بطال

---

(١) حديث أنه سمع جماعة من الصحابة يجهرون فى صلاة الليل فصوب ذلك : فى الصحيحين من حديث عائشة ان رجلا قام من الليل فقرأ فرفع صوته بالقرآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يرحم الله فلانا ـ الحديث : ومن حديث أبى موسى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو رأيتنى وأنا أسمع قراءتك البارحة ـ الحديث : ومن حديثه أيضا انى أعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن : الحديث

(٢) حديث اذا قام أحدكم من الليل يصلى فليجهر بقراءته فان الملائكة وعمار الدار يستمعون إلى قراءته ويصلون بصلاته : رواه بنحوه بزيادة فيه أبو بكر البزار ونصر المقدسى فى المواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر منقطع

(٣) حديث مروره صلى الله عليه وسلم بأبى بكر وهو يخافت وبعمر وهو يجهر وببلال وهو يقرأ من هذه السورة ومن هذه السورة ـ الحديث : تقدم فى الصلاة

غافل فينشط بسبب نشاطه ويشتاق إلى الخدمة ، فمتى حضره شيء من هـذه النيات فالجهر أفضل ، وإن اجتمعت هـذه النيات تضاعف الأجر ، وبكثرة النيات تزكو أعمال الأبرار وتتضاعف أجورهم ، فان كان فى العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر أجور .

ولهـذا نقول : قراءة القرءان فى المصاحف أفضـل ، إذ يزيد فى العمل النظر ، وتأمل المصحف ، وحمله ، فيزيد الأجر بسببه . وقد قيل الختمة فى المصحف بسبع ، لأن النظر فى المصحف أيضا عبادة . وخرق عثمان رضى الله عنه مصحفين لـكثرة قراءته منهما ، فكان كثير من الصحابة يقرءون فى المصاحف ، ويكرهون أن يخرج يوم ولم ينظروا فى المصحف. ودخل بعض فقهاء مصر على الشافعي رضى الله عنه فى السحَر وبين يديه مصحف ، فقال له الشافعي: شغلـكم الفقه عن القرءان، إنى لأصلى العتمة وأضع المصحف بين يدى فما أطبقه حتى أصبح

العاشر: تحسين القراءة وترتيلها بترديد الصوت من غير تمطيط مفرط يغير النظم، فذلك سنة . قال صلى الله عليه وسلم[1] « زَيِّنُوا الْقُرْءَانَ بِأَصْوَاتِكُمْ » وقال عليه السلام :[2] « مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ إِذْنَهُ لِحَسَنِ الصَّوْتِ بِالْقُرْءَانِ » وقال صلى الله عليه وسلم : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْءَانِ » فقيل أراد به الاستغناء ، وقيـل أراد به الترنم . وترديد الألحان به ، وهو أقرب عند أهـل اللغة . وروى أن رسول الله صـلى الله عليه وسـلم كان ليلة[3] ينتظر عائشة رضى الله عنها فابطأت عليه فقال صلى الله عليه وسلم مَاحَبَسَكِ ؟ قالت : يارسول الله كُنْتُ أستمع قراءة رجل ماسمعت أحسن صوتا منه ، فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع إليه طويلا ثم رجع ، فقال صلى الله عليه وسلم : هَـذَا سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ اَلْحَمْدُ لِلهِ الَّذِى جَعَلَ فِي أُمَّتِي مِثْلَهُ[4] واستمع صلى الله عليه وسلم أيضا ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر رضى الله عنهما

(١) حديث زينوا القرءان بأصواتكم: د ن ه حب ك وصححه من حديث البراء بن عازب

(٢) حديث ما أذن الله لشيء أذنه لحسن الصوت بالقرءان: منفق عليه من حديث أبي هريرة بلفظ ما آذن الله لشيء ما أذن لني يتغنى بالقرءان زاد م لنبى حسن الصوت وفى رواية له كأذنه لنبي يتغنى بالقرءان

(٣) حديث كان ينتظر عائشة فابطأت عليه فقال ما حبسك قالت يارسول الله كنت أسمع قراءة رجل ما سمعت أحسن صونا منه فقام صلى الله عليه وسلم حتى استمع الية طويلا ثم رجع فقال هذا سالم مولى أبي حذيفة الحمد لله الذى جعل فى أمنى مثله: ه من حديث عائشة ورجال اسناده ثقات

(٤) حديث استمع ذات ليلة إلى عبد الله بن مسعود ومعه أبو بكر وعمر فوقفوا طويلا ثم قال من أراد أن يقرأ القرءان غضا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد: أحمد ن فى الكبرى من حديث عمر و ت ه من حديث ابن مسعود ان أبابكر وعمر بشراه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب أن يقرأ القرءان ـ الحديث : قال ت حسن صحيح

فوقفوا طويلا ثم قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْءانَ غَضًّا طَرِيًّا كَمَا أُنْزِلَ فَلْيَقْرَأْهُ عَلَى قِرَاءَةِ ابْنِ أُمِّ عَبْدٍ »

وقال صلى الله عليه وسلم[1] لابن مسعود : اقْرَأْ عَلَيَّ فَقَالَ يَارَسُولَ اللهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ ؟ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي ، فَكَانَ يَقْرَأُ وَعَيْنَا رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَفِيضَانِ »[2] واستمع صلى الله عليه وسلم إلى قراءة أبى موسى فقال « لَقَدْ أُوتِيَ هَذَا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ » فبلغ ذلك أباموسى فقال : يارسول الله لو علمت أنك تسمع لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيرًا . ورأى هيثم القارىء رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام قال فقال لى : أنت الهيثم الذى تزين القرءان بصوتك ؟ قلت : نعم . قال : جزاك الله خيرا .

وفى الخبر كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرءان

وقد كان عمر يقول لأبى موسى رضى الله عنهما ذكرنا ربنا ، فيقرأ عنده حتى يكاد وقت الصلاة أن يتوسط ، فيقال ياأمير المؤمنين الصلاة الصلاة ، فيقول أولسنا فى صلاة ؟ إشارة إلى قوله عز وجل (وَلَذِكْرُ اللهِ أَكْبَرُ[1]) وقال صلى الله عليه وسلم[3] « مَنِ اسْتَمَعَ إِلَى آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ كَانَتْ لَهُ نُورًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ » . وفى الخبر : كتب له عشر حسنات . ومهما عظم أجر الاستماع وكان التالى هو السبب فيه كان شريكا فى الأجر ، إلا أن يكون قصده الرياء والتصنع

الباب الثالث

فى أعمال الباطن فى التلاوة وهى عشرة

فهم أصل الكلام ، ثم التعظيم ، ثم حضور القلب ، ثم التدبر ، ثم التفهم ، ثم التخلى عن موانع الفهم ، ثم التخصيص ، ثم التأثر ، ثم الترقى ، ثم التبرى ،

فالأول : فهم عظمة الكلام وعلوه ، وفضل الله سبحانه وتعالى ولطفه بخلقه فى نزوله عن عرش جلاله إلى درجة أفهام خلقه . فلينظر كيف لطف بخلقه فى إيصال معانى كلامه

---

(١) حديث أنه قال لابن مسعود اقرأ فقال يارسول الله أقرأ وعليك أنزل فقال انى أحب أن أسمعه من غيرى ـ الحديث متفق عليه من حديث ابن مسعود

(٢) حديث استمع الى قراءة أبى موسى فقال لقد أوتى هذا من مزامير آل داود : متفق عليه من حديث أبى موسى

(٣) حديث من استمع الى آية من كتاب الله كانت له نورا يوم القيامة وفى الخبر كتب له عشر حسنات : أحمد من حديث أبى هريرة من استمع الى آية من كتاب الله كتب له حسنة مضاعفة ومن تلاها كانت له نورا يوم القيامة وفيه ضعف وانقطاع

(١) العنكبوت : ٤٥

الذى هو صفة قديمة قائمة بذاته إلى أفهام خلقه ، وكيف تجلت لهم تلك الصفة فى طى حروف وأصوات هى صفات البشر ، اذ يعجز البشر عن الوصول الى فهم صفات الله عز وجل إلا بوسيلة صفات نفسه . ولولا استتار كنه جلالة كلامه بكسوة الحروف لماثبت لسماع الكلام عرش ولاثرى، ولتلاشى ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ، ولولا تثبيت الله عز وجل لموسى عليه السلام لما أطاق لسماع كلامه كما لم يطق الجبل مبادى تجليه حيث صار دكا ، ولا يمكن تفهيم عظمة الكلام إلا بأمثلة ، على حدّ فهم الخلق . ولهذا عبر بعض العارفين عنه فقال : إن كل حرف من كلام الله عز وجل فى اللوح المحفوظ أعظم من جبل قاف ، وإن الملائكة عليهم السلام لو اجتمعت على الحرف الواحد أن يقلوه ماأطاقوه ، حتى يأتى إسرافيل عليه السلام وهو ملك اللوح فيرفعه فيقله باذن الله عز وجل ورحمته لا بقوته وطاقته ، ولكن الله عز وجل طوقه ذلك واستعمله به

ولقد تأنق بعض الحكماء فى التعبير عن وجه اللطف فى إيصال معانى الكلام مع علو درجته الى فهم الانسان وتثبيته مع قصور رتبته ، وضرب له مثلا لم يقصر فيه ، وذلك أنه دعا بعضَ الملوك حكيم إلى شريعة الأنبياء عليهم السلام ، فسأله الملك عن أمور فاجاب بما لا يحتمله فهمه ، فقال الملك : أرأيت ماتأتى به الأنبياء إذا ادعت أنه ليس بكلام الناس وأنه كلام الله عز وجل فكيف يطيق الناس حمله ؟ فقال الحكيم : إنا رأينا الناس لما أرادوا أن يفهموا بعض الدواب والطير مايريدون من تقديمها وتأخيرها وإقبالها وادبارها، ورأوا الدواب يقصر تمييزها عن فهم كلامهم الصادر عن أنوار عقولهم مع حسنه وتزيينه وبديع نظمه ، فنزلوا إلى درجة تمييز البهائم ، وأوصلوا مقاصدهم إلى بواطن البهائم بأصوات يضعونها لائقة بهم من النقر والصفير والأصوات القريبة من أصواتها لكي يطيقوا حملها ، وكذلك الناس يعجزون عن حمل كلام الله عز وجل بكنهه وكمال صفاته ، فصاروا بما تراجعوا بينهم من الأصوات التى سمعوا بها الحكمة كصوت النقر والصفير الذى سمعت بالدواب من الناس ، ولم يمنع ذلك معانى الحكمة المخبوأة فى تلك الصفات من أن شرف الكلام أى الأصوات لشرفها وعظم لتعظيمها ، فكان الصوت للحكمة جسدا ومسكنا ، والحكمة للصوت نفسا وروحا فكما أن أجساد البشر تكرم وتعز لمكان الروح فكذلك أصوات الكلام تشرف للحكمة التى فيها ،

والكلام على المنزلة رفيع الدرجة قاهر السلطان نافذ الحكم فى الحق والباطل ، وهو القاضى العدل ، والشاهد المرتضى ، يأمر وينهى ، ولا طاقة للباطل أن يقوم قدام كلام الحكمة ، كما لا يستطيع الظل أن يقوم قدام شعاع الشمس ، ولا طاقة للبشر أن ينفذوا غور الحكمة، كما لا طاقة لهم أن ينفذوا بأبصارهم ضوء عين الشمس ، ولكنهم ينالون من ضوء عين الشمس ما تحيا به أبصارهم ، ويستدلون به على حوائجهم فقط ، فالكلام كالملك المحجوب، الغائب وجهه، النافذ أمره، وكالشمس العزيزة الظاهرة مكنون عنصرها، وكالنجوم الزاهرة التى قد يهتدى بها من لا يقف على سيرها ، فهو مفتاح الخزائن النفيسة ، وشراب الحياة الذى من شرب منه لم يمت ، ودواء الأسقام الذى من سقى منه لم يسقم . فهذا الذى ذكره الحكيم نبذة من تفهيم معنى الكلام، والزيادة عليه لا تليق بعلم المعاملة، فينبغى أن يقتصر عليه

الثانى : التعظيم للمتكلم . فالقارىء عند البداية بتلاوة القرآن ينبغى أن يحضر فى قلبه عظمة المتكلم ، ويعلم أن ما يقرؤه ليس من كلام البشر، وأن فى تلاوة كلام الله عز وجل غاية الخطر ، فانه تعالى قال : (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ [1]) وكما أن ظاهر جلد المصحف وورقه محروس عن ظاهر بشرة اللامس إلا إذا كان متطهرا ، فباطن معناه أيضا بحكم عزه وجلاله محجوب عن باطن القلب إلا إذا كان متطهرا عن كل رجس ومستنيرا بنور التعظيم والتوقير، وكما لا يصلح لمس جلد المصحف كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان، ولا لنيل معانيه كل قلب ، ولمثل هذا التعظيم كان عكرمة بن أبى جهل إذا نشر المصحف غشى عليه ويقول: هو كلام ربى ، هو كلام ربى فتعظيم الكلام تعظيم المتكلم ، ولن تحضره عظمة المتكلم ما لم يتفكر فى صفاته وجلاله وأفعاله ، فاذا حضر بباله العرش والكرسى والسموات والأرض وما بينهما من الجن والانس والدواب والأشجار ، وعلم أن الخالق لجميعها والقادر عليها والرازق لها واحد ، وأن الكل فى قبضة قدرته مترددون بين فضله ورحمته وبين نقمته وسطوته، إن أنعم فبفضله، وإن عاقب فبعدله ، وأنه الذى يقول: هؤلاء إلى الجنة ولا أبالى، وهؤلاء إلى النار ولا أبالى وهذا غاية العظمة والتعالى ، فبالتفكر فى أمثال هذا يحضر تعظيم المتكلم ثم تعظيم الكلام

الثالث : حضور القلب وترك حديث النفس. قيل فى تفسير (يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ [2])

(١) الواقعة : ٧٩ (٢) مريم : ١٢

أي بجد واجتهاد ، وأخذه الجد أن يكون متجردا له عند قراءته منصرف الهمة إليه عن غيره
وقيل لبعضهم: إذا قرأت القرءان تحدث نفسك بشيء؟ فقال : أو شيء احب إلي من القرءان
حتى أحدث به نفسي ؟ وكان بعض السلف إذا قرأ آيه لم يكن قلبه فيها أعادها ثانية . وهـذه
الصـفة تتولد عما قبلها من التعظيم ، فان المعظم للكلام الذي يتلوه يستبشر به و يستأنس
ولا يغفل عنه ، ففي القرءان ما يستأنس به القلب إن كان التالي أهلا له ، فكيف يطلب الأنس
بالفكر في غيره وهو في متنزه ومتفرج ، والذي يتفرج في المتنزهات لا يتفكر في غيرها ،
فقد قيل: إن في القرءان ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس ودبابيج ورياضا وخانات ، فالميمات
ميادين القرءان ، والراءات بساتين القرءان ، والحاءات مقاصيره ، والمسبحات عرائس القرءان ،
والحاميات دبابيج القرءان ، والمفصّل رياضه ، والخانات ماسوى ذلك فاذا دخل القارى
الميادين وقطف من البساتين ودخل المقاصير وشهد العرائس ولبس الدبابيج وتنزه في الرياض
وسكن غرف الخانات ، استغرقه ذلك ، وشغله عما سواه ، فلم يعزب قلبه ، ولم يتفرق فكره

الرابع : التدبر وهو وراء حضور القلب ، فانه قد لا يتفكر في غير القرءان ، ولـكنه
يقتصر على سماع القرءان من نفسه وهو لا يتدبره . والمقصود من القراءة التدبر ، ولذلك
سن فيه الترتيل لأن الترتيل في الظاهر ليتمكن من التدبر بالباطن · قال علي رضى الله عنه :
لا خير في عبادة لافقه فيها ، ولا في قراءة لاتدبر فيها . وإذا لم يتمكن من التدبر إلا بترديد
فليردد إلا أن يكون خلف إمام ، فانه لو بقي في تدبر آية وقد اشتغل الامام بآية أخرى كان
مسيئا ، مثل من يشتغل بالتعجب من كلمة واحدة ممن يناجيه عن فهم بقية كلامه ، وكذلك
إن كان في تسبيح الركوع وهو متفكر في آية قرأها إمامه فهذا وسواس ، فقد روى عن
عامر بن عبد قيس أنه قال : الوسواس يعتريني في الصلاة ، فقيل في أمر الدنيا فقال : لأن
تختلف في الأسنة أحب إلي من ذلك ، ولكن يشتغل قلبي بموقفي بين يدى ربي عز وجل
واني كيف أنصرف . فعد ذلك وسواسا ، وهو كذلك ، فانه يشغله عن فهم ما هو فيه ،
والشيطان لا يقدر على مثله إلا بأن يشغله بمهم ديني ، ولـكن يمنعه به عن الأفضل . ولما ذكر
ذلك للحسن قال : إن كنتم صادقين عنه فما اصطنع الله ذلك عندنا

ويروى « أَنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] قَرَأَ بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ فَرَدَّدَهَا عِشْرِينَ مَرَّةً » وإنما ردَّدها صلى الله عليه وسلم لتدبره فى معانيها . وعن أبى ذر قال : « قَامَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [٢] بِنَا لَيْلَةً فَقَامَ بِآيَةٍ يُرَدِّدُهَا وَهِيَ (إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ [(١)]) الآية وقام تميم الدارى ليلة بهذه الآية (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ [(٢)]) الآية وقام سعيد ابن جبير ليلة يردد هذه الآية (وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ [(٣)]) وقال بعضهم : إنى لأفتتح السورة فيوقفنى بعض ما أشهد فيها عن الفراغ منها حتى يطلع الفجر . وكان بعضهم يقول : آية لا أتفهمها ولا يكون قلبى فيها لا أعدّ لها ثوابا . وحكى عن أبى سليمان الدارانى أنه قال : إنى لأتلو الآية فأقيم فيها أربع ليال أو خمس ليال ولولا أنى أقطع الفكر فيها ما جاوزتها إلى غيرها . وعن بعض السلف أنه بقى فى سورة هود ستة أشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها . وقال بعض العارفين : لى فى كل جمعة ختمة ، وفى كل شهر ختمة ، وفى كل سنة ختمة ولى ختمة منذ ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد ، وذلك بحسب درجات تدبره وتفتيشه . وكان هذا أيضا يقول : أقمت نفسى مقام الأجراء فأنا أعمل مياومة ومجامعة ومشاهرة ومسانهة

الخامس : التفهم ، وهو أن يستوضح من كل آية ما يليق بها إذ القرءان يشتمل على ذكر صفات الله عز وجل ، وذكر أفعاله ، وذكر أحوال الأنبياء عليهم السلام ، وذكر أحوال المكذبين لهم وأنهم كيف أهلكوا ، وذكر أوامره وزواجره ، وذكر الجنة والنار

أما صفات الله عز وجل فكقوله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ [(٤)]) وكقوله تعالى : (الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ [(٥)]) فليتأمل معانى هذه الأسماء والصفات لينكشف له أسرارها ، فتحتها معان مدفونة لا تنكشف إلا للموفقين ، وإليه أشار على رضى الله عنه بقوله [٣] « مَا أَسَرَّ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَيْئًا كَتَمَهُ عَنِ النَّاسِ إِلَّا أَنْ يُؤْتِيَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَبْدًا فَهْمًا فِي كِتَابِهِ » فليكن حريصا على طلب ذلك الفهم

---

(١) حديث انه اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم فرددها عشرين مرة : رواه أبوذر الهروى فى معجمه من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

(٢) حديث أبى ذر قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا ليلة بآية يرددها وهى إن تعذبهم فانهم عبادك : ن ه بسند صحيح

(٣) حديث علي ما أسر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً كتمه عن الناس الا أن يؤتى الله عبداً فهما فى كتابه

---

(١) المائدة : ١١٨ (٢) الجاثية : ٢١ (٣) يس : ٥٩ (٤) الشورى : ١١ (٥) الحشر : ٢٣

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد علم الأولين والآخرين فليثور القرءان، وأعظم علوم القرءان تحت أسماء الله عز وجل وصفاته ، إذ لم يدرك أكثر الخلق منها إلا أموراً لائقة بأفهامهم ولم يعثروا على أغوارها

وأما أفعاله تعالى فكذكره خلق السموات والأرض وغيرها . فليفهم التالى منها صفات الله عز وجل وجلاله ، إذا لفعل يدل على الفاعل ، فتدل عظمته على عظمته ، فينبغى أن يشهد فى الفعل الفاعل دون الفعل ، فمن عرف الحق رآه فى كل شيء ، إذ كل شيء فهو منه واليه وبه وله ، فهو الكل على التحقيق ، ومن لا يراه فى كل مايراه فكأنه ما عرفه ، ومن عرفه عرف أن كل شيء ماخلا الله باطل ، وأن كل شيء هالك إلا وجهه ، لأنه سيبطل فى ثانى الحال ، بل هو الآن باطل إن اعتبر ذاته من حيث هو ، إلا أن يعتبر وجوده من حيث انه موجود بالله عز وجل وبقدرته ، فيكون له بطريق التبعية ثبات ، وبطريق الاستقلال بطلان محض . وهذا مبدأ من مبادىء علم المكاشفة . ولهذا ينبغى اذا قرأ التالى قوله عز وجل : (أَفَرَأَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ [١]) (أَفَرَأَيْتُم مَّا تُمْنُونَ [٢]) (أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ [٣]) (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ [٤]) فلا يقصر نظره على الماء والنار والحرث والمنى ، بل يتأمل فى المنى وهو نطفة متشابهة الأجزاء ، ثم ينظر فى كيفية انقسامها الى اللحم والعظم والعروق والعصب ، وكيفية تشكل أعضائها بالأشكال المختلفة من الرأس واليد والرجل والكبد والقلب وغيرها ، ثم الى ماظهر فيها من الصفات الشريفة من السمع والبصر والعقل وغيرها ، ثم الى ماظهر فيها من الصفات المذمومة من الغضب والشهوة والكبر والجهل والتكذيب والمجادلة ، كما قال تعالى : (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ [٥]) فيتأمل هذه العجائب ليترقى منها إلى عجب العجائب وهو الصفة التى منها صدرت هذه الأعاجيب ، فلا يزال ينظر إلى الصنعة فيرى الصانع

ن من رواية أبي جحيفة قال سألنا عليا فقلنا هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيء سوى القرءان فقال لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة الا أن يعطى الله عبدا فهما فى كتابه ـ الحديث : وهو عند البخارى بلفظ هل عندكم من رسول الله صلى الله عليه وسلم ماليس فى القرءان وفى رواية وقال مرة ماليس عند الناس ولأبى داود والنسائى فقلنا هل عهد اليك رسول الله صلى الله عليه وسلم شيأ لم يعهده الى الناس قال لا الا ما فى كتابى هذا ـ الحديث : ولم يذكر الفهم فى القرءان

(١) الواقعة : ٦٣ ، ٥٨ ، ٦٨ ، ٧١ (٢) يس : ٧٧

وأما أحوال الأنبياء عليهم السلام: فاذا سمع منها أنهم كيف كذبوا وضربوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفة الاستغناء لله عز وجل عن الرسل والمرسل إليهم ، وأنه لو أهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه شيئا، واذا سمع نصرتهم في آخر الأمر فليفهم قدرة الله عز وجل وإرادته لنصرة الحق

وأما أحوال المكذبين: كعاد وثمود وما جرى عليهم، فليكن فهمه منه استشعار الخوف من سطوته ونقمته ، وليكن حظه منه الاعتبار في نفسه وأنه إن غفل وأساء الأدب واغتر بما أمهل فربما تدركه النقمة وتنفذ فيه القضية ، وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار وسائر ما في القرءان، فلا يمكن استقصاء ما يفهم منها لأن ذلك لانهاية له ، وإنما لكل عبد منه بقدر رزقه ، فلا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين . (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا [١]) ولذلك قال علي رضي الله عنه لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب . فالغرض مما ذكرناه التنبيه على طريق التفهيم لينفتح بابه ، فأما الاستقصاء فلا مطمع فيه، ومن لم يكن له فهم ما في القرءان ولو في أدنى الدرجات دخل في قوله تعالى : (وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ [٢]) والطابع هي الموانع التي سنذكرها في موانع الفهم، وقد قيل: لا يكون المريد مريدا حتى يجد في القرءان كل ما يريد ، ويعرف منه النقصان من المزيد، ويستغني بالمولى عن العبيد

السادس : التخلي عن موانع الفهم ، فان أكثر الناس منعوا عن فهم معاني القرءان لأسباب وحجب أسدلها الشيطان على قلوبهم فعميت عليهم عجائب أسرار القرءان قال صلى الله عليه وسلم [١] «لَوْلاَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ يَحُومُونَ عَلَى قُلُوبِ بَنِي آدَمَ لَنَظَرُوا إِلَى الْمَلَكُوتِ» ومعاني القرءان من جملة الملكوت، وكل ما غاب عن الحواس ولم يدرك إلا بنور البصيرة فهو من الملكوت

وحجب الفهم أربعة :

أولها: أن يكون الهم منصرفا إلى تحقيق الحروف باخراجها من مخارجها ، وهذا يتولى حفظه شيطان وكل بالقراء ليصرفهم عن فهم معاني كلام الله عز وجل ، فلا يزال يحملهم على ترديد الحرف يخيل إليهم أنه لم يخرج من مخرجه، فهذا يكون تأمله مقصورا على مخارج الحروف

---

(١) حديث لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني ادم لنظروا الى الملكوت: تقدم في الصلاة

(١) الكهف : ١٠٩ (٢) محمد : ١٦

فأنى تنكشف له المعانى ؟ وأعظم ضحكة للشيطان من كان مطيعا لمثل هذا التلبيس
ثانيها: أن يكون مقلدا لمذهب سمعه بالتقليد وجمد عليه وثبت فى نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع من غير وصول إليه ببصيرة ومشاهدة ، فهذا شخص قيده معتقده عن أن يجاوزه فلا يمكنه أن يخطر بباله غير معتقده ، فصار نظره موقوفا على مسموعه فان لمع برق على بعد وبداله معنى من المعانى التى تباين مسموعه حمل عليه شيطان التقليد حملة وقال : كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك؟ فيرى أن ذلك غرور من الشيطان فيتباعد منه ويحترز عن مثله ، ولمثل هذا قالت الصوفية إن العلم حجاب ، وأرادوا بالعلم العقائد التى استمر عليها أكثر الناس بمجرد التقليد، أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم، فأما العلم الحقيقى الذى هو الكشف والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهى المطلب ؟ وهذا التقليد قد يكون باطلا فيكون مانعا: كمن يعتقد فى الاستواء على العرش التمكنَ والاستقرار ، فان خطر له مثلا فى القدُّوس أنه المقدس عن كل مايجوز على خلقه لم يمكنه تقليده من أن يستقر ذلك فى نفسه ،ولو استقر فى نفسه لانجرّ إلى كشف ثان وثالث ، ولتواصل ، ولكن يتسارع إلى دفع ذلك عن خاطره لمناقضته تقليده الباطل ، وقد يكون حقا ويكون أيضا مانعا من الفهم والكشف لأن الحق الذى كلف الخلق اعتقاده له مراتب ودرجات ، وله مبدأ ظاهر وغور باطن وجمود الطبع على الظاهر يمنع من الوصول إلى الغور الباطن كما ذكرناه فى الفرق بين العلم الظاهر والباطن فى كتاب قواعد العقائد
ثالثها : أن يكون مصرا على ذنب أو متصفا بكبر ، مبتلى فى الجملة بهوى فى الدنيا مطاع فان ذلك سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث على المرآة فيمنع جلية الحق من أن يتجلى فيه وهو أعظم حجاب للقلب ، وبه حجب الأكثرون . وكلما كانت الشهوات أشد تراكما كانت معانى الكلام أشد احتجابا ، وكلما خف عن القلب أثقال الدنيا قرب تجلى المعنى فيه ، فالقلب مثل المرآة ، والشهوات مثل الصدأ ، ومعانى القرآن مثل الصور التى تتراءى فى المرآة ، والرياضة للقلب بإماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمرآة ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [(١)] « إِذَا عَظَّمَتْ أُمَّتِي الدِّينَارَ وَالدِّرْهَمَ نُزِعَ مِنْهَا هَيْبَةُ الْإِسْلَامِ ، وَإِذَا تَرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ

(١) حديث اذا عظمت أمتى الدينار والدرهم نزع منها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف حرموا بركة الوحى: رواه ابن أبي الدنيا فى كتاب الامر بالمعروف معضلا من حديث الفضل بن عياض قال ذكر عن نبي الله صلى الله عليه وسلم

وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ حُرِمُوا بَرَكَةَ الْوَحْيِ » قال الفضيل : يعنى حرموا فهم القرءان . وقد شرط الله عز وجل الانابة فى الفهم والتذكير فقال تعالى (تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ[1]) وقال عز وجل (وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَنْ يُنِيبُ[2]) وقال تعالى (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ[3]) فالذى آثر غرور الدنيا على نعيم الآخرة فليس من ذوى الألباب، ولذلك لا تنكشف له أسرار الكتاب

رابعها : أن يكون قد قرأ تفسيرا ظاهرا واعتقد أنه لا معنى لكلمات القرءان إلا ما تناوله النقل عن ابن عباس ومجاهد وغيرهما ، وأن ما وراء ذلك تفسير بالرأى ، وأن من فسر القرءان برأيه فقد تبوأ مقعده من النار ، فهذا أيضا من الحجب العظيمة . وسنبين معنى التفسير بالرأى فى الباب الرابع وأن ذلك لا يناقض قول على رضى الله عنه : إلا أن يؤتى الله عبدا فهماً فى القرآن ، وأنه لو كان المعنى هو الظاهر المنقول لما اختلفت الناس فيه

السابع : التخصيص ، وهو أن يقدر أنه المقصود بكل خطاب فى القرءان ، فان سمع أمراً أو نهيا قدر أنه المنهى والمأمور ، وإن سمع وعداً أو وعيداً فكمثل ذلك ، وإن سمع قصص الأولين والأنبياء علم أن السمر غير مقصود ، وإنما المقصود ليعتبر به وليأخذ من تضاعيفه ما يحتاج اليه ، فما من قصة فى القراءن إلا وسياقها لفائدة فى حق النبى صلى الله عليه وسلم وأمته ولذلك قال تعالى (مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ[4]) فليقدر العبد أن الله ثبت فؤاده بما يقصه عليه من أحوال الأنبياء ، وصبرهم على الايذاء ، وثباتهم فى الدين لانتظار نصر الله تعالى ، وكيف لا يقدر هذا والقرءان ما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم لرسول الله خاصة ، بل هو شفاء وهدى ورحمة ونور للعالمين ، ولذلك أمر الله تعالى الكافة بشكر نعمة الكتاب فقال تعالى: (وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ[5]) وقال عز وجل (لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ[6]) (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ[7]) (كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ[8]) (وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ[9]) (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ[10]) (هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ[11]) وإذا قصد بالخطاب جميع الناس فقد قصد الآحاد، فهذا القارىء

---

(١) ق : ٨ (٢) غافر : ١٣ (٣) الرعد : ١٩ (٤) هود : ١٢٠ (٥) البقرة : ٢٣١ (٦) الأنبياء : ١٠
(٧) النحل : ٤٤ (٨) محمد : ٣ (٩) الزمر : ٥٥ (١٠) الجاثية : ٢٠ (١١) آل عمران : ١٣٨

الواحدمقصود، فما له ولسائر الناس؟ فليقدر أنه المقصود قال تعالى (وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ [1]) قال محمد بن كعب القرظي : من بلغه القرءان فكأنما كلمه الله . وإذا قدر ذلك لم يتخذ دراسة القرءان عمله ، بل يقرؤه كما يقرأ العبد كتاب مولاه الذي كتبه اليه ليتأمله ويعمل بمقتضاه ، ولذلك قال بعض العلماء : هذا القرءان رسائل أتتنا من قبل ربنا عز وجل بعهوده ، نتدبرها في الصلوات ، ونقف عليها في الخلوات ، وننفذها في الطاعات والسنن المتبعات . وكان مالك بن دينار يقول : ما زرع القرءان في قلوبكم يا أهل القرءان ؟ إن القرءان ربيع المؤمن كما أن الغيث ربيع الأرض .وقال قتادة: لم يجالس أحد هذا القرءان إلا قام بزيادة أو نقصان ، قال الله تعالى: (هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا [2])

الثامن : التأثر ، وهو أن يتأثر قلبه بآثار مختلفة بحسب اختلاف الآيات ، فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ، ومهما تمت معرفته كانت الخشية أغلب الأحوال على قلبه ، فان التضييق غالب على آيات القرءان ، فلا يرى ذكر المغفرة والرحمة إلا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها ، كقوله عز وجل (وَإِنِّي لَغَفَّارٌ [3]) ثم أتبع ذلك بأربعة شروط (لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ) وقوله تعالى (وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ [4]) ذكر أربعة شروط، وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعاً فقال تعالى (إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ [5]) فالاحسان يجمع الكل . وهكذا من يتصفح القرءان من أوله إلى آخره ومن فهم ذلك . فجدير بأن يكون حاله الخشية والحزن ، ولذلك قال الحسن : والله ما أصبح اليوم عبد يتلو القرءان يؤمن به إلا كثر حزنه وقل فرحه ، وكثر بكاؤه وقل ضحكه ، وكثر نصبه وشغله ، وقلت راحته وبطالته

وقال وهيب بن الورد: نظرنا في هذه الأحاديث والمواعظ فلم نجد شيئاً أرق للقلوب ولا أشد استجلابا للحزن من قراءة القرءان وتفهمه وتدبره، فتأثر العبد بالتلاوة أن يصير بصفة الآية المتلوة فعند الوعيد وتقييد المغفرة بالشروط يتضاءل من خيفته كأنه يكاد يموت ، وعند التوسع ووعد المغفرة يستبشر كأنه يطير من الفرح، وعند ذكر الله وصفاته وأسمائه يتطأطأ خضوعا لجلاله واستشعارا لعظمته

(١) الانعام : ١٩ (٢) الاسراء : ٨٢ (٣) طه : ٨٢ (٤) العصر (٥) الاعراف : ٥٦

وعند ذكر الكفار مايستحيل على الله عز وجل كذكرهم لله عز وجل ولدا وصاحبة يغض صوته وينكسر فى باطنه حياء من قبح مقالتهم ، وعند وصف الجنة ينبعث بباطنه شوقا اليها ، وعند وصف النار ترتعد فرائصه خوفا منها . ولما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] لابن مسعود : اقرأ عليّ قال فافتتحت سورة النساء فلما بلغت (فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيداً [١]) رأيت عينيه تذرفان بالدمع ، فقال لى : حسبك الآن . وهذا لأن مشاهدة تلك الحالة استغرقت قلبه بالكلية

ولقد كان فى الخائفين من خر مغشيا عليه عند آيات الوعيد ، ومنهم من مات فى سماع الآيات . فمثل هذه الأحوال يخرجه عن أن يكون حاكيا فى كلامه فاذا قال (إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ [٢]) ولم يكن خائفا كان حاكيا ، واذا قال (عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ [٣]) ولم يكن حاله التوكل والانابة كان حاكيا، واذا قال (وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا [٤]) فليكن حاله الصبر أو العزيمة عليه حتى يجد حلاوة التلاوة فان لم يكن بهذه الصفات ولم يتردد قلبه بين هذه الحالات كان حظه من التلاوة حركة اللسان مع صريح اللعن على نفسه فى قوله تعالى (أَلَا لَعْنَةُ اللهِ عَلَى الظَّالِمِينَ [٥]) وفى قوله تعالى (كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ [٦]) وفى قوله عز وجل (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ [٧]) وفى قوله (فَأَعْرِضْ عَمَّنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا [٨]) وفى قوله تعالى : (وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ [٩]) الى غير ذلك من الآيات ، وكان داخلا فى معنى قوله عز وجل : (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ [١٠]) يعنى التلاوة المجردة ، وقوله عز وجل : (وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ [١١]) لأن القرءان هو المبين لتلك الآيات فى السموات والأرض . ومهما تجاوزها ولم يتأثر بها كان معرضا عنها . ولذلك قيل : إن من لم يكن متصفا بأخلاق القرءان فاذا قرأ القرءان ناداه الله تعالى : مالك ولكلامى وأنت معرض عنى ! دع عنك كلامى إن لم تتب إلىّ

---

(١) حديث انه قال لابن مسعود اقرأ علي : الحديث تقدم فى الباب قبله

---

(١) النساء : ٤١ (٢) الانعام : ١٥ (٣) الممتحنة : ٤ (٤) ابراهيم : ١٢ (٥) هود : ١٨ (٦) الصف : ٣
(٧) الانبياء : ١ (٨) النجم : ٢٩ (٩) الحجرات : ١١ (١٠) البقرة : ٧٨ (١١) يوسف : ١٠٥ .

ومثال العاصي اذا قرأ القرءان وكرره مثال من يكرر كتاب الملك فى كل يوم مرات وقد كتب اليه فى عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ومقتصر على دراسة كتابه ، فلعله لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان أبعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت . ولذلك قال يوسف ابن أسباط : إنى لأهم بقراءة القرءان فاذا ذكرت ما فيه خشيت المقت فأعدل إلى التسبيح والاستغفار . والمعرض عن العمل به أريد بقوله عز وجل (فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ [1]) ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : [1] « اقْرَأُوا الْقُرْءَانَ مَا ائْتَلَفَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُكُمْ وَلَانَتْ لَهُ جُلُودُكُمْ فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَلَسْتُمْ تَقْرَءُونَهُ» وفى بعضها (فَإِذَا اخْتَلَفْتُمْ فَقُومُوا عَنْهُ) قال الله تعالى : (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ [2]) وقال صلى الله عليه وسلم [2] « إِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ صَوْتًا بِالْقُرْءَانِ الَّذِى إِذَا سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ رَأَيْتَ أَنَّهُ يَخْشَى اللَّهَ تَعَالَى » وقال صلى الله عليه وسلم [3] « لَا يُسْمَعُ الْقُرْءَانُ مِنْ أَحَدٍ أَشْهَى مِنْهُ مِمَّنْ يَخْشَى اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ »

فالقرءان يراد لاستجلاب هذه الأحوال إلى القلب والعمل به ، وإلا فالمؤنة فى تحريك اللسان بحروفه خفيفة . ولذلك قال بعض القراء : قرأت القرءان على شيخ لى ثم رجعت لاقرأ ثانياً فانتهرنى وقال : جعلت القرءان علىّ عملا ، اذهب فاقرأ على الله عز وجل فانظر بماذا يأمرك وبماذا ينهاك . وبهذا كان شغل الصحابة رضي الله عنهم فى الأحوال والأعمال ، فمات رسول الله صلى الله عليه وسلم [4] عَنْ عِشْرِينَ أَلْفًا مِنَ الصَّحَابَةِ لَمْ يَحْفَظِ الْقُرْءَانَ مِنْهُمْ إِلَّا سِتَّةٌ

(١) حديث اقرؤا القرءان ما ائتلفت عليه قلوبكم ولانت له جلودكم فاذا اختلفتم فلستم تقرؤنه وفى بعضها فاذا اختلفتم فقوموا عنه : متفق عليه من حديث جندب بن عبد الله البجلى فى اللفظ الثانى دون قوله ولانت جلودكم

(٢) حديث ان أحسن الناس صوتا بالقرءان الذى اذا سمعته يقرأ رأيت انه يخشى الله تعالى : ه بسند ضعيف

(٣) حديث لا يسمع القرءان من أحد أشهى ممن يخشى الله تعالى : رواه أبو عبد الله الحاكم فيما ذكره أبو القاسم الغافقى فى كتاب فضائل القرءان

(٤) حديث مات رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عشرين ألفا من الصحابة لم يحفظ القرءان منهم الا ستة اختلف منهم فى اثنين وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين وكان الذى يحفظ البقرة والانعام من علمائهم قلت قوله مات عن عشرين ألفا لعله أراد بالمدينة والا فقد روينا عن أبى زرعة الرازى انه قال قبض عن مائة ألف وأربعة عشر ألفا من الصحابة ممن روى عنه وسمع منه انتهى

[1] آل عمران : ١٨٧ [2] الأنفال : ٢

اختلف فى اثنين منهم . وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين . وكان الذى يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم [١] ولما جاء واحد ليتعلم القرءان فانتهى إلى قوله عز وجل (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ [١]) قال يكفى هذا وانصرف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : انصرف الرجل وهو فقيه . وإنما العزيز مثل تلك الحالة التى منَّ الله عز وجل بها على قلب المؤمن عقيب فهم الآية ، فأما مجرد حركة اللسان فقليل الجدوى ، بل التالى باللسان المعرض عن العمل جدير بأن يكون هو المراد بقوله تعالى : (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى [٢]) وبقوله عز وجل (كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى [٣]) أى تركتها ولم تنظر اليها ولم تعبأ بها ، فان المقصر فى الأمر يقال إنه نسى الأمر

وتلاوة القرءان حق تلاوته هو أن يشترك فيه اللسان والعقل والقلب ، فحظ اللسان تصحيح الحروف بالترتيل ، وحظ العقل تفسير المعانى ، وحظ القلب الاتعاظ والتأثر بالانزجار والائتمار . فاللسان يرتل ، والعقل يترجم ، والقلب يتعظ

وأما من حفظ القرءان فى عهده ففى الصحيحين من حديث أنس قال جمع القرءان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الانصار أبى بن كعب ومعاذ بن جبل وزيد وأبو زيد قلت ومن أبو زيد قال أحد عمومتى وزاد ابن أبى شيبة كالمصنف من رواية الشعبى مرسلا وأبو الدرداء وسعيد بن عبيد وفى الصحيحين من حديث عبدالله بن عمرو استقرءوا القرءان من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب وروى ابن الأنباري بسنده الى عمر قال كان الفاضل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدر هذه الامة من يحفظ من القرءان السورة ونحوها ــ الحديث : وسنده ضعيف وللترمذى وحسنه من حديث أبى هريرة قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثا وهم ذو عدد فاستقرأهم فاستقرأ كل رجل ما معه من القرءان فأتى على رجل من أحدثهم سنا فقال ما معك يافلان قال معي كذا وكذا وسورة البقرة فقال أمعك سورة البقرة ؟ قال نعم قال اذهب فأنت أميرهم ــ الحديث :

(١) حديث الرجل الذى جاء ليتعلم فانتهى الى قوله تعالى ــ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ــ فقال يكفينى هذا وانصرف فقال النبي صلى الله عليه وسلم انصرف الرجل وهو فقيه: د ن فى الكبرى وحب ك وصححه من حديث عبدالله بن عمر وقال أتى رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اقرئنى يارسول الله ــ الحديث : وفيه فأقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا زلزلت حتى فرغ منها فقال الرجل والذى بعثك بالحق لا أزيد عليها أبدا ثم أدبر الرجل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفلح الرويجل أفلح الرويجل ولاحمدون فى الكبرى من حديث صعصعة عم الفرزدق أنه صاحب القصة فقال حسبي لا أبالى أن لا أسمع غيرها

---

(١) الزلزلة : ٧ ، ٨ (٢،٣) طه : ١٢٤ ، ١٢٦

التاسع الترقى : وأعنى به أن يترقى إلى أن يسمع الكلام من الله عز وجل لا من نفسه

فدرجات القراءة ثلاث .

أدناها : أن يقدر العبد كأنه يقرؤه على الله عز وجل ، واقفا بين يديه ، وهو ناظر اليه ومستمع منه ، فيكون حاله عند هذا التقدير السؤالَ والتملقَ والتضرعَ والابتهالَ

الثانية : أن يشهد بقلبه كأن الله عز وجل يراه ويخاطبه بألطافه ، ويناجيه بانعامه وإحسانه فمقامه الحياء والتعظيم والاصغاء والفهم

الثالثة : أن يرى فى الكلام المتكلم ، وفى الكلمات الصفات ، فلا ينظر إلى نفسه ولا إلى قراءته ولا إلى تعلق الأنعام به من حيث إنه منعَم عليه بل يكون مقصور الهم على المتكلم موقوف الفكر عليه كأنه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره ، وهذه درجة المقربين وماقبله درجة أصحاب اليمين ، وماخرج عن هذا فهو درجات الغافلين . وعن الدرجة العليا أخبر جعفر بن محمد الصادق رضى الله عنه قال: والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه فى كلامه ولكنهم لا يبصرون ! وقال أيضاً. وقد سألوه عن حالة لحقته فى الصلاة حتى خر مغشيا عليه فلما سرى عنه قيل له فى ذلك فقال : مازلت أردد الآية على قلبى حتى سمعتها من المتكلم بها ، فلم يثبت جسمى لمعاينة قدرته . ففى مثل هذه الدرجة تعظم الحلاوة ولذة المناجاة . ولذلك قال بعض الحكماء : كنت أقرأ القرءان فلا أجد له حلاوة حتى تلوته كأنى أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم يتلو على أصحابه ، ثم رفعت الى مقام فوقه فكنت أتلوه كأنى أسمعه من جبريل عليه السلام يلقيه على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء الله بمنزلة أخرى فأنا الآن أسمعه من المتكلم به ، فعندها وجدت له لذة ونعيما لاأصبر عنه وقال عثمان وحذيفة رضى الله عنهما : لو طهرت القلوب لم تشبع من قراءة القرءان. وإنما قالوا ذلك لأنها بالطهارة تترقى الى مشاهدة المتكلم فى الكلام . ولذلك قال ثابت البنانى : كابدت القرءان عشرين سنة ، وتنعمت به عشرين سنة . وبمشاهدة المتكلم دون ماسواه يكون العبد ممتثلا لقوله عز وجل : (فَفِرُّوا إِلَى اللهِ [1]) ولقوله تعالى : (وَلَا تَجْعَلُوا مَعَ اللهِ إِلٰهاً آخَرَ [2]) فمن لم يره فى كل شيء فقد رأى غيره ، وكل ماالتفت اليه العبد سوى الله تعالى تضمن التفاته

(١) (٢) الذاريات : ٥٠ ، ٥١

شيئا من الشرك الخفى ، بل التوحيد الخالص أن لا يرى فى كل شىء إلا الله عز وجل

العاشر : التبرى ، وأعنى به أن يتبرأ من حوله وقوته والالتفات إلى نفسه بعين الرضا والتزكية ، فإذا تلا آيات الوعد والمدح للصالحين فلا يشهد نفسه عند ذلك ، بل يشهد الموقنين والصديقين فيها ، ويتشوف إلى أن يلحقه الله عز وجل بهم . وإذا تلا آيات المقت وذم العصاة والمقصرين شهد على نفسه هناك وقدر أنه المخاطب خوفا وإشفاقا . ولذلك كان ابن عمر رضى الله عنهما يقول : اللهم إنى أستغفرك لظلمى وكفرى . فقيل له هذا الظلم فما بال الكفر ؟ فتلا قوله عز وجل : (إِنَّ ٱلْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ[1])

وقيل ليوسف بن أسباط : إذا قرأت القرءان بماذا تدعو ؟ فقال : بماذا أدعو ؟ أستغفر الله عز وجل من تقصيرى سبعين مرة فاذا رأى نفسه بصورة التقصير فى القراءة كان رؤيته سبب قربه ، فان من شهد العبد فى القرب لطف به فى الخوف حتى يسوقه الخوف إلى درجة أخرى فى القرب وراءها ، ومن شهد القرب فى البعد مكر به بالأمن الذى يفضيه إلى درجة أخرى فى البعد أسفل مما هو فيه ، ومهما كان مشاهدا نفسه بعين الرضا صار محجوبا بنفسه ، فاذا جاوز حدّ الالتفات إلى نفسه ولم يشاهد إلا الله تعالى فى قراءته كشف له سر الملكوت . قال أبو سليمان الدارنى رضى الله عنه : وعد ابن ثوابان أخا له أن يفطر عنده فأبطأ عليه حتى طلع الفجر ، فلقيه أخوه من الغد فقال له : وعدتنى أنك تفطر عندى فأخلفت فقال : لو لا ميعادى معك ما أخبرتك بالذى حبسنى عنك : إنى لما صليت العتمة قلت أوتر قبل أن أجيئك لأنى لا آمن ما يحدث من الموت ، فلما كنت فى الدعاء من الوتر رفعت إلىّ روضة خضراء فيها أنواع الزهر من الجنة فمازلت أنظر اليها حتى أصبحت

وهذه المكاشفات لاتكون إلابعد التبرى عن النفس وعدم الالتفات إليها والى هواها ثم تخصص هذه المكاشفات بحسب أحوال المكاشف: فحيث يتلو آيات الرجاء ويغلب على حاله الاستبشار تنكشف له صورة الجنة فيشاهدها كأنه يراها عيانا ، وإن غلب عليه الخوف كوشف بالنار حتى يرى انواع عذابها، وذلك لأن كلام الله عز وجل يشتمل على السهل اللطيف

(1) ابراهيم : ٣٤

والشديد العسوف والمرجو والمخوف ، وذلك بحسب أوصافه ، إذ منها الرحمة واللطف والانتقام والبطش فبحسب مشاهدة الكلمات والصفات يتقلب القلب فى اختلاف الحالات وبحسب كل حالة منها يستعد للمكاشفة بأمر يناسب تلك الحالة ويقاربها اذ يستحيل أن يكون حال المستمع واحدا والمسموع مختلفا إذ فيه كلام راض وكلام غضبان وكلام منعم وكلام منتقم وكلام جبار متكبر لايبالى وكلام حنان متعطف لا يهمل .

الباب الرابع

فى فهم القرآن وتفسيره بالرأى من غير نقل

لعلك تقول : عظمت الأمر فيما سبق فى فهم أسرار القرءان وما ينكشف لأرباب القلوب الزكية من معانيه ، فكيف يستحب ذلك . وقد قال صلى الله عليه وسلم [١] « مَنْ فَسَّرَ ٱلْقُرْءانَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ » وعن هذا شنع أهل العلم بظاهر التفسير على أهل التصوّف من المفسرين المنسوبين إلى التصوف فى تأويل كلمات فى القرءان على خلاف مانقل عن ابن عباس وسائر المفسرين ، وذهبوا إلى أنه كفر ، فان صح ماقاله أهل التفسير فما معنى فهم القرءان سوى حفظ تفسيره ؟ وإن لم يصح ذلك فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « مَنْ فَسَّرَ ٱلْقُرْءانَ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ ٱلنَّارِ »

فاعلم أن من زعم أن لامعنى للقرءان إلا ما ترجمه ظاهر التفسير فهو مخبر عن حد نفسه ، وهو مصيب فى الإخبار عن نفسه ، ولكنه مخطىء فى الحكم برد الخلق كافة إلى درجته التى هى حده ومحطه [٢] بل الأخبار والآثار تدل على أن فى معانى القرءان متسعا لأرباب الفهم ، قال على رضى الله عنه إلا أن يؤتى الله عبدا فهماً فى القرءان . فان لم يكن سوى الترجمة المنقولة فما ذلك الفهم ؟ وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « إِنَّ لِلْقُرْءانِ ظَهْراً وَبَطْناً وَحَدّاً وَمَطْلَعاً » ويروى أيضاً عن ابن مسعود موقوفا عليه وهو من علماء التفسير ، فما معنى الظهر

﴿ الباب الرابع فى فهم القرءان وتفسيره بالرأى من غير نقل ﴾

(١) حديث من فسر القرءان برأيه فليتبوأ مقعده من النار تقدم فى الباب الثالث من العلم

(٢) حديث الاخبار والآثار الدالة على أن فى معانى القرءان متسعا لأرباب الفهم تقدم فى قول على فى الباب قبله الا أن يؤتى الله عبدا فهما فى كتابه

(٣) حديث ان للقرءان ظهرا وبطنا وحدا ومطلعا تقدم فى قواعد العقائد

والبطن والحد والمطلع ؟ وقال علي كرم الله وجهه : لو شئت لأوقرت سبعين بعيرا من تفسير فاتحة الكتاب ؛ فما معناه وتفسير ظاهرها في غاية الاختصار ؟ وقال أبو الدرداء : لا يفقه الرجل حتى يجعل للقرءان وجوها . وقد قال بعض العلماء : لكل آية ستون ألف فهم ومابقي من فهمها أكثر . وقال آخرون : القرءان يحوي سبعة وسبعين ألف علم ومائتي علم ، اذ كل كلمة علم ، ثم يتضاعف ذلك أربعة أضعاف ، إذ لكل كلمة ظاهر وباطن وحد ومطلع . وترديدُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم [1] بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ عشرين مرة لايكون إلا لتدبره باطن معانيها ، والافترجمتها وتفسيرها ظاهر لايحتاج مثله إلى تكرير . وقال ابن مسعود رضي الله عنه : من أراد علم الأولين والآخرين فليتدبر القرءان . وذلك لايحصل بمجرد تفسيره الظاهر

وبالجملة فالعلوم كلها داخلة في أفعال الله عز وجل وصفاته وفي القرءان شرح ذاته وأفعاله وصفاته . وهذه العلوم لانهاية لها ، وفي القرءان إشارة الى مجامعها والمقامات في التعمق في تفصيله راجع إلى فهم القرءان . ومجرد ظاهر التفسير لايشير إلى ذلك ، بل كل ما أشكل فيه على النظار واختلف فيه الخلائق في النظريات والمعقولات ففي القرءان إليه رموز ودلالات عليه يختص أهل الفهم بدركها ، فكيف يفي بذلك ترجمة ظاهره وتفسيره ؟ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [2] « اقْرَءُوا الْقُرْءانَ وَالْتَمِسُوا غَرَائِبَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم [3] في حديث عليّ كرم الله وجهه « وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَتَفْتَرِقَنَّ أُمَّتِي عَنْ أَصْلِ دِينِهَا وَجَمَاعَتِهَا عَلَى اثْنَتَيْنِ وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كُلُّهَا ضَالَّةٌ مُضِلَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ فَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّ فِيهِ نَبَأَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَنَبَأَ مَا يَأْتِي بَعْدَكُمْ وَحُكْمَ مَا بَيْنَكُمْ مَنْ خَالَفَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ قَصَمَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَمَنِ ابْتَغَى الْعِلْمَ فِي غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ ، وَهُوَ حَبْلُ اللهِ

---

(١) حديث تكرير النبي صلى الله عليه وسلم البسملة عشرين مرة تقدم في الباب قبله

(٢) حديث اقرءوا القرءان والتمسوا غرائبه ابن أبي شيبة في المصنف وأبو يعلى الموصلي والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة بلفظ اعربوا وسنده ضعيف

(٣) حديث علي والذي بعثني بالحق لتفترقن أمتي على أصل دينها وجماعتها على اثنين وسبعين فرقة كلها ضالة مضلة يدعون الى النار فاذا كان ذلك فعليكم بكتاب الله فان فيه نبأ من كان قبلكم ـ الحديث : بطوله هو عند ت دون ذكر افتراق الامة بلفظ ألا انها ستكون فتنة مضلة فقلت ماالمخرج منها يارسول الله قال كتاب الله فيه نبأ من كان قبلكم فذكره مع اختلاف وقال غريب وأسناده مجهول

ٱلْمَتِينُ وَنُورُهُ ٱلْمُبِينُ وَشِفَاؤُهُ النَّافِعُ ، عِصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ وَنَجَاةٌ لِمَنِ اتَّبَعَهُ ، لَا يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ وَلَا يُزِيغُ فَيَسْتَقِيمُ ، وَلَا تَنْقَضِي عَجَائِبُهُ وَلَا يُخْلِقُهُ كَثْرَةُ التَّرْدِيدِ » الحديث . وفى حديث جُذَيفة لما أخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] بالاختلاف والفرقة بعده قال : فقلت يارسول الله فماذا تأمرنى إن أدركت ذلك ؟ فقال: تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ وَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ فَهُوَ ٱلْمَخْرَجُ مِنْ ذَلِكَ. قال : فأعدت عليه ذلك ثلاثا فقال صلى الله عليه وسلم ثلاثا : تَعَلَّمْ كِتَابَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَاعْمَلْ بِمَا فِيهِ فَفِيهِ النَّجَاةُ وقال على كرم الله وجهه : من فهم القرءان فسر به جمل العلم ، أشار به إلى أن القرءان يشير إلى مجامع العلوم كلها : وقال ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله تعالى : (وَمَنْ يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً [١]) يعنى الفهم فى القرءان : وقال عز وجل : (فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْماً وَعِلْماً [٢]) سمى ما آتاهما علما وحكما ، وخصص ماانفرد به سليمان بالتفطن له باسم الفهم ، وجعله مقدما على الحكم والعلم . فهذه الأمور تدل على أن فى فهم معانى القرءان مجالا رحبا ومتسعا بالغا ، وأن المنقول من ظاهر التفسير ليس منتهى الادراك فيه

فأما قوله صلى الله عليه وسلم [٢] مَنْ فَسَّرَ ٱلْقُرْءَانَ بِرَأْيِهِ ، ونهيه عنه صلى الله عليه وسلم ، وقول أبى بكر رضى الله عنه أى أرض تقلنى وأى سماء تظلنى اذا قلت فى القرءان برأيى إلى غير ذلك مما ورد فى الأخبار والآثار فى النهى عن تفسير القرءان بالرأى فلا يخلو: إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل والمسموع وترك الاستنباط والاستقلال بالفهم ، أو المراد به أمرا آخر. وباطل قطعا أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد فى القرءان إلا بما يسمعه لوجوه

أحدها : أنه يشترط أن يكون ذاك مسموعا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومسندا اليه ، وذلك مما لا يصادف إلا فى بعض القرءان فأما مايقوله ابن عباس وابن مسعود من أنفسهم فينبغى أن لا يقبل ، ويقال هو تفسير بالرأى لأنهم لم يسمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكذا غيرهم من الصحابة رضى الله عنهم

---

(١) حديث حذيفة فى الاختلاف والفرقة بعده فقلت ما تأمرنى ان أدركت ذلك قال تعلم كتاب الله واعمل بما فيه ـ الحديث د ن فى الكبرى وفيه تعلم كتاب الله وتبع ما فيه ثلاث مرات

(٢) حديث النهى عن تفسير القرءان بالرأى غريب

(١) البقرة ٢٦٩ : (٢) الانبياء : ٧٩

والثانى : أن الصحابة والمفسرين اختلفوا فى تفسير بعض الآيات. فقالوا فيها أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها، وسماع جميعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم محال، ولو كان الواحد مسموعا لرُدَّ الباقى فتبين على القطع أن كل مفسر قال فى المعنى بما ظهر له باستنباطه، حتى قالوا فى الحروف التى فى أوائل السور سبعة أقاويل مختلفة لا يمكن الجمع بينها فقيل إن (الر) هى حروف من الرحمن وقيل : إن الألف الله، واللام لطيف ، والراء رحيم . وقيل غير ذلك ، والجمع بين الكل غير ممكن ، فكيف يكون الكل مسموعا

والثالث : أنه صلى الله عليه وسلم[1] دعا لابن عباس رضى الله عنه وقال: « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِى الدِّين وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ » فان كان التأويل مسموعا كالتنزيل ومحفوظا مثله فما معنى تخصيصه بذلك

والرابع : أنه قال عز وجل (لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ[1]) فأثبت لأهل العلم استنباطا ومعلوم أنه وراء السماع ، وجملة ما نقلناه من الآثار فى فهم القرءان يناقض هذا الخيال، فبطل أن يشترط السماع فى التأويل وجاز لكل واحد أن يستنبط من القرءان بقدر فهمه وحد عقله

وأما النهى فانه ينزل على أحد وجهين .

أحدهما : أن يكون له فى الشىء رأى ، وإليه ميل من طبعه وهواه، فيتأول القرءان على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه ، ولو لم يكن له ذلك الرأى والهوى لكان لا يلوح له من القرءان ذلك المعنى، وهذا تارة يكون مع العلم كالذى يحتج ببعض آيات القرءان على تصحيح بدعته ، وهو يعلم أنه ليس المراد بالآية ذلك ولكن يلبس به على خصمه ، وتارة يكون مع الجهل ، ولكن إذا كانت الآية محتملة فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه ويرجح ذلك الجانب برأيه وهواه فيكون قد فسر برأيه ، أى رأيه هو الذى حمله على ذلك التفسير ، ولولا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه ، وتارة قد يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلا من القرءان ، ويستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به كمن يدعو إلى الاستغفار بالأسحار فيستدل بقوله صلى الله عليه وسلم[2] « تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِى السُّحُورِ بَرَكَةً » ويزعم أن المراد به التسحر بالذكر، وهو يعلم أن المراد به الأكل، وكالذى يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى

---

(١) حديث دعائه لابن عباس اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل تقدم فى الباب الثانى من العلم

(٢) حديث تسحروا فان فى السحور بركة تقدم فى الباب الثالث من العلم

(١) النساء : ٨٣

يقول: قال الله عز وجل: (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى [١]) ويشير إلى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون: وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة تحسينا للكلام وترغيبا للمستمع وهو ممنوع، وقد تستعمله الباطنية في المقاصد الفاسدة لتغرير الناس ودعوتهم إلى مذهبهم الباطل فينزلون القرءان على وفق رأيهم ومذهبهم على أمور يعلمون قطعا أنها غير مرادة به فهذه الفنون أحد وجهي المنع من التفسير بالرأي، ويكون المراد بالرأي الرأي الفاسد الموافق للهوى دون الاجتهاد الصحيح والرأي يتناول الصحيح والفاسد والموافق للهوى قد يخصص باسم الرأي

والوجه الثاني: أن يتسارع إلى تفسير القرءان بظاهر العربية من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرءان، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة، وما فيه من الاختصار والحذف والاضمار والتقديم والتأخير. فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه، ودخل في زمرة من يفسر بالرأي. فالنقل والسماع لابد منه في ظاهر التفسير أولا، ليتقي به مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع التفهم والاستنباط

والغرائب التي لاتفهم إلا بالسماع كثيرة، ونحن نرمز إلى جمل منها، ليستدل بها على أمثالها، ويعلم أنه لايجوز التهاون بحفظ التفسير الظاهر أولا، ولامطمع في الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر. ومن ادعى فهم أسرار القرءان ولم يحكم التفسير الظاهر فهو كمن يدعي البلوغ إلى صدر البيت قبل مجاوزة الباب، أو يدعي فهم مقاصد الأتراك من كلامهم وهو لايفهم لغة الترك، فان ظاهر التفسير يجري مجرى تعليم اللغة التي لابد منها للفهم

ومالابد فيه من السماع فنون كثيرة: منها الايجاز بالحذف والاضمار كقوله تعالى: (وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا [٢]) معناه آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها. فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة ولم تكن عمياء، ولم يدر أنهم بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم أو أنفسهم. وقوله تعالى: (وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ [٣]) أي حب العجل، فحذف الحب. وقوله عز وجل: (إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ [٤]) أي ضعف عذاب الأحياء، وضعف عذاب الموتى، فحذف العذاب وأبدل الأحياء والموتى

---

(١) طه: ٢٤ (٢) الاسراء: ٥٩ (٣) البقرة: ٩٣ (٤) الاسراء: ٧٥

بذكر الحياة والموت ، وكل ذلك جائز فى فصيح اللغة . وقوله تعالى : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا [١]) أى أهل القرية وأهل العير ، فالأهل فيهما محذوف مضمر . وقوله عز وجل (ثَقُلَتْ فِي السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ [٢]) معناه خفيت على أهل السموات والأرض ، والشيء إذا خفى ثقل ، فأبدل اللفظ به وأقيم فى مقام على ، وأضمر الأهل وحذف . وقوله تعالى: (وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ [٣]) أى شكر رزقكم. وقوله عز وجل : (آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ [٤]) أى على ألسنة رسلك فحذف الألسنة . وقوله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [٥]) أراد القرءان وماسبق له ذكر. وقال عز وجل: (حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ [٦]) أراد الشمس وما سبق لها ذكر . وقوله تعالى: (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى [٧]) أى يقولون مانعبدهم . وقوله عز وجل (فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا. مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ [٨]) معناه لا يفقهون حديثا ، يقولون ما أصابك من حسنة فمن الله ، فان لم يرد هذا كان مناقضا لقوله (قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ [٩]) وسبق إلى الفهم منه مذهب القدرية ومنها المنقول المنقلب : كقوله تعالى (وَطُورِ سِينِينَ [١٠]) أى طور سيناء (سَلَامٌ عَلَى آلِ يَاسِينَ [١١]) أى على الياس ، وقيل ادريس لان فى حرف ابن مسعود سلام على ادراسين

ومنها المكرر القاطع لوصل الكلام فى الظاهر : كقوله عز وجل: (وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ [١٢]) معناه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إلا الظن . وقوله عز وجل : (قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ [١٣]) معناه الذين استكبروا لمن آمن من الذين استضعفوا

ومنها المقدم والمؤخر: وهو مظنة الغلط . كقوله عز وجل: (وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى [١٤]) معناه لولا الكلمة وأجل مسمى لكان لزاما ولولاه لكان نصبا كاللزام. وقوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا [١٥]) أى يسئلونك عنها كأنك حفى بها . وقوله عز وجل: (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ [١٦]) .

---

(١) يوسف : ٨٢ (٢، ١٥) الاعراف: ١٨٧ (٣) الواقعة: ٨٢ (٤) آل عمران : ١٩٤ (٥) القدر: ١ (٦) ص : ٣٢
(٧) الزمر: ٣ (٨، ٩) النساء: ٧٨ ، ٧٩ (١٠) التين : ٢ (١١) الصافات : ١٣٠ (١٢) يونس: ٦٦ (١٣) الاعراف: ٧٥
(١٤) طه : ١٢٩ (١٦) الأنفال : ٤ ، ٥

فهذا الكلام غير متصل وانما هو عائد إلى قوله السابق قل الانفال لله والرسول. كما أخرجك ربك من بيتك بالحق ، أي فصارت أنفال الغنائم لك ، إذا أنت راض بخروجك وهم كارهون ، فاعترض بين الكلام الأمر بالتقوى وغيره ، ومن هذا النوع قوله عزوجل : (حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ [١]) الآية

ومنها المبهم: وهو اللفظ المشترك بين معان من كلمة أو حرف ، أما الكلمة فكالشيء والقرين،والأمة، والروح، ونظائرها . قال الله تعالى:(ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ [٢]) أراد به النفقة مما رزق . وقوله عز وجل : (وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ [٣]) أى الأمر بالعدل والاستقامة . وقوله عز وجل : (فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ [٤]) أراد به من صفات الربوبية وهى العلوم التى لا يحل السؤال عنها حتى يبتدئ بها العارف فى أوان الاستحقاق . وقوله عز وجل : (أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ [٥]) أى من غير خالق ، فربما يتوهم به أنه يدل على أنه لا يخلق شيء إلا من شيء

وأما القرين. فكقوله عزوجل:(وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ. أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ [٦]) أراد به الملك الموكل به ، وقوله تعالى: (قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِنْ كَانَ [٧])أراد به الشيطان

وأما الأمة: فتطلق على ثمانية أوجه ، الامة الجماعة . كقوله تعالى : (وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ [٨]) وأتباع الأنبياء ، كقولك نحن من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، ورجل جامع للخير يقتدى به . كقوله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ [٩]) والأمة الدين . كقوله عز وجل : (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ [١٠]) والأمة الحين والزمان . كقوله عز وجل (إِلَىٰ أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ [١١]) وقوله عز وجل : (وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ [١٢]) والأمة القامة ، يقال فلان حسن الأمة أى القامة ، وأمة رجل منفرد بدين لا يشركه فيه أحد . قال صلى الله عليه وسلم [١] « يُبْعَثُ زَيْدُ بْنُ عَمْرِو بْنُ نُفَيْلٍ أُمَّةً وَحْدَهُ » والأمة الأم. يقال هذه امة زيد أى أم زيد

والروح أيضا ورد فى القرءان على معان كثيرة فلا نطول بايرادها

---

(١) حديث يبعث زيد بن عمرو بن نفيل أمة وحده ن فى الكبرى من حديث زيد بن حارثة وأسماء بنت أبى بكر باسنادين جيدين

(١) الممتحنة : ٤ (٢، ٣) النحل : ٧٥ ، ٧٦ (٤) الكهف : ٧٠ (٥) الطور : ٣٥ (٦) ق : ٢٣ (٧) ق : ٢٧
(٨) القصص : ٢٣ (٩) النحل : ١٢٠ (١٠) الزخرف : ٢٢ (١١) هود : ٨ (١٢) يوسف : ٤٥

وكذلك قد يقع الابهام في الحروف مثل قوله عز وجل: (فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا [١]) فالهاء الأولى كناية عن الحوافر وهى الموريات ، أى أثرن بالحوافر نقعا . والثانية كناية عن الاغارة ، وهى المغيرات صبحا فوسطن به جمعا ، جمع المشركين فأغاروا بجمعهم . وقوله تعالى (فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ [٢]) يعنى السحاب (فأخرجنا به من كل الثمرات [٣]) يعنى الماء وأمثال هذا فى القرءان لا ينحصر

ومنها التدريج فى البيان . كقوله عز وجل: (شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ [٤]) إذ لم يظهر به انه ليل أو نهار . وبان بقوله عز وجل : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ [٥]) ولم يظهر به أى ليلة فظهر بقوله تعالى : (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ [٦]) وربما يظن فى الظاهر الاختلاف بين هذه الآيات : فهذا وأمثاله مما لا يغنى فيه إلا النقل والسماع ، فالقرءان من أوله إلى آخره غير خال عن هذا الجنس ، لأنه أنزل بلغة العرب ، فكان مشتملا على أصناف كلامهم من إيجاز وتطويل وإضمار وحذف وإبدال وتقديم وتأخير ليكون ذلك مفحما لهم ومعجزا فى حقهم ، فكل من اكتفى بفهم ظاهر العربية ، وبادر إلى تفسير القرءان ولم يستظهر بالسماع والنقل فى هذه الأمور ، فهو داخل فيمن فسر القرءان برأيه ، مثل أن يفهم من الأمة المعنى الأشهر منه ، فيميل طبعه ورأيه إليه ، فإذا سمعه فى موضع آخر مال برأيه إلى ما سمعه من مشهور معناه وترك تتبع النقل فى كثير معانيه ، فهذا ما يمكن أن يكون منهيا عنه دون التفهم لأسرار المعانى كما سبق : فاذا حصل السماع بامثال هذه الامور علم ظاهر التفسير وهو ترجمة الألفاظ ، ولا يكفى ذلك فى فهم حقائق المعانى ، ويدرك الفرق بين حقائق المعانى وظاهر التفسير بمثال ، وهو أن الله عز وجل : قال (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى [٧]) فظاهر تفسيره واضح ، وحقيقة معناه غامض ، فانه اثبات للرمى ، ونفى له ، وهما متضادان فى الظاهر ، مالم يفهم انه رمى من وجه ولم يرم من وجه ومن الوجه الذى لم يرم رماه الله عز وجل ، وكذلك قال تعالى : (قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ [٨]) فاذا كانوا هم المقاتلين كيف يكون الله سبحانه هو المعذب ، وان كان الله تعالى هو المعذب بتحريك أيديهم ، فما معنى أمرهم بالقتال؟ فحقيقة هذا يستمد من بحر عظيم من علوم المكاشفات

(١) العاديات : ٤ ، ٥ (٢ ، ٣) الاعراف : ٥٧ (٤) البقرة : ١٨٥ (٥) الدخان : ٣ (٦) القدر : ١
(٧) الانفال : ١٧ (٨) التوبة : ١٤

لا يغنى عنه ظاهر التفسير ، وهو أن يعلم وجه ارتباط الأفعال بالقدرة الحادثة ، ويفهم وجه ارتباط القدرة بقدرة الله عز وجل حتى ينكشف بعد ايضاح أمور كثيرة غامضة صدقُ قوله عز وجل : (وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى [١]) ولعل العمر لوأنفق فى استكشاف أسرار هذا المعنى ، وما يرتبط بمقدماته ولواحقه ، لانقضى العمر قبل استيفاء جميع لواحقه ، وما من كلمة من القرءان إلاوتحقيقها مُحوِج إلى مثل ذلك ، وإنما ينكشف للراسخين فى العلم من أسراره بقدر غزارة علومهم ، وصفاء قلوبهم ، وتوفر دواعيهم على التدبر ، وتجردهم للطلب ، ويكون لكل واحد حد فى الترقى إلى درجة أعلى منه ، فاما الاستيفاء فلا مطمع فيه ولوكان البحر مدادا والاشجار أقلاما ، فاسرار كلمات الله لانهاية لها ، فتنفد الابحر قبل أن تنفد كلمات الله عز وجل ، فمن هذا الوجه تتفاوت الخلق فى الفهم بعد الاشتراك فى معرفة ظاهر التفسير ، وظاهر التفسير لايغنى عنه ، ومثاله فهم بعض أرباب القلوب من قوله صلى الله عليه وسلم [١] فى سجوده « أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ وَأَعُوذُ بِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » أنه قيل له اسجد واقترب ، فوجد القرب فى السجود فنظر إلى الصفات فاستعاذ ببعضها من بعض ، فان الرضا والسخط وصفان ، ثم زاد قربه فاندرج القرب الأول فيه فرقى إلى الذات ، فقال « أَعُوذُ بِكَ مِنْكَ » ثم زاد قربه بما استحيا به من الاستعاذة على بساط القرب فالتجأ إلى الثناء فأثنى بقوله « لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ » ثم علم أن ذلك قصور فقال « أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ » فهذه خواطر تفتح لأرباب القلوب ، ثم لها أغوار وراء هذا ، وهو فهم معنى القرب واختصاصه بالسجود ، ومعنى الاستعاذة من صفة بصفة ومنه به ، وأسرار ذلك كثيرة ولا يدل تفسير ظاهر اللفظ عليه ، وليس هو مناقضا لظاهر التفسير بل هو استكمال له ، ووصول إلى لبابه عن ظاهره ، فهذا ما نورده لفهم المعانى الباطنة لاما يناقض الظاهر والله أعلم .

تم كتاب آداب التلاوة ، والحمد لله رب العالمين ، والصلاة على محمد خاتم النبيين ، وعلى كل عبد مصطفى من كل العالمين ، وعلى آل محمد وصحبه وسلم . يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأذكار والدعوات ، والله المستعان لارب سواه

---

(١) حديث قوله صلى الله عليه وسلم فى سجوده أعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بمعافاتك من عقوبتك الحديث : مسلم من حديث عائشة

(١) الانفال : ١٧

كتاب الأذكار والدعوات

كتاب الأذكار والدعوات

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الشاملة رأفته، العامة رحمته، الذى جازى عباده عن ذكرهم بذكره فقال تعالى: (فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ [1]) ورغبهم فى السؤال والدعاء بامره فقال (ادْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ [2]) فأطمع المطيع والعاصى والدانى والقاصى فى الانبساط إلى حضرة جلاله، برفع الحاجات والأمانى، بقوله (فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ [3]) والصلاة على محمد سيد أنبيائه، وعلى آله وأصحابه خيرة أصفيائه، وسلم تسليما كثيرا

أما بعد: فليس بعد تلاوة كتاب الله عز وجل عبادة تؤدى باللسان أفضل من ذكر الله تعالى، ورفع الحاجات بالادعية الخالصة إلى الله تعالى، فلابد من شرح فضيلة الذكر على الجملة ثم على التفصيل فى أعيان الاذكار، وشرح فضيلة الدعاء وشروطه وآدابه، ونقل المأثور من الدعوات الجامعة لمقاصد الدين والدنيا والدعوات الخاصة لسؤال المغفرة والاستعاذة وغيرها، ويتحرر المقصود من ذلك بذكر أبواب خمسة

الباب الأول: فى فضيلة الذكر وفائدته جملة وتفصيلا

الباب الثانى: فى فضيلة الدعاء وآدابه وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

الباب الثالث: فى أدعية مأثورة ومعزية إلى أصحابها وأسبابها

الباب الرابع: فى أدعية منتخبة محذوفة الاسناد من الادعية المأثوره

الباب الخامس: فى الأدعية المأثورة عند حدوث الحوادث

الباب الأول

فى فضيلة الذكر وفائدته على الجملة والتفصيل من الآيات والأخبار والآثار

ويدل على فضيلة الذكر على الجملة من الآيات قوله سبحانه وتعالى: (فَاذْكُرُونِى أَذْكُرْكُمْ [4]) قال ثابت البنانى رحمه الله. انى أعلم متى يذكرنى ربى عز وجل ففزعوا منه وقالوا كيف تعلم ذلك؟ فقال إذا ذكرته ذكرنى، وقال تعالى: (اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا [5]) وقال تعالى (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ [6])

(1،4) البقرة: ١٥٢ (2) غافر: ٦٠ (3) البقرة: ١٨٦ (5) الأحزاب: ٤١ (6) البقرة: ١٩٨

وقال عزوجل : (فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا [١]) وقال تعالى: (الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ [٢]) وقال تعالى : (فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِكُمْ [٣]) قال ابن عباس رضى الله عنهما أى بالليل والنهار فى البر والبحر ، والسفر والحضر ، والغنى والفقر ، والمرض والصحة ، والسر والعلانية ، وقال تعالى فى ذم المنافقين (وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا [٤]) وقال عز وجل : (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ . [٥]) وقال تعالى : (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ [٦]) قال ابن عباس رضى الله عنهما له وجهان ، أحدهما . أن ذكر الله تعالى لكم أعظم من ذكركم إياه ، والآخر . أن ذكر الله أعظم من كل عبادة سواه ، إلى غير ذلك من الآيات

وأما الأخبار: فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالشَّجَرَةِ الْخَضْرَاءِ فِي وَسَطِ الْهَشِيمِ [١] » وقال صلى الله عليه وسلم : « ذَاكِرُ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالْمُقَاتِلِ بَيْنَ الْفَارِّينَ » وقال صلى الله عليه وسلم [٢] يقول الله عز وجل : « أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ شَفَتَاهُ بِي » وقال صلى الله عليه وسلم : [٣] « مَا عَمِلَ ابْنُ آدَمَ مِنْ عَمَلٍ أَنْجَى لَهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ » قالوا يا رسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله ؟ قال : « وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا أَنْ تَضْرِبَ بِسَيْفِكَ حَتَّى يَنْقَطِعَ ثُمَّ تَضْرِبَ بِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ ثُمَّ تَضْرِبَ بِهِ حَتَّى يَنْقَطِعَ » وقال صلى الله عليه وسلم : [٤] « مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرْتَعَ فِي رِيَاضِ الْجَنَّةِ فَلْيُكْثِرْ

---

(١) حديث ذاكر الله فى الغافلين كالشجرة الخضراء فى وسط الهشيم : أبو نعيم فى الحلية والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف وقال فى وسط الشجر ـ الحديث

(٢) حديث يقول الله تعالى أنا مع عبدى ماذكرنى وتحركت بى شفتاه: ه حب من حديث أبى هريرة وك من حديث أبى الدرداء وقال صحيح الأسناد

(٣) حديث ماعمل ابن آدم من عمل أنجى له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يارسول الله ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله الا أن تضرب بسفك حتى ينقطع ثلاث مرات: ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ باسناد حسن

(٤) حديث من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله تعالى: ابن أبى شيبة فى المصنف والطبرانى من حديث معاذ بسند ضعيف ورواه الطبرانى فى الدعاء من حديث أنس وهو عند ت بلفظ إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا: وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم

---

(١) البقرة : ٢٠٠ (٢) آل عمران : ١٩١ (٣) النساء : ١٠٣ (٤) النساء : ١٤٢ (٥) الاعراف : ٢٠٥

(٦) العنكبوت : ٤٥

ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ » وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] أى الأعمال أفضل؟ فقال: «أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ» وقال صلى الله عليه وسلم: [٢] «أَصْبِحْ وَأَمْسِ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللهِ تُصْبِحُ وَتُمْسِي وَلَيْسَ عَلَيْكَ خَطِيئَةٌ» وقال صلى الله عليه وسلم: [٣] « لَذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ أَفْضَلُ مِنْ حَطْمِ السُّيُوفِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَمِنْ إِعْطَاءِ الْمَالِ سَحًّا » وقال صلى الله عليه وسلم [٤] يقول الله تبارك وتعالى: « إِذَا ذَكَرَنِي عَبْدِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي وَإِذَا ذَكَرَنِي فِي مَلَأٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْ مَلَئِهِ وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِذَا مَشَى إِلَيَّ هَرْوَلْتُ إِلَيْهِ » يعنى بالهرولة سرعة الاجابة وقال صلى الله عليه وسلم [٥] «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ » من جملتهم « رَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ اللهِ » وقال أبو الدرداء قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: [٦] « أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ وَأَرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الْوَرِقِ وَالذَّهَبِ وَخَيْرٌ لَكُمْ مِنْ أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُونَ أَعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُونَ أَعْنَاقَكُمْ » قالوا وماذاك يارسول الله؟ قال « ذِكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ دَائِمًا » وقال صلى الله عليه وسلم [٧] قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ

---

(١) حديث سئل أى الأعمال أفضل قال أن تموت ولسانك رطب من ذكر الله تعالى: حب وطب فى الدعاء والبيهقى فى الشعب من حديث معاذ

(٢) حديث أمس وأصبح ولسانك رطب بذكر الله تصبح وتمسى وليس عليك خطيئة: أبو القاسم الاصبهانى فى الترغيب والترهيب من حديث أنس من أصبح وأمسى ولسانه رطب من ذكر الله يمسى ويصبح وليس عليه خطيئة وفيه من لا يعرف

(٣) حديث لذكر الله بالغداة والعشى أفضل من حطم السيوف فى سبيل الله ومن اعطاء المال سحا: رويناه من حديث أنس بسند ضعيف فى الاصل وهو معروف من قول ابن عمر كما رواه ابن عبد البر فى التمهيد

(٤) حديث قال الله عز وجل اذا ذكرنى عبدى فى نفسه ذكرته فى نفسى ـ الحديث: متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٥) حديث سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل الا ظله من جملتهم رجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه: متفق عليه من حديث أبى هريرة أيضا

(٦) حديث ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم ـ الحديث: ت ه ك وصحح اسناده من حديث أبى الدرداء

(٧) حديث قال الله تعالى من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين: خ فى التاريخ والبزار فى المسند والبيهقى فى الشعب من حديث عمر بن الخطاب وفيه صفوان بن أبى الصفا ذكره حب فى الضعفاء وفى الثقات أيضا

وأما الآثار: فقد قال الفضيل : بلغنا أن الله عز وجل قال : عبدي، اذكرني بعد الصبح ساعة ، وبعد العصر ساعة ، أكفك ما بينهما . وقال بعض العلماء : ان الله عز وجل يقول : أيما عبد اطّلعت على قلبه ، فرأيت الغالب عليه التمسك بذكري، توليت سياسته وكنت جليسه ، ومحادثه وأنيسه . وقال الحسن: الذكر ذكران ، ذكر الله عز وجل، بين نفسك وبين الله عز وجل ماأحسنه وأعظم أجره ، وأفضل من ذلك ذكر الله سبحانه عند ما حرّم الله عز وجل. ويروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشى إلا ذاكر الله عز وجل . وقال معاذ بن جبل رضي الله عنه ليس يتحسر أهل الجنة على شيء، الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله سبحانه فيها . والله تعالى أعلم

فضيلة مجالس الذكر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] « مَاجَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَذَكَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى فِيمَنْ عِنْدَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم[2] « مَا مِنْ قَوْمٍ اجْتَمَعُوا يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَى لَا يُرِيدُونَ بِذَلِكَ إِلَّا وَجْهَهُ إِلَّا نَادَاهُمْ مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ قُومُوا مَغْفُوراً لَكُمْ قَدْ بُدِّلَتْ لَكُمْ سَيِّئَاتُكُمْ حَسَنَاتٍ » وقال أيضا صلى الله عليه وسلم[3] « مَاقَعَدَ قَوْمٌ مَقْعَداً لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وقال داود صلى الله عليه وسلم : « إِلٰهِي إِذَا رَأَيْتَنِي أُجَاوِزُ مَجَالِسَ الذَّاكِرِينَ إِلَى مَجَالِسِ الْغَافِلِينَ فَاكْسِرْ رِجْلِي دُونَهُمْ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ تُنْعِمُ بِهَا عَلَيَّ » وقال صلى الله عليه وسلم[4]: « الْمَجْلِسُ الصَّالِحُ يُكَفِّرُ عَنِ الْمُؤْمِنِ أَلْفَيْ أَلْفِ مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ السُّوءِ »

---

(١) حديث ما جلس قوم مجلسا يذكرون الله تعالى الاحفت بهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده : م من حديث أبي هريرة

(٢) حديث ما من قوم اجتمعوا يذكرون الله تعالى لا يريدون بذلك الا وجهه الا ناداهم مناد من السماء قوموا مغفورا لكم قد بدلت سيئاتكم حسنات: أحمد وأبو يعلى والطبراني بسند ضعيف من حديث أنس

(٣) حديث ماقعد قوم مقعدا لم يذكروا الله ولم يصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم فيه الا كان عليهم حسرة يوم القيامة: ت وحسنه من حديث أبي هريرة

(٤) حديث المجلس الصالح يكفر عن المؤمن ألف ألف مجلس من مجالس السوء : ذكره صاحب الفردوس من حديث ابن وداعة وهو مرسل ولم يخرجه ولده وكذلك لم أجد له أسنادا

وقال أبو هريرة رضى الله عنه : إن أهل السماء ليتراءون بيوت أهل الأرض التى يذكر فيها اسم الله تعالى كما تتراءى النجوم . وقال سفيان بن عيينة رحمه الله ، إذا اجتمع قوم يذكرون الله تعالى ، اعتزل الشيطان والدنيا ، فيقول الشيطان للدنيا الا ترين مايصنعون ؟ فتقول الدنيا دعهم فانهم إذا تفرقوا أخذت بأعناقهم إليك .[1] وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، أنه دخل السوق وقال : اراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد ! فذهب الناس إلى المسجد وتركوا السوق ، فلم يروميراثا ، فقالوا ياأبا هريرة مارأينا ميراثا يقسم فى المسجد ، قال فماذا رأيتم ؟ قالوا رأينا قوما يذكرون الله عزوجل ويقرؤن القرءان ، قال فذلك ميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم

وروى الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة وأبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال[2] « إنَّ للهِ عزَّ وَجلَّ مَلائكَةً سيَّاحينَ فِى الْأرْضِ فَضْلاً عَنْ كُتَّابِ النَّاسِ فَإذَا وَجدُوا قَوْماً يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجلَّ تنادَوْا هَلُمّوا إلى بُغْيَتِكُمْ . فَيَجيئُونَ فَيَحُفُّونَ بِهِمْ إلى السَّماءِ فيقولُ اللهُ تبارَكَ وَتعالَى .أيَّ شَيْءٍ تَرَكْتُمْ عِبادِي يَصْنَعُونَهُ . فيَقُولُونَ تَرَكْنَاهُمْ يَحْمَدُونَكَ وَيُمَجِّدُونَكَ وَيُسَبِّحُونَكَ . فيَقُولُ اللهُ تبارَكَ وَتعَالَى وَهَلْ رَأوْنِي فيَقُولُونَ لَا . فيَقُولُ جَلَّ جَلَالُهُ كَيْفَ لَوْ رَأوْنِي فيَقُولُونَ لَوْ رَأوْكَ لَكَانُوا أشَدَّ تَسْبِيحاً وَتَحْمِيداً وَتَمْجِيداً . فيَقُولُ لَهُمْ مِنْ أيِّ شَيْءٍ يَتعَوَّذُونَ . فيَقُولُونَ مِنَ النَّارِ . فيَقُولُ تَعَالَى وَهَلْ رَأوْهَا فيَقُولُونَ لَا فيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجلَّ فَكَيْفَ لَوْ رَأوْهَا . فيَقُولُونَ لَوْ رَأوْهَا لَكَانُوا أشَدَّ هَرَباً منْهَا وَأشَدَّ نُفُوراً . فيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجلَّ . وَأيَّ شَيْءٍ يَطْلُبُونَ ؟ فيَقُولُونَ الْجَنَّةَ فيَقُولُ تعَالَى وَهَلْ رَأوْهَا فيَقُولُونَ لَا . فيَقُولُ تعالَى فَكَيْفَ لَوْ رَأوْهَا فيَقُولُونَ لَوْ رَأوْهَا لَكَانُوا أشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصاً . فيَقُولُ جَلَّ جَلالُهُ إنِّي أُشْهِدُكُمْ . أنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فيَقُولُونَ كَانَ فِيهِمْ فُلَانٌ لَمْ يُرِدْهُمْ إنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ . فيَقُولُ اللهُ عَزَّ وجَلَّ . هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى جَلِيسُهُمْ

(١) حديث أبى هريرة أنه دخل السوق وقال اراكم هاهنا وميراث رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم فى المسجد فذهب الناس الى المسجد وتركوا السوق ـ الحديث : الطبرانى فى المعجم الصغير باسناد فيه جهالة أو انقطاع

(٢) حديث الاعمش عن أبى هريرة أو أبى سعيد الخدرى عنه صلى الله عليه وسلم انه قال ان لله عز وجل ملائكة سياحين فى الارض فضلا عن كتاب الناس ـ الحديث: رواه من هذا الوجه والحديث فى الصحيحين من حديث أبى هريرة وحده وقد تقدم فى الباب الثالث من العلم

فضيلة التهليل

قال صلى الله عليه وسلم (١) « أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلُ عَشْرِ رِقَابٍ وَكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ وَكَانَتْ لَهُ حِرْزاً مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « مَا مِنْ عَبْدٍ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ » وقال صلى الله عليه وسلم (٤) « لَيْسَ عَلَى أَهْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْشَةٌ فِي قُبُورِهِمْ وَلَا فِي نُشُورِهِمْ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الصَّيْحَةِ يَنْفُضُونَ رُؤُسَهُمْ مِنَ التُّرَابِ وَيَقُولُونَ ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ » وقال صلى الله عليه وسلم (٥) أيضاً لأبي هريرة « يَا أَبَا هُرَيْرَةَ إِنَّ كُلَّ حَسَنَةٍ تَعْمَلُهَا تُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَإِنَّهَا لَا تُوضَعُ فِي مِيزَانٍ لِأَنَّهَا لَوْ وُضِعَتْ فِي مِيزَانِ مَنْ قَالَهَا صَادِقاً وَوُضِعَتِ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرَضُونَ السَّبْعُ وَمَا فِيهِنَّ كَانَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَرْجَحَ مِنْ ذَلِكَ »

---

(١) حديث أفضل ما قلته أنا والنبيون من قبلى لا اله الا الله ـ الحديث : تقدم فى الباب الثانى من الحج

(٢) حديث من قال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد على كل شىء قدير مائة مرة الحديث : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث مامن عبد توضأ فأحسن الوضوء ثم رفع طرفه الى السماء فقال أشهد أن لااله الا الله ـ الحديث د من حديث عقبة بن عامر وقد تقدم فى الطهارة

(٤) حديث ليس على أهل لااله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى النشور ـ الحديث : أبو يعلى والطبرانى والبيهقى فى الشعب من حديث ابن عمر بسند ضعيف

(٥) حديث ياأبا هريرة ان كل حسنة تعملها توزن يوم القيامة الا شهادة أن لااله الا الله فانها لاتوضع فى ميزان لانها لو وضعت فى ميزان من قالها صادقا ووضعت السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن كان لااله الا الله أرجح من ذلك قلت وصية أبى هريرة هذه موضوعة وآخر الحديث رواه المستغفرى فى الدعوات ولو جعلت لااله الا الله وهو معروف من حديث أبى سعيد مرفوعا لو أن السموات السبع وعمارهن غيرى والارضين السبع فى كفة مالت بهن لااله الا الله رواه ن فى اليوم والليلة وحب و ك وصححه

وقال صلى الله عليه وسلم[١] «لَوْ جَاءَ قَائِلُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ صَادِقًا بِقُرَابِ الْأَرْضِ ذُنُوبًا لَغَفَرَ اللهُ لَهُ ذَلِكَ» وقال صلى الله عليه وسلم[٢] «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ لَقِّنِ الْمَوْتَى شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الذُّنُوبَ هَدْمًا» قلت يارسول الله هذا للموتى. فكيف للاحياء؟ قال صلى الله عليه وسلم هي أَهْدَمُ وَأَهْدَمُ» وقال صلى الله عليه وسلم[٣] «مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصًا دَخَلَ الْجَنَّةَ» وقال صلى الله عليه وسلم[٤] «لَتَدْخُلُنَّ الْجَنَّةَ كُلُّكُمْ إِلَّا مَنْ أَبَى وَشَرَدَ عَنِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ شِرَادَ الْبَعِيرِ عَنْ أَهْلِهِ» فقيل يا رسول الله من الذى يأبى ويشرد عن الله قال «مَنْ لَمْ يَقُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ فَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهَا فَإِنَّهَا كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ وَهِيَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ وَهِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى وَهِيَ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ وَهِيَ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَهِيَ الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى. وَهِيَ ثَمَنُ الْجَنَّةِ» وقال الله عز وجل (هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ[١])

---

(١) حديث لو جاء حامل لااله الا الله صادقا بقراب الارض ذنوبا لغفر الله له غريب بهذا اللفظ وللترمذى فى حديث لانس يقول الله ياابن آدم انك لو أتيتنى بقراب الارض خطايا ثم لقيتنى لاتشرك بى شيأ لأتيتك بقرابها مغفرة ولأبى الشيخ فى الثواب من حديث أنس يارب ماجزاء من هلل مخلصا من قلبه قال جزاؤه أن يكون كيوم ولدته أمه من الذنوب وفيه انقطاع

(٢) حديث ياأبا هريرة لقن الموتى شهادة أن لااله الا الله فانها تهدم الذنوب ـ الحديث : أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من طريق ابن المقرى من حديث أبى هريرة وفيه موسى بن وردان مختلف فيه ورواه أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف ورواه ابن أبى الدنيا فى المحتضرين من حديث الحسن مرسلا

(٣) حديث من قال لااله الا الله مخلصا دخل الجنة: الطبرانى من حديث زيد بن أرقم باسناد ضعيف

(٤) حديث لتدخلن الجنة كلكم الا من أبى وشرد على الله شرود البعير على أهله : البخاري من حديث أبى هريرة كل أمتى يدخلون الجنة الامن أبى: زاد ك وصححها وشرد على الله شرود البعير على أهله قال البخارى قالوا يارسول الله ومن يأبى قال من أطاعنى دخل الجنة ومن عصانى فقد أبى: ولابن عدى وأبى يعلى والطبرانى فى الدعاء من حديثه أكثروا من قول لااله الا الله قبل أن يحال بينكم وبينها وفيه ابن وردان أيضا ولابى الشيخ فى الثواب من حديث الحكم بن عمير الثمالى مرسلا اذا قلت لااله الا الله وهى كلمة التوحيد ـ الحديث والحكم ضعيف ولأبى بكر ابن الضحاك فى الشمائل من حديث ابن مسعود فى إجابة المؤذن اللهم رب هذه الدعوة المجابة المستجاب لها دعوة الحق وكلمة الاخلاص ولابن عدى من حديث ابن عمر فى اجابة المؤذن دعوة الحق وللطبرانى فى الدعاء عن عبد الله بن عمر وكلمة الاخلاص لااله الا الله ـ الحديث : وللطبراني من حديث سلمة بن الاكوع وألزمهم كلمة التقوى قال لااله الا الله وللطبرانى فى الدعاء عن ابن عباس كلمة طيبة قال شهادة أن لااله الا الله وله عنه فى قوله دعوة الحق قال شهادة أن لااله الا الله وله عنه فقد استمسك بالعروة الوثقى قال لااله الا الله ولابن عدى والمستغفرى من حديث أنس ثمن الجنة لااله الا الله ولا يصح شىء منها

---

(١) الرحمن : ٦٠

فقيل الاحسان في الدنيا، قول لا إله إلا الله، وفي الآخرة الجنة . وكذا قوله تعالى: (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ [1]) وروى البراء بن عازب أنه صلى الله عليه وسلم قال [1] « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلَ رَقَبَةٍ أَوْ قَالَ نَسَمَةٍ » وروى عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم [2] « مَنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مِائَتَيْ مَرَّةٍ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَمْ يَسْبِقْهُ أَحَدٌ كَانَ قَبْلَهُ وَلَا يُدْرِكُهُ أَحَدٌ كَانَ بَعْدَهُ إِلَّا مَنْ عَمِلَ بِأَفْضَلَ مِنْ عَمَلِهِ » وقال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ قَالَ فِي سُوقٍ مِنَ الْأَسْوَاقِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كَتَبَ اللهُ لَهُ أَلْفَ أَلْفِ حَسَنَةٍ وَمَحَا عَنْهُ أَلْفَ أَلْفِ سَيِّئَةٍ وَبَنَى لَهُ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ » [3] ويروى أن العبد إذا قال لا إله إلا الله . أتت إلى صحيفته ، فلا تمر على خطيئة إلا محتها . حتى تجد حسنة مثلها فتجلس إلى جنبها . وفي الصحيح عن أبي أيوب عن النبي صلى الله عليه وسلم [4] أنه قال « مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ عَشْرَ مَرَّاتٍ كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ » وفي الصحيح أيضا عن عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم [5] أنه قال: « مَنْ تَعَارَّ مِنَ اللَّيْلِ فَقَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ثُمَّ قَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي غُفِرَ لَهُ أَوْ دَعَا اسْتُجِيبَ لَهُ فَإِنْ تَوَضَّأَ وَصَلَّى قُبِلَتْ صَلَاتُهُ »

---

(١) حديث البراء من قال لااله الا الله وحده لاشريك له ــ الحديث : الحاكم وقال صحيح على شرط الشيخين وهو في مسند أحمد دون قوله عشر مرات

(٢) حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنه صلى الله عليه وسلم قال من قال في كل يوم مائة مرة لااله الا الله وحده لاشريك له ــ الحديث: أحمد بلفظ مائة وكذا رواه ك في المستدرك واسناده جيد وهكذا هو في بعض نسخ الاحياء

(٣) حديث ان العبد اذا قال لااله الا الله أتت الى صحيفته فلا تمر على خطيئه الا محتها حتى تجد حسنة مثلها فتجلس اليها: أبو يعلى من حديث أنس بسند ضعيف

(٤) حديث أبي أيوب من قال لااله الا الله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير عشر مرات كان كمن أعتق أربعة أنفس من ولد اسماعيل: متفق عليه

(٥) حديث عبادة بن الصامت من تعار من الليل فقال لااله الا الله ــ الحديث : رواه خ

---

(١) يونس : ٢٦

فضيلة التسبيح والتحميد

وبقية الأذكار

قال صلى الله عليه وسلم : « مَنْ سَبَّحَ[(١)] دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ وَحَمِدَ ثَلاَثاً وثَلاَثِينَ وَكَبَّرَ ثَلاثاً وَثَلاَثِينَ وَخَتَمَ الْمِائَةَ بِلاَ إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » وقال صلى الله عليه وسلم .[(٢)] « مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ حُطَّتْ عَنْهُ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » وروى أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم[(٣)] فقال : تولت عنى الدنيا ، وقَلَّتْ ذات يدى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ صَلاَةِ الْمَلاَئِكَةِ وَتَسْبِيحِ الْخَلاَئِقِ وَبِهَا يُرْزَقُونَ » قال فقلت وما ذا يا رسول الله ؟ قال : « قُلْ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِائَةَ مَرَّةٍ مَا بَيْنَ طُلُوعِ الْفَجْرِ إِلَى أَنْ تُصَلِّيَ الصُّبْحَ تَأْتِيكَ الدُّنْيَا رَاغِمَةً صَاغِرَةً وَيَخْلُقُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ كُلِّ كَلِمَةٍ مَلَكاً يُسَبِّحُ اللهَ تَعَالَى إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَكَ ثَوَابُهُ » وقال صلى الله عليه وسلم :[(٤)] « إِذَا قَالَ الْعَبْدُ الْحَمْدُ للهِ مَلأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ فَإِذَا قَالَ الْحَمْدُ للهِ الثَّانِيَةَ مَلأَتْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ إِلَى الْأَرْضِ السُّفْلَى فَإِذَا قَالَ الْحَمْدُ للهِ الثَّالِثَةَ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ : سَلْ تُعْطَ »

---

(١) حديث من سبح دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ـ الحديث : م من حديث أبى هريرة

(٢) حديث من قال سبحان الله وبحمده مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر : متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٣) حديث ان رجلا جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال تولت عنى الدنيا وقلت ذات يدى فقال رسول الله عليه وسلم فأين أنت عن صلاة الملائكة وتسبيح الخلائق وبها يرزقون ـ الحديث : المستغفرى فى الدعوات من حديث ابن عمر وقال غريب من حديث مالك ولا أعرف له أصلا فى حديث مالك ولأحمد من حديث عبد الله بن عمرو ان نوحا قال لابنه آمرك بلا إله الا الله ـ الحديث ثم قال وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شىء وبها يرزق الخلق واسناده صحيح

(٤) حديث اذا قال العبد الحمد لله ملأت مابين السماء والارض واذا قال الحمد لله الثانية ملأت مابين السماء السابعة الى الارض واذا قال الحمد لله الثالثة قال الله تعالى سل تعط : غريب بهذا اللفظ لم أجده

قال رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم [١] فلما رفع رأسه من الركوع ، وقال سمع الله لمن حمده ، قال رجل وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم ربنا لك الحمد ، حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاته قال « مَنِ الْمُتَكَلِّمُ آنِفاً ؟ » قال أنا يارسول الله فقال صلى الله عليه وسلم : « لَقَدْ رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ مَلَكاً يَبْتَدِرُونَهَا أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلاً » وَقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم : [٢] « الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ هُنَّ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ ، وَسُبْحَانَ اللهِ ، وَالْحَمْدُ لِلهِ ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، ولاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ » وقال صلى الله عليه وسلم [٣] « مَا عَلَى الْأَرْضِ رَجُلٌ يَقُولُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ وَسُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ إِلاَّ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَلَوْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ » رواه ابن عمر . وروى النعمان بن بشير عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: [٤] «الَّذِينَ يَذْكُرُونَ مِنْ جَلاَلِ اللهِ وَتَسْبِيحِهِ وَتَكْبِيرِهِ وَتَحْمِيدِهِ يَنْعَطِفْنَ حَوْلَ الْعَرْشِ لَهُنَّ دَوِيٌّ كَدَوِيِّ النَّحْلِ يَذْكُرُونَ بِصَاحِبِهِنَّ أَوَلاَ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ لاَ يَزَالُ عِنْدَ اللهِ مَا يَذْكُرُ بِهِ » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم [٥] قال: « لَأَنْ أَقُولَ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلهِ وَلاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ » وفي رواية أخرى زاد « لاَحَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ »

---

(١) حديث رفاعة الزرقي كنا يوما نصلي وراء النبي صلى الله عليه وسلم فلما رفع رأسه من الركوع وقال سمع الله لمن حمده قال رجل وراءه ربنا لك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ـ الحديث : رواه خ

(٢) حديث الباقيات الصالحات هن لااله الا الله وسبحان الله والله أكبر والحمد لله ولا حول ولا قوة الا بالله ن في اليوم والليلة وحب ك وصححه من حديث أبي سعيد و ن ك من حديث أبي هريرة دون قوله ولا حول ولا قوة الا بالله

(٣) حديث ماعلى الأرض رجل يقول لااله الاالله والله أكبر وسبحان الله والحمدلله ولاحول ولاقوة الابالله الاغفرت ذنوبه ولو كانت مثل زبد البحر : ك من حديث عبد الله بن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم وهو عند ت وحسنه و ن في اليوم والليلة مختصرا دون قوله سبحان الله والحمدلله

(٤) حديث النعمان بن بشير الذين يذكرون من جلال الله وتسبيحه وتمجيده وتهليله وتحميده ينعطف حول العرش له دوى كدوى النحل يذكر بصاحبه ـ الحديث: هـ و ك وصححه على شرط م

(٥) حديث أبي هريرة لأن أقول سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله أكبر أحب الي مما طلعت عليه الشمس وزاد في رواية ولاحول ولاقوة الابالله وقال خير من الدنيا ومافيها: م باللفظ الأول وللمستغرق في الدعوات من رواية مالك بن دينار ان أبا أمامة قال النبي صلى الله عليه وسلم قلت سبحان الله والحمدلله ولااله الاالله والله أكبر خير من الدنيا ومافيها قال أنت أغنم القوم وهو مرسل جيد الاسناد

وَقَالَ هِيَ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا» وقال صلى الله عليه وسلم:[1] «أَحَبُّ الْكَلَامِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَرْبَعٌ: سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ لَا يَضُرُّكَ بِأَيِّهِنَّ بَدَأْتَ» رواه سمرة بن جندب وروى أبو مالك الأشعري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] كان يقول: «الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ وَسُبْحَانَ اللهِ وَاللهُ أَكْبَرُ تَمْلَآنِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالصَّلَاةُ نُورٌ وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ وَالْقُرْآنُ حُجَّةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ. كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو. فَبَائِعٌ نَفْسَهُ فَمُوبِقُهَا. أَوْ مُشْتَرٍ نَفْسَهُ فَمُعْتِقُهَا. وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[3] كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ» وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم[4] أي الكلام أحب إلى الله عز وجل قال صلى الله عليه وسلم: «مَا اصْطَفَى اللهُ سُبْحَانَهُ لِمَلَائِكَتِهِ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ» وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[5] «إِنَّ اللهَ تَعَالَى اصْطَفَى مِنَ الْكَلَامِ سُبْحَانَ اللهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ سُبْحَانَ اللهِ كُتِبَتْ لَهُ عِشْرُونَ حَسَنَةً وَتُحَطُّ عَنْهُ عِشْرُونَ سَيِّئَةً وَإِذَا قَالَ اللهُ أَكْبَرُ فَمِثْلُ ذَلِكَ» وذكر إلى آخر الكلمات. وقال جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[6] «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ» وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال قال الفقراء لرسول الله

---

(١) حديث سمرة بن جندب أحب الكلام الى الله اربع ـ الحديث: رواه م

(٢) حديث أبي مالك الاشعري الطهور شطر الايمان والحمد لله تملأ الميزان ـ الحديث: رواه م وقد تقدم في الطهارة

(٣) حديث أبي هريرة كلمتان خفيفتان على اللسان ـ الحديث: متفق عليه

(٤) حديث أبي ذر أي الكلام أحب الى الله قال مااصطفى الله لملائكته سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم رواه م دون قوله سبحان الله العظيم

(٥) حديث أن الله اصطفى من الكلام سبحان الله والحمد لله ـ الحديث: ن في اليوم والليلة و ك وقال صحيح على شرط م وصححه من حديث أبي هريرة وأبي سعيد الا انهما قالا في ثواب الحمد لله كتبت له ثلاثون حسنة وحطت عنه ثلاثون سيئة

(٦) حديث جابر من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة: ت وقال حسن و ن في اليوم والليلة وحب و ك وقال صحيح على شرط م وصحح

صلى الله عليه وسلم [١] ذهب أهل الدثور بالأجور ، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم، فقال « أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ إِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً وَتَحْمِيدَةٍ وَتَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً وَتَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً وَأَمْرٌ بِمَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ وَيَضَعُ أَحَدُكُمُ اللُّقْمَةَ فِي فِي أَهْلِهِ فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ » قالوا يارسول الله يأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال صلى الله عليه وسلم « أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ قَالُوا نَعَمْ. قَالَ كَذَلِكَ إِنْ وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ » وقال أبو ذر رضي الله عنه قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « سَبَقَ أَهْلُ الْأَمْوَالِ بِالْأَجْرِ . يَقُولُونَ كَمَا نَقُولُ وَيُنْفِقُونَ وَلَا نُنْفِقُ . فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنْتَ عَمِلْتَهُ أَدْرَكْتَ مَنْ قَبْلَكَ ، وَفُقْتَ مَنْ بَعْدَكَ إِلَّا مَنْ قَالَ مِثْلَ قَوْلِكَ تُسَبِّحُ اللهَ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتَحْمَدُ ثَلَاثًا وَثَلَاثِينَ وَتُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلَاثِينَ » . وروت بسرة عن النبي صلى الله عليه وسلم [٣] أنه قال « عَلَيْكُنَّ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّقْدِيسِ فَلَا تَغْفُلْنَ وَاعْقِدْنَ بِالْأَنَامِلِ فَإِنَّهَا مُسْتَنْطَقَاتٌ » يعني بالشهادة في القيامة . وقال ابن عمر رأيته صلى الله عليه وسلم [٤] يعقد التسبيح . وقد قال صلى الله عليه وسلم فيما شهد عليه أبو هريرة وأبو سعيد الخدري [٥] « إِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ قَالَ تَعَالَى صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ

---

(١) حديث أبي ذر قال الفقراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب أهل الدثور بالاجور يصلون كما نصلي الحديث : رواه م

(٢) حديث أبي ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم سبق أهل الاموال بالاجر يقولون كما نقول وينفقون ولا ننفق ـ الحديث : رواه ه الا أنه قال قال سفيان لاأدري أيتهن أربع ولاحمد في هذا الحديث وتحمد أربعا وثلاثين واسنادهما جيد ولأبي الشيخ في الثواب من حديث أبي الدرداء وتكبر أربعا وثلاثين كما ذكر المصنف

(٣) حديث بسرة عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ولا تغفلن واعقدن بالانامل فانها مستنطقات: د ت ك باسناد جيد

(٤) حديث ابن عمر رأيته صلى الله عليه وسلم يعقد التسبيح قلت انما هو عبد الله بن عمرو بن العاص: كما رواه د ن ت وحسنه و ك

(٥) حديث أبي هريرة وأبي سعيد إذا قال العبد لا إله الا الله والله أكبر قال الله صدق عبدي ـ الحديث: ت وقال حسن و ن في اليوم والليلة و ه ك وصححه

وَلَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّابِاللهِ يَقُولُ اللهُ سُبْحَانَهُ صَدَقَ عَبْدِى لَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّابِي وَمَنْ قَالَهُنَّ عِنْدَ الْمَوْتِ لَمْ تَمَسَّهُ النَّارُ » وروى مصعب بن سعد عن أبيه عنه صلى الله عليه وسلم (١) أنه قال أَيَعْجِزُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَكْسِبَ كُلَّ يَوْمٍ أَلْفَ حَسَنَةٍ فَقِيلَ كَيْفَ ذٰلِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يُسَبِّحُ اللهَ تَعَالَى مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ وَيُحَطُّ عَنْهُ أَلْفُ سَيِّئَةٍ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ أَوْ يَا أَبَامُوسَى أَوَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ قَالَ بَلَى قَالَ قُلْ لَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّابِاللهِ » وفى رواية أخرى « أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَةً مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ . لَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّابِاللهِ » وقال أبو هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (٣) « أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى عَمَلٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ مِنْ تَحْتِ الْعَرْشِ قَوْلِ لَا حَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى أَسْلَمَ عَبْدِى وَاسْتَسْلَمَ » وقال صلى الله عليه وسلم: (٤) « مَنْ قَالَ حِينَ يُصْبِحُ رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِالْقُرْءَانِ إِمَامًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا وَرَسُولاً كَانَ حَقًّا عَلَى اللهِ أَنْ يُرْضِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » وفى رواية « مَنْ قَالَ ذٰلِكَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ »

وقال مجاهد إذا خرج الرجل من بيته ، فقال بسم الله ، قال الملك هديت ، فإذا قال . توكلت على الله قال الملك كفيت ، وإذا قال لاحول ولاقوة إلا بالله ، قال الملك وقيت فتتفرق عنه الشياطين فيقولون ماتريدون من رجل ، قد هدى وكفى ووقى لاسبيل لكم إليه

فان قلت : فما بال ذكر الله سبحانه مع خفته على اللسان ، وقلة التعب فيه ، صار أفضل وأنفع من جملة العبادات مع كثرة المشقات فيها

---

(١) حديث مصعب بن سعد عن أبيه أيعجز أحدكم أن يكسب كل يوم ألف حسنة ـ الحديث : م الا أنه قال أو يحط كما ذكره المصنف وقال حسن صحيح

(٢) حديث ياعبد الله بن قيس أو ياأبا موسى ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة قال بلى قال لاحول ولا قوة الا بالله : متفق عليه

(٣) حديث أبى هريرة عمل من كنز الجنة ومن تحت العرش قول لاحول ولا قوة الا بالله يقول الله أسلم عبدى واستسلم: ن فى اليوم والليلة و ك من قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله قال أسلم عبدى واستسلم وقال صحيح الاسناد

(٤) حديث من قال حين يصبح رضيت بالله ربا ـ الحديث : د ن فى اليوم والليلة و ك وقال صحيح الاسناد من حديث خادم النبى صلى الله عليه وسلم ورواه ت من حديث ثوبان وحسنه وفيه نظر ففيه سعد بن المرزبان ضعيف جدا .

فاعلم أن تحقيق هذا لايليق إلابعلم المكاشفة . والقدر الذى يسمح بذكره فى علم المعاملة أن المؤثر النافع هو الذكر على الدوام مع حضور القلب ، فاما الذكر باللسان والقلب لاهٍ فهو قليل الجدوى ، وفى الأخبار ما يدل عليه أيضاً [1] وحضور القلب فى لحظة بالذكر والذهول عن الله عز وجل مع الاشتغال بالدنيا أيضا قليل الجدوى ، بل حضور القلب مع الله تعالى على الدوام أو فى أكثر الاوقات هو المقدم على العبادات بل به تشرف سائر العبادات ، وهو غاية ثمرة العبادات العملية ، وللذكر أول وآخر ، فأوله يوجب الانس والحب ،وآخره يوجبه الانس والحب ويصدر عنه ، والمطلوب ذلك الانس والحب ؛ فان المريد فى بداية أمره قد يكون متكلفا بصرف قلبه ولسانه عن الوسواس إلى ذكر الله عز وجل ، فان وفق للمداومة أنس به وانغرس فى قلبه حب المذكور . ولا ينبغى أن يتعجب من هذا فان من المشاهد فى العادات أن تذكر غائبا غير مشاهد بين يدى شخص وتكرر ذكر خصاله عنده فيحبه ، وقد يعشق بالوصف وكثرة الذكر ، ثم إذا عشق بكثرة الذكر التكلف أولا صار مضطرا إلى كثرة الذكر آخرا بحيث لايصبر عنه ، فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره ، ومن أكثر ذكر شيء وأن كان تكلفا أحبه ، فكذلك أول الذكر متكلف إلى أن يثمر الانس بالمذكور والحب له ، ثم يمتنع الصبر عنه آخرا فيصير الموجب موجبا والثمر مثمراً ، وهذا معنى قول بعضهم كابدت القرءان عشرين سنة ، ثم تنعمت به عشرين سنة ، ولا يصدر التنعم إلا من الانس والحب ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعا ، فكيف يستبعد هذا ؟ وقد يتكلف الانسان تناول طعام يستبشعه أولا ، ويكابد أكله ، ويواظب عليه فيصير موافقا لطبعه حتى لا يصبر عنه ، فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف * هى النفس ماعودتها تتعود *

أى ما كلفتها أولا يصير لها طبعاً آخرا ، ثم إذا حصل الأنس بذكر الله سبحانه انقطع من غير ذكر الله ، وما سوى الله عز وجل هو الذى يفارقه عند الموت ، فلا يبقى معه فى القبر أهل ولا مال ولا ولد ولا ولاية . ولا يبقى إلا ذكر الله عز وجل

---

(١) حديث الدال على أن الذكر والقلب لاه قليل الجدوى: ت وقال حسن والحاكم وقال حديث مستقيم الاسناد من حديث أبى هريرة واعلموا أن الله لايقبل الدعاء من قلب لاه

فان كان قد أنس به تمتع به وتلذذ بانقطاع العوائق الصارفة عنه ، إذ ضرورات الحاجات فى الحياة الدنيا تصد عن ذكر الله عز وجل ولا يبقى بعد الموت عائق ، فكأنه خلى بينه وبين محبوبه فعظمت غبطته وتخلص من السجن الذى كان ممنوعا فيه عما به أنسه، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم:[١] « إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ نَفَثَ فِي رَوْعِي ، أَحْبِبْ مَا أَحْبَبْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ » أراد به كل ما يتعلق بالدنيا ، فان ذلك يفنى فى حقه بالموت ، فكل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ، وانما تفنى الدنيا بالموت فى حقه إلى أن تفنى فى نفسها عند بلوغ الكتاب أجله ، وهذا الانس يتلذذ به العبد بعد موته إلى أن ينزل فى جوار الله عز وجل ، ويترقى من الذكر إلى اللقاء وذلك بعد أن يبعثر مافى القبور ويحصل مافى الصدور ، ولا ينكر بقاء ذكر الله عز وجل معه بعد الموت ، فيقول انه أعدم فكيف يبقى معه ذكر الله عز وجل فانه لم يعدم عدما يمنع الذكر بل عدما من الدنيا وعالم الملك والشهادة لا من عالم الملكوت ، وإلى ماذكرناه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم[٢] « الْقَبْرُ إِمَّا حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ أَوْ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ » وبقوله صلى الله عليه وسلم :[٣] « أَرْوَاحُ الشُّهَدَاءِ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ » وبقوله صلى الله عليه وسلم[٤] لقتلى بدر من المشركين « يَا فُلَانُ يَا فُلَانُ » وقد سماهم النبى صلى الله عليه وسلم « هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي رَبِّي حَقًّا » فسمع عمر رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله كيف يسمعون وأنى يجيبون وقد جيفوا ، فقال صلى الله عليه وسلم « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِكَلَامِي مِنْهُمْ وَلَكِنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُجِيبُوا » والحديث فى الصحيح هذا قوله عليه السلام فى المشركين

(١) حديث ان روح القدس نفث فى روعى أحبب من أحببت فانك مفارقه : تقدم فى الكتاب السابع من العلم

(٢) حديث القبر اما حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة : ت من حديث أبى سعيد بتقديم وتأخير وقال غريب قلت فيه عبيد الله بن الوليد الوصافى ضعيف

(٣) حديث أرواح الشهداء فى حواصل طيور خضر : م من حديث ابن مسعود انه سئل عن هذه الآية ـ ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا ـ الآية قال أما أنا قد سألنا عن ذلك فقال أرواحهم فى جوف طير خضر فلم يسم فيه النبى صلى الله عليه وسلم وفى رواية ت أما أنا سألنا عن ذلك فأخبرنا وذكر صاحب مسند الفردوس ان ابن منيع صرح برفعه فى مسنده

(٤) حديث ندائه لقتلى بدر من المشركين يافلان يا فلان وقد سماهم انى قد وجدت ماوعدنى ربى حقا فهل وجدتم ماوعدكم ربكم حقا : م من حديث أنس ـ

فأما المؤمنون والشهداء فقد قال صلى الله عليه وسلم[1] « أَرْوَاحُهُمْ فِي حَوَاصِلِ طُيُورٍ خُضْرٍ مُعَلَّقَةٍ تَحْتَ الْعَرْشِ » وهذه الحالة وما أشير بهذه الألفاظ إليه لا ينافى ذكر الله عز وجل وقال تعالى : (وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ * فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ[1]) الآية ولأجل شرف ذكر الله عز وجل عظمت رتبة الشهادة ، لأن المطلوب الخاتمة ونعنى بالخاتمة وداعَ الدنيا والقدوم على الله ، والقلبُ مستغرق بالله عز وجل منقطعُ العلائق عن غيره ، فان قدر عبد على أن يجعل همه مستغرقا بالله عز وجل ، فلا يقدر على أن يموت على تلك الحالة الا فى صف القتال ، فانه قطع الطمع عن مهجته وأهله وماله وولده ، بل من الدنيا كلها فانه يريدها لحياته ، وقد هوّن على قلبه حياته فى حب الله عز وجل وطلب مرضاته ، فلا تجرد لله أعظم من ذلك ولذلك عظم أمر الشهادة ، وورد فيه من الفضائل مالا يحصى ، فمن ذلك انه لما استشهد عبد الله بن عمرو الأنصارى يوم أحد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[2] لجابر « أَلَا أُبَشِّرُكَ يَاجَابِرُ قَالَ بَلَى بَشَّرَكَ اللَّهُ بِالْخَيْرِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَحْيَا أَبَاكَ فَأَقْعَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ سِتْرٌ فَقَالَ تَعَالَى تَمَنَّ عَلَيَّ يَاعَبْدِي مَاشِئْتَ أُعْطِيكَهُ فَقَالَ يَارَبِّ أَنْ تَرُدَّنِي إِلَى الدُّنْيَا حَتَّى أُقْتَلَ فِيكَ وَفِي نَبِيِّكَ مَرَّةً أُخْرَى فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ سَبَقَ الْقَضَاءُ مِنِّي بِأَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ » ثم القتل سبب الخاتمة على مثل هذه الحالة ، فانه لو لم يقتل وبقى مدة ربما عادت شهوات الدنيا اليه وغلبت على ما استولى على قلبه من ذكر الله عز وجل ، ولهذا عظم خوف أهل المعرفة من الخاتمة ، فان القلب وان ألزم ذكر الله عز وجل فهو متقلب ، لا يخلو عن الالتفات إلى شهوات الدنيا ، ولا ينفك عن فترة تعتريه ، فاذا تمثل فى آخر الحال فى قلبه أمر من الدنيا واستولى عليه وارتحل عن الدنيا ، والحالة هذه ، فيوشك أن يبقى استيلاؤه عليه فيحن بعد الموت اليه ، ويتمنى الرجوع إلى الدنيا ، وذلك لقلة حظه فى الآخرة ، إذ يموت المرء على ما عاش عليه ، ويحشر على ما مات عليه ، فأسلم الأحوال عن هذا الخطر خاتمة الشهادة ،

---

(١) حديث أرواح المؤمنين فى حواصل طيور خضر معلقة تحت العرش : ه من حديث كعب بن مالك ان أرواح المومنين فى طير خضر تعلق بشجر الجنة وروى ن بلفظ انما نسمة المؤمن طائر ورواه ت بلفظ أرواح الشهداء وقال حسن صحيح

(٢) حديث ألا أبشرك ياجابر قال بلى بشرك الله بالخير قال ان الله أحيا أباك وأقعده بين يديه وليس بينه وبينه ستر فقال تعالى تمن علي ــ الحديث : ت وقال حسن و ه ك وصحح اسناده من حديث جابر

---

(١) آل عمران : ١٦٩ ، ١٧٠ .

إذا لم يكن قصد الشهيد [١] نيل مال أو أن يقال شجاع أو غير ذلك كما ورد به الخبر ، بل حب الله عز وجل ، وإعلاء كلمته ، فهذه الحالة هى التى عبر عنها بأن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بان لهم الجنة ، ومثل هذا الشخص هو البائع للدنيا بالآخرة وحالة الشهيد توافق معنى قولك ، لاإله إلا الله ، فانه لامقصود له سوى الله عز وجل وكل مقصود معبود ، وكل معبود إله ، فهذا الشهيد قائل بلسان حاله لاإله إلا الله،إذ لامقصود له سواه،ومن يقول ذلك بلسانه ولم يساعده حاله فأمره فى مشيئة الله عز وجل ولا يؤمن فى حقه الخطر ، ولذلك فضّل رسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] « قَوْلَ لَاإِلَهَ إِلَّاٱللهُ عَلَى سَائِرِ ٱلْأَذْكَارِ » وذكر ذلك مطلقا فى مواضع الترغيب ، ثم ذكر فى بعض المواضع الصدق والاخلاص فقال مرة من قال لا إله إلا الله مخلصاً ومعنى الاخلاص مساعدة الحال للمقال .

فنسأل الله تعالى أن يجعلنا فى الخاتمة من أهل لاإله إلا الله حالاً ومقالاً ، وظاهراً وباطناً حتى نودع الدنيا غير ملتفتين إليها ، بل متبرمين بها ومحبين للقاء الله، فان من أحب لقاء الله تعالى أحب الله لقاءه ، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه ، فهذه مرامز إلى معانى الذكر التى لايمكن الزيادة عليها فى علم المعاملة .

الباب الثانى

فى آداب الدعاء وفضله وفضل بعض الأدعية المأثورة وفضيلة الاستغفار والصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

فضيلة الدعاء

قال الله تعالى : (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى [١]) وقال تعالى : (أُدْعُوا رَبَّكُم تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [٢])

---

(١) حديث الرجل يقاتل لنيل مال أو أن يقال شجاع أو غير دلك : متفق عليه من حديث أبى موسى قال جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال الرجل يقاتل للدكر والرجل يقاتل للمغنم والرجل يقاتل ليرى مكانه فمن فى سبيل الله قال من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله

(٢) حديث تفضيل لااله الا الله على سائر الاذكار : ت وقال حسن و ن فى اليوم والليلة و هـ من حديث جابر .

(١) البقرة : ١٨٦ (٢) الاعراف : ٥٥

وقال تعالى: (وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ[1]) وقال عز وجل: (قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى[2])

وروى النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم [1] أنه قال « إِنَّ الدُّعَاءَ هُوَ الْعِبَادَةُ . ثُمَّ قَرَأَ ـ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » الآية . وقال صلى الله عليه وسلم [2] « الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ » وروى أبو هريرة أنه صلى الله عليه وسلم [3] قال « لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنَ الدُّعَاءِ » وقال صلى الله عليه وسلم [4] « إِنَّ الْعَبْدَ لَا يُخْطِئُهُ مِنَ الدُّعَاءِ إِحْدَى ثَلَاثٍ إِمَّا ذَنْبٌ يُغْفَرُ لَهُ وَإِمَّا خَيْرٌ يُعَجَّلُ لَهُ وَإِمَّا خَيْرٌ يُدَّخَرُ لَهُ » وقال أبو ذر رضي الله عنه ، يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح ، وقال صلى الله عليه وسلم [5] « سَلُوا اللَّهَ تَعَالَى مِنْ فَضْلِهِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُحِبُّ أَنْ يُسْأَلَ وَأَفْضَلُ الْعِبَادَةِ انْتِظَارُ الْفَرَجِ »

آداب الدعاء

وهي عشرة

الأول : أن يترصد لدعائه الأوقات الشريفة ، كيوم عرفة من السنة ، ورمضان من الأشهر ، ويوم الجمعة من الأسبوع ، ووقت السحر من ساعات الليل ، قال تعالى : (وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ[3]) . وقال صلى الله عليه وسلم [6] « يَنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْأَخِيرُ فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي

﴿ الباب الثاني في آداب الدعاء وفضله ﴾

(١) حديث النعمان بن بشير ان الدعاء هو العبادة : أصحاب السنن و ك وقال صحيح الاسناد وقال ت حسن صحيح

(٢) حديث الدعاء مخ العبادة : ت من حديث أنس وقال غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث بن لهيعة

(٣) حديث أبي هريرة ليس شيء أكرم عند الله من الدعاء : ت وقال غريب و ه حب ك وقال صحيح الاسناد

(٤) حديث ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير يعجل له واما خير يدخر له : الديلمي في الفردوس من حديث أنس وفيه روح بن مسافر عن أبان بن أبي عياش وكلاهما ضعيف : ولأحمد و خ في الادب والحاكم وصحح اسناده من حديث أبي سعيد اما أن تعجل له دعوته واما أن يدخر له في الآخرة واما أن يدفع عنه من السوء مثلها

(٥) حديث سلوا الله من فضله فان الله يحب أن يسأل وأفضل العبادة انتظار الفرج : ت من حديث ابن مسعود وقال حماد بن واقد ليس بالحافظ قلت وضعفه ابن معين وغيره .

(٦) حديث ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل ـ الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة /

(1) غافر : ٦٠ (2) الاسراء : ١١٠ (3) الذاريات : ١٨

فَأُعْطِيَهُ مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ » . وقيل إن يعقوب صلى الله عليه وسلم انما قال (سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي[1]) ليدعو في وقت السحر، فقيل : انه قام في وقت السحر يدعو، وأولاده يؤمنون خلفه، فأوحى الله عز وجل إليه، أني قد غفرت لهم وجعلتهم أنبياء

الثاني : أن يغتنم الاحوال الشريفة . قال أبو هريرة رضي الله عنه . إن أبواب السماء تفتح عند زحف الصفوف في سبيل الله تعالى، وعند نزول الغيث، وعند اقامة الصلوات المكتوبة، فاغتنموا الدعاء فيها، وقال مجاهد. إن الصلاة جعلت في خير الساعات، فعليكم بالدعاء خلف الصلوات، وقال صلى الله عليه وسلم [1] « الدُّعَاءُ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ لَا يُرَدُّ » وقال صلى الله عليه وسلم [2] أيضاً « الصَّائِمُ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُ » وبالحقيقة يرجع شرف الأوقات إلى شرف الحالات أيضاً، إذ وقت السحر وقت صفاء القلب وإخلاصه، وفراغه من المشوشات، ويوم عرفة ويوم الجمعة، وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على استدرار رحمة الله عز وجل، فهذا أحد أسباب شرف الأوقات سوى مافيها من أسرار لا يطلع البشر عليها، وحالة السجود أيضاً أجدر بالاجابة، قال أبو هريرة رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم [3] « أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ سَاجِدٌ فَأَكْثِرُوا فِيهِ مِنَ الدُّعَاءِ » وروى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم [4] أنه قال « إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَقْرَأَ الْقُرْآنَ رَاكِعاً أَوْ سَاجِداً فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ تَعَالَى وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِيهِ بِالدُّعَاءِ فَإِنَّهُ قَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ »

الثالث : أن يدعو مستقبل القبلة، ويرفع يديه بحيث يرى بياض ابطيه، وروى جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم [5] « أَتَى الْمَوْقِفَ بِعَرَفَةَ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ وَلَمْ يَزَلْ

---

(١) حديث الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد : د ن في اليوم والليلة و ت وحسنه من حديث أنس وضعفه ابن عدي وابن القطان ورواه في اليوم والليلة باسناد آخر جيد وحب و ك وصححه

(٢) حديث الصائم لاترد دعوته : ت وقال حسن و ه من حديث أبي هريرة بزيادة فيه

(٣) حديث أبي هريرة أقرب مايكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا من الدعاء : رواه م

(٤) حديث ابن عباس انى نهيت أن أقرأ القرءان راكعا أو ساجدا ـ الحديث : م أيضا

(٥) حديث جابر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى الموقف بعرفة واستقبل القبلة ولم يزل يدعو حتى غربت الشمس : م دون قوله يدعو فقال مكانها واقفا و ن من حديث أسامة بن زيد كنت ردفه بعرفات فرفع يديه يدعو ورجاله ثقات

---

(١) يوسف : ٩٨.

يَدْعُو حَتَّى غَرُبَتِ الشَّمْسُ » . وقال سلمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] « إِنَّ رَبَّكُمْ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي مِنْ عَبِيدِهِ إِذَا رَفَعُوا أَيْدِيَهُمْ إِلَيْهِ أَنْ يَرُدَّهَا صُفْراً » . وروى أنس أنه صلى الله عليه وسلم[2] « كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يُرَى بَيَاضُ إِبْطَيْهِ فِي الدُّعَاءِ وَلَا يُشِيرُ بِأُصْبُعِهِ » وروى أبو هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم[3] مر على انسان يدعو ويشير باصبعيه السبابتين فقال صل الله عليه وسلم « أَحَدْ أَحَدْ » أى اقتصر على الواحـدة . وقال أبو الدرداء رضى الله عنه ارفعوا هذه الايدى قبل أن تغل بالاغلال

ثم ينبغى أن يمسح بهما وجهه فى آخر الدعاء . قال عمر رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم[4] « إِذَا مَدَّ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ لَمْ يَرُدَّهُمَا حَتَّى يَمْسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ » وقال ابن عباس كان صلى الله عليه وسـلم[5] « إِذَا دَعَا ضَمَّ كَفَّيْهِ وَجَعَلَ بُطُونَهُمَا مِمَّا يَلِي وَجْهَهُ » فهذه هيآت اليد . ولا يرفع بصره إلى السماء . قال صلى الله عليه وسلم[6] « لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ رَفْعِ أَبْصَارِهِمْ إِلَى السَّمَاءِ عِنْدَ الدُّعَاءِ أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ »

الرابع : خفض الصوت بين المخافتة والجهر . لما روى أن أباموسى الأشعرى . قال قدمنا مع رسول الله. فلما دنونا من المدينة كبر وكبر الناس ورفعوا أصواتهم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم[7] « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ لَيْسَ بِأَصَمَّ وَلَا غَائِبٍ إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ أَعْنَاقِ رِكَابِكُمْ »

---

(١) حديث سلمان إن ربكم حيي كريم يستحى من عبده اذا رفع يديه أن يردهما صفرا : د ت وحسنه و هـ ك وقال أسناد صحيح على شرطها

(٢) حديث أنس كان يرفع يديه حى يرى بياض ابطيه فى الدعاء ولا يشير باصبعه: م دون قوله ولا يشير باصبعه والحديث : متفق عليه لـكن مقيد بالاستسقاء

(٣) حديث أبي هريرة مر على انسان يدعو باصبعيه السبابتين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد أحد: ن وقال حسن و هـ ك وقال صحيح الاسناد

(٤) حديث عمر كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مد يديه فى الدعاء لم يردهما حتى يمسح بهما وجهه ت وقال غريب و ك فى المستدرك وسكت عليه وهو ضعيف

(٥) حديث ابن عباس كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا ضم كفيه وجعل بطونهما مما يلى وجهه: الطبرانى فى الـكبير بسند ضعيف

(٦) حديث لينتهين أقوام عن رفع أبصارهم الى السماء عنـد الدعاء أو لتخطفن أبصارهم : م من حديث أبي هريرة وقال عند الدعاء فى الصلاة

(٧) حـديث أبي موسى الأشعرى يا أيها الناس ان الذى تدعون ليس بأصم ولا غائب : متفق عليه مع اختلاف واللفظ الذى ذكره المصنف لابى داود

قالت عائشة رضي الله عنها في قوله عز وجل [١] (وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا [١]) أي بدعائك . وقد أثنى الله عز وجل على نبيه زكرياء عليه السلام حيث قال : (إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا [٢]) وقال عز وجل : (أُدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً [٣])

الخامس : أن لا يتكلف السجع في الدعاء . فان حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه ، قال صلى الله عليه وسلم [٢] « سَيَكُونُ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ » وقد قال عز وجل: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ [٤]) قيل معناه التكلف للاسجاع : والاولى أن لا يجاوز الدعوات المأثورة فانه قد يعتدى في دعائه ، فيسأل ما لا تقتضيه مصلحته ، فما كل أحد يحسن الدعاء ، ولذلك روى عن مُعاذ رضي الله عنه . أن العلماء يحتاج إليهم في الجنة . اذ يقال لأهل الجنة تمنوا ، فلا يدرون كيف يتمنّون حتى يتعلموا من العلماء ، وقد قال صلى الله عليه وسلم [٣] « إِيَّاكُمْ وَالسَّجْعَ فِي الدُّعَاءِ حَسْبُ أَحَدِكُمْ . أَنْ يَقُولَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ » وفي الخبر « سَيَأْتِي قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الدُّعَاءِ وَالطُّهُورِ » ومر بعض السلف بقاص يدعو بسجع ، فقال له . أَعَلَى الله تبالغ ؟ أشهد لقد رأيت حبيباً العجمي يدعو وما يزيد على قوله . اللهم اجعلنا جيدين ، اللهم لا تفضحنا يوم القيامة ، اللهم وفقنا للخير ، والناس يدعون من كلّ ناحية وراءه ، وكان يعرف بركة دعائه ، وقال بعضهم ادع بلسان الذلة والافتقار ، لا بلسان الفصاحة والانطلاق ، ويقال ان العلماء والابدال لا يزيدون في الدعاء على سبع كلمات فما دونها ، ويشهد له آخر سورة البقرة ، فإن الله تعالى لم يخبر في موضع من أدعية عباده أكثر من ذلك

---

(١) حديث عائشة في قوله تعالى ـ ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها ـ أي بدعائك : متفق عليه

(٢) حديث سيكون قوم يعتدون في الدعاء وفي رواية والطهور : د ه حب ك من حديث عبد الله بن مغفل

(٣) حديث اياكم والسجع في الدعاء بحسب أحدكم أن يقول اللهم اني أسألك الجنة وما قرب اليها من قول وعمل وأعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل: غريب بهذا السياق وللبخاري عن ابن عباس وانظر السجع من الدعاء فاجتنبه فاني عهدت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفعلون الا ذلك : و ه ك واللفظ له وقال صحيح الاسناد من حديث عائشة عليك بالكوامل وفيه وأسألك الجنة الى آخره

---

[١] الاسراء : ١١٠ [٢] مريم : ٣ [٣،٤] الاعراف : ٥٥

واعلم أن المراد بالسجع هو المتكلف من الكلام ، فان ذلك لا يلائم الضراعة والذلة ، وإلا ففي الأدعية المأثورة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمات متوازنة لكنها غير متكلفة كقوله صلى الله عليه وسلم [١] « أَسْأَلُكَ الْأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ . وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ الْمُوفِينَ بِالْعُهُودِ إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ » وأمثال ذلك . فليقتصر على المأثور من الدعوات ، أو ليلتمس بلسان التضرع والخشوع من غير سجع وتكلف ، فالتضرع هو المحبوب عند الله عز وجل

السادس : التضرع والخشوع ، والرغبة والرهبة ، قال الله تعالى (إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا [١]) وقال عز وجل: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً [٢]) وقال صلى الله عليه وسلم [٢] « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا ابْتَلَاهُ حَتَّى يَسْمَعَ تَضَرُّعَهُ »

السابع : أن يجزم الدعاء ، ويوقن بالاجابة ، ويصدق رجاءه فيه ، قال صلى الله عليه وسلم [٣] « لَا يَقُلْ أَحَدُكُمْ إِذَا دَعَا اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ لِيَعْزِمَ الْمَسْأَلَةَ فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ » وقال صلى الله عليه وسلم [٤] إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ » وقال صلى الله عليه وسلم [٥] « ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالْإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ » وقال سفيان بن عيينة . لا يمنعن أحدكم

---

(١) حديث أسألك الأمن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود الموفين بالعهود انك رحيم ودود وانك تفعل ماتريد : ت من حديث ابن عباس سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ليلة حين فرغ من صلاته فذكر حديثا طويلا من جملته هذا وقال حديث غريب انتهى وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى سيء الحفظ

(٢) حديث إذا أحب الله عبد ابتلاه حتى يسمع تضرعه : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث أنس اذا أحب الله عبدا صب عليه البلاء صبا ـ الحديث : وفيه دعه فاني أحب أن أسمع صوته وللطبراني من حديث أبي أمامة ان الله يقول للملائكة انطلقوا إلى عبدي فصبوا عليه البلاء الحديث : وفيه فاني أحب أن أسمع صوته وسندهما ضعيف

(٣) حديث لايقل أحدكم اللهم اغفرلي ان شئت اللهم ارحمني ان شئت ليعزم المسألة فانه لامكره له : متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٤) حديث اذا دعا أحدكم فليعظم الرغبة فان الله لايتعاظمه شيء : حب من حديث أبي هريرة

(٥) حديث ادعوا الله وأنتم موقنون بالاجابة واعلموا أن الله لايستجيب دعاء من قلب غافل : ت من حديث أبي هريرة وقال غريب : و ك وقال مستقيم الاسناد تفرد به صالح المري وهو أحد زهاد البصرة قلت لكنه ضعيف في الحديث

---

(١) الانبياء : ٩٠ (٢) الاعراف : ٥٥

من الدعاء ما يعلم من نفسه ، فان الله عز وجل أجاب دعاء شر الخلق ابليس لعنه الله ، إذ قال (رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ [1])

الثامن : أن يلح في الدعاء ، ويكرره ثلاثا ، قال ابن مسعود كان عليه السلام [1] « إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا » وينبغي أن لا يستبطىء الإجابة لقوله صلى الله عليه وسلم [2] « يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ فَيَقُولُ قَدْ دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي فَإِذَا دَعَوْتَ فَاسْأَلِ اللهَ كَثِيرًا فَإِنَّكَ تَدْعُو كَرِيمًا » وقال بعضهم . انى أسأل الله عز وجل منذ عشرين سنة حاجة وما أجابني وأنا أرجو الاجابة، سألت الله تعالى أن يوفقني لترك مالا يعنيني، وقال صلى الله عليه وسلم [3] « إِذَا سَأَلَ أَحَدُكُمْ رَبَّهُ مَسْأَلَةً فَتَعَرَّفَ الْإِجَابَةَ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ وَمَنْ أَبْطَأَ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ »

التاسع : أن يفتتح الدعاء بذكر الله عز وجل ، فلا يبدأ بالسؤال. قال سلمة بن الأكوع : « مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [4] يَسْتَفْتِحُ الدُّعَاءَ إِلَّا اسْتَفْتَحَهُ بِقَوْلِ سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ » وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله ، من أراد أن يسأل الله حاجة ، فليبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم يسأله حاجته ، ثم يختم بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، فان الله عز وجل يقبل الصلاتين ، وهو أكرم من أن يدع ما بينهما ، وروى في الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم [5] أنه قال « إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ حَاجَةً فَابْتَدِئُوا بِالصَّلَاةِ عَلَيَّ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ فَيَقْضِي إِحْدَاهُمَا وَيَرُدُّ الْأُخْرَى » رواه أبو طالب المكي

---

(١) حديث ابن مسعود كان صلى الله عليه وسلم اذا دعا دعا ثلاثا واذا سأل سأل ثلاثا: رواه مسلم وأصله: متفق عليه

(٢) حديث يستجاب لاحدكم مالم يعجل فيقول دعوت فلم يستجب لى : متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٣) حديث اذا سأل أحدكم مسألة فتعرف الاجابة فليقل الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ومن أبطأ عنه من ذلك شيء فليقل الحمد لله على كل حال: البيهقي فى الدعوات من حديث أبي هريرة وللحاكم نحوه من حديث عائشة مختصرا باسناد ضعيف

(٤) حديث سلمة بن الاكوع ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الدعاء الااستفتحه وقال سبحان ربي العلى الأعلى الوهاب : أحمد و ك وقال صحيح الأسناد قلت فيه عمر بن راشد اليمامي ضعفه الجمهور

(٥) حديث اذا سألتم الله حاجة فابدءوا بالصلاة على فان الله تعالى أكرم من أن يسأل حاجتين فيعطى احداهما ويرد الاخرى: لم أجده مرفوعا وانما هو موقوف على أبي الدرداء

---

(١) الأعراف : ١٤ ، ١٥

العاشر : وهو الأدب الباطن ، وهو الأصل فى الاجابة ، التوبة ورد المظالم والاقبال على الله عز وجل بكنه الهمة ، فذلك هو السبب القريب فى الاجابة ،فيروى عن كعب الأحبار أنه قال : أصاب الناس قحط شديد على عهد موسى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فخرج موسى ببنى اسرائيل يستسقى بهم ، فلم يسقوا حتى خرج ثلاث مرات ولم يسقوا ، فأوحى الله عز وجل إلى موسى عليه السلام أنى لاأستجيب لك ولا لمن معك وفيكم نمّام ، فقال موسى يارب ومن هو حتى نخرجه من بيننا ، فأوحى الله عز وجل إليه ياموسى أنهاكم عن النميمة وأكون نماما ، فقال موسى لبنى اسرائيل توبوا إلى ربكم بأجمعكم عن النميمة فتابوا ، فأرسل الله تعالى عليهم الغيث ، وقال سعيد بن جبير . قحط الناس فى زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل فاستسقوا ، فقال الملك لبنى اسرائيل ليرسلنّ الله تعالى علينا السماء أو لنؤذينه ، قيل له وكيف تقدر أن تؤذيه وهو فى السماء . فقال . أقتل أولياءه وأهل طاعته ، فيكون ذلك أذى له فأرسل الله تعالى عليهم السماء.وقال سفيان الثورى بلغنى أن بنى اسرائيل قحطوا سبع سنين حتى أكلوا الميتة من المزابل ، وأكلوا الأطفال ، وكانوا كذلك يخرجون إلى الجبال يبكون ويتضرعون فأوحى الله عز وجل إلى أنبيائهم عليهم السلام ، لو مشيتم إلىّ بأقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ أيديكم عنان السماء ، وتكل ألسنتكم عن الدعاء،فانى لاأجيب لكم داعيا ، ولا أرحم لكم باكيا ، حتى تردوا المظالم إلى أهلها ، ففعلوا فمطروا من يومهم ، وقال مالك بن دينار أصاب الناس فى بنى إسرائيل قحط،فخرجوا مرارا فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم انكم تخرجون إلىّ بأبدان نجسة،وترفعون إلىّ أكفا قد سفكتم بها الدماء وملأتم بطونكم من الحرام،الآن قد اشتدّ غضبى عليكم ولن تزدادوا منى إلا بعدا ، وقال أبو الصديق الناجى خرج سليمان عليه السلام يستسقى فمرّ بنملة ملقاة على ظهرها ، رافعة قوائمها إلى السماء ، وهى تقول. اللهم انا خلق من خلقك،ولا غنى بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا ، فقال سليمان عليه السلام ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم . وقال الأوزاعى . خرج الناس يستسقون ، فقام فيهم بلال بن سعد . فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال يامعشر من حضر ألستم مقرّين بالاساءة ؟ فقالوا اللهم نعم ، فقال اللهم إنا قد سمعناك تقول (مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ[1]) وقد أقررنا بالاساءة فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا،اللهم فاغفر لنا وارحمنا واسقنا

---

(١) التوبة : ٩١

فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسقوا. وقيل لمالك بن دينار، ادع لنا ربك فقال أنكم تستبطئون المطر، وأنا أستبطئ الحجارة، وروى أن عيسى صلوات الله عليه وسلامه خرج يستسق فلما ضجروا قال لهم عيسى عليه السلام. من أصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم ولم يبق معه فى المفازة الا واحد، فقال له عيسى عليه السلام أمالك من ذنب؟ فقال والله ماعلمت من شىء غير أنى كنت ذات يوم أصلى، فمرت بى امرأة فنظرت إليها بعينى هذه فلما جاوزتنى أدخلت أصبعى فى عينى فانتزعتها واتبعت المرأة بها فقال له عيسى عليه السلام فادع الله حتى أؤمن على دعائك، قال فدعا فتجللت السماء سحابا، ثم صبت فسقوا. وقال يحي الغسانى. أصاب الناس قحط على عهد داود عليه السلام، فاختاروا ثلاثة من علمائهم، فخرجوا حتى يستسقوا بهم، فقال أحدهم. اللهم انك أنزلت فى توراتك أن نعفو عمن ظلمنا، اللهم إنا قد ظلمنا أنفسنا فاعف عنا، وقال الثانى. اللهم انك أنزلت فى توراتك أن نعتق أرقاءنا، اللهم انا أرقاؤك فاعتقنا، وقال الثالث. اللهم انك أنزلت فى توراتك أن لا نرد المساكين إذا وقفوا بأبوابنا، اللهم إنا مساكينك وقفنا ببابك فلا ترد دعاءنا فسقوا، وقال عطاء السلمى. منعنا الغيث فخرجنا نستسق، فاذا نحن بسعدون المجنون فى المقابر، فنظر إلى فقال ياعطاء أهذا يوم النشور أو بعثر مافى القبور؟ فقلت لا، ولكنا منعنا الغيث فخرجنا نستسق، فقال ياعطاء بقلوب أرضية أم بقلوب سماوية. فقلت بل بقلوب سماوية، فقال هيهات ياعطاء قل للمتبهرجين لا تتبهرجوا، فان الناقد بصير، ثم رمق السماء بطرفه، وقال الهى وسيدى ومولاى، لاتهلك بلادك بذنوب عبادك ولكن بالسر المكنون من أسمائك، وما وارت الحجب من آلائك إلا ماسقيتنا ماء غدقا فراتا تحي به العباد وتروى به البلاد، يامن هو على كل شىء قدير، قال عطاء فما استتم الكلام حتى أرعدت السماء وأبرقت، وجاءت بمطر كأفواه القرب، فولى وهو يقول

أفلح الزاهدون والعابدونا * إذ لمولاهم أجاعوا البطونا

أسهروا الأعين العليلة حبا * فانقضى ليلهم وهم ساهرونا

شغلتهم عبادة الله حتى * حسب الناس انفيهم جنونا

وقال ابن المبارك : قدمت المدينة فى عام شديد القحط فخرج الناس يستسقون فخرجت معهم: إذ أقبل غلام أسود عليه قطعتا خيش . قد اتزر باحداهما وألقى الأخرى على عاتقه فجلس إلى جنبي فسمعته يقول: الهى أخلقت الوجوه عندك كثرة الذنوب ومساوى الأعمال وقد حبست عنا غيث السماء لتؤدب عبادك بذلك ، فاسألك ياحليما ذا أناة ، يامن لا يعرف عباده منه إلا الجميل أن تسقيهم الساعة الساعة ، فلم يزل يقول الساعة الساعة حتى اكتست السماء بالغمام وأقبل المطر من كل جانب ، قال ابن المبارك فجئت إلى الفضيل فقال مالى أراك كئيبا فقلت أمر سبقنا اليه غيرنا فتولاه دوننا ، وقصصت عليه القصة فصاح الفضيل وخر مغشيا عليه

ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه استسقى بالعباس رضى الله عنه ، فلما فرغ عمر من دعائه قال العباس اللهم انه لم ينزل بلاء من السماء إلا بذنب ، ولم يكشف إلا بتوبة قد توجه بى القوم اليك لمكانى من نبيك صلى الله عليه وسلم ، وهذه أيدينا اليك بالذنوب ، ونواصينا بالتوبة ، وأنت الراعى لا تهمل الضالة ، ولا تدع الكسير بدار مضيعة فقد ضرع الصغير ورق الكبير وارتفعت الأصوات بالشكوى ، وأنت تعلم السر وأخفى ، اللهم فاغثهم بغياثك قبل أن يقنطوا فيهلكوا ، فانه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون ، قال فما تم كلامه حتى ارتفعت السماء مثل الجبال

فضيلة الصلاة على رسول الله

صلى الله عليه وسلم وفضله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى : (إِنَّ اللهَ وَمَلاَئِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا [1]) وروى أنه صلى الله عليه وسلم [1] « جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالْبُشْرَى تُرَى فِي وَجْهِهِ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : إِنَّهُ جَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ أَمَا تَرْضَى يَا مُحَمَّدُ أَنْ لاَ يُصَلِّيَ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ صَلاَةً وَاحِدَةً إِلاَّ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْراً وَلاَ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ

---

(١) حديث انه صلى الله عليه وسلم جاء ذات يوم والبشرى تري فى وجهه فقال انه جاءنى جبريل عليه الصلاة والسلام فقال مارضى يامحمد أن لايصلى عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرا ولا يسلم عليك أحد من أمتك الا سلمت عليه عشرا : ن و حب من حديث أبى طلحة باسناد جيد

(١) الاحزاب : ٥٦

إِلاَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا » وقال صلى الله عليه وسلم : (١) « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّتْ عَلَيْهِ الْمَلاَئِكَةُ مَا صَلَّى عَلَيَّ فَلْيُقِلَّ عِنْدَ ذٰلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٢) « إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاَةً » وقال صلى الله عليه وسلم : (٣) « بِحَسْبِ الْمُؤْمِنِ مِنَ الْبُخْلِ أَنْ أُذْكَرَ عِنْدَهُ فَلاَ يُصَلِّي عَلَيَّ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٤) « أَكْثِرُوا مِنَ الصَّلاَةِ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٥) « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي كُتِبَ لَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ وَمُحِيَتْ عَنْهُ عَشْرُ سَيِّئَاتٍ » وقال صلى الله عليه وسلم : (٦) « مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْأَذَانَ وَالْإِقَامَةَ اللَّهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ وَأَعْطِهِ الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ وَالدَّرَجَةَ الرَّفِيعَةَ وَالشَّفَاعَةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) حديث من صلى على صلت عليه الملائكة ما صلى فليقلل عبد من ذلك أو ليكثر : ه من حديث عامر ابن ربيعة باسناد ضعيف والطبرانى فى الاوسط باسناد حسن

(٢) حديث ان أولى الناس بى أكثرهم على صلاة : ت من حديث ابن مسعود وقال حسن غريب وحب

(٣) حديث بحسب امرىء من البخل ان أذكر عنده فلا يصلى على : قاسم بن أصبغ من حديث الحسن ابن على هكذا : و ن وحب من حديث أخيه الحسن البخيل. من ذكرت عنده فلم يصل على ورواه ت من رواية الحسين بن علي عن أبيه وقال حسن صحيح

(٤) حديث أكثروا على من الصلاة يوم الجمعة : د ن ه حب ك وقال صحيح على شرط خ من حديث أوس بن أوس وذكره بن أبى حاتم فى العلل وحكى عن أبيه أنه حديث منكر

(٥) حديث من صلى على من أمتى كتبت له عشر حسنات ومحيت عنه عشر سيئات : ن فى اليوم والليلة من حديث عمرو بن دينار وزاد فيه مخلصا من قلبه صلى الله عليه بها عشر صلوات ورفعه بها عشر درجات وله فى السير ولابن حبان من حديث أنس نحوه دون قوله مخلصا من قلبه ودون ذكر محو السيئات ولم يذكر ابن حبان أيضا رفع الدرجات

(٦) حديث من قال حين يسمع الأذان والاقامة اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة صل على محمد عبدك ورسولك واعطه الوسيلة والفضيلة والشفاعة يوم القيامة حلت له شفاعتى : البخارى من حديث جابر دون ذكر الاقامة والشفاعة والصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم وقال النداء وللمستغفرى فى الدعوات حين يسمع الدعاء للصلاة وزاد ابن وهب ذكر الصلاة والشفاعة فيه بسند ضعيف وزاد الحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة من حديث أبى الدرداء ذكر الصلاة فيه وله وللمستغفرى فى الدعوات بسند ضعيف من حديث أبى رافع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سمع الأذان فذكر حديثا فيه واذا قال قد قامت الصلاة قال اللهم رب هذه الدعوة التامة ــ الحديث : وزاد وتقبل شفاعته فى أمته ولمسلم من حديث عبد الله بن عمرو اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل مايقول ثم صلوا على ثم سلوا الله لى الوسيلة وفيه فمن سأل لى الوسيلة حلت عليه الشفاعة

(١) « مَنْ صَلَّى عَلَيَّ فِي كِتَابٍ لَمْ تَزَلِ الْمَلَائِكَةُ يَسْتَغْفِرُونَ لَهُ مَادَامَ اسْمِي فِي ذَلِكَ الْكِتَابِ »
وقال صلى الله عليه وسلم (٢) « إِنَّ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلَامَ »
وقال صلى الله عليه وسلم (٣) « لَيْسَ أَحَدٌ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ »
(٤) وقيل له يارسول الله كيف نصلى عليك فقال « قُولُوا اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ » وروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه سمع بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم يبكى ويقول بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد كان جذع تخطب الناس عليه فلما كثر الناس اتخذت منبرا لتسمعهم (٥) فحن الجذع لفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن فامتك كانت أولى بالحنين إليك لما فارقتهم بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن جعل طاعتك طاعته فقال عز وجل (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ (١))

---

(١) حديث من صلى على فى كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمى فى ذلك الكتاب : الطبرانى فى الأوسط وأبو الشيخ فى الثواب والمستغفرى فى الدعوات من حديث أبى هريرة بسند ضعيف

(٢) حديث ان فى الارض ملائكة سياحين يبلغونى عن أمتى السلام : تقدم فى آخر الحج

(٣) حديث ليس أحد يسلم على الا رد الله على روحى حتى أرد عليه السلام : د من حديث أبى هريرة بسند جيد

(٤) حديث قيل له يارسول الله كيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله وأزواجه وذريته الحديث : متفق عليه من حديث أبى حميد الساعدى

(٥) حديث عمر فى حنين الجذع ونبع الماء من بين أصابعه والاسراء به على البراق الى السماء السابعة ثم صلاة الصبح من ليلته بالابطح وكلام الشاة المسمومة وانه دمى وجهه وكسرت رباعيته فقال اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون وانه لبس الصوف وركب الحمار وأردف خلفه ووضع طعامه بالارض ولعق أصابعه : وهو غريب بطوله من حديث عمر وهو معروف من أوجه أخرى . فحديث حنين الجذع : متفق عليه من حديث جابر وابن عمر . وحديث نبع الماء من بين أصابعه : متفق عليه من حديث أنس وغيره . وحديث الاسراء : متفق عليه من حديث أنس دون ذكر صلاة الصبح بالابطح . وحديث كلام الشاة المسمومة : رواه د من حديث جابر وفيه انقطاع . وحديث أنه دمى وجهه وكسرت رباعيته : متفق عليه من حديث سهل بن سعد فى غزوة أحد . وحديث اللهم اغفر لقومى فانهم لايعلمون رواه البيهقى فى دلائل النبوة : والحديث فى الصحيح من حديث ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم حكاه عن نبى من الانبياء ضربه قومه . وحديث لبس الصوف رواه الطيالسى من حديث سهل بن سعد . وحديث ركوبه الحمار وارداف خلفه : متفق عليه من حديث أسامة بن زيد . وحديث وضع طعامه بالارض : رواه أحمد فى الزهد من حديث الحسن مرسلا وللبخارى من حديث أنس ما أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان قط . وحديث لعقه أصابعه رواه مسلم من حديث كعب بن مالك وأنس بن مالك

بأبى أنت وأمى يا رسول الله ، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أخبرك بالعفو عنك قبل أن يخبرك بالذنب، فقال تعالى: (عَفَا اللهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ [١]) بأبى أنت وأمى يارسول الله، لقد بلغ من فضيلتك عنده أن بعثك آخر الأنبياء وذكرك فى أولهم، فقال عز وجل :(وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ [٢])الآية، بأبى أنت وأمى يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده أن أهل النار يودون أن يكونوا قد أطاعوك وهم بين أطباقها يعذبون (يَقُولُونَ يَالَيْتَنَا أَطَعْنَا اللهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا [٣]) بأبى أنت وأمى يارسول الله ، لئن كان موسى بن عمران أعطاه الله حجرا تتفجر منه الأنهار فماذا بأعجب من أصابعك حين نبع منها الماء صلى الله عليك بأبى أنت وأمى يارسول الله ؛ لئن كان سليمان بن داود أعطاه الله الريح غدوّها شهر ورواحها شهر فماذا بأعجب من البراق حين سريت عليه إلى السماء السابعة ثم صليت الصبح من ليلتك بالأبطح صلى الله عليك، بأبى أنت وأمى يارسول الله،لئن كان عيسى بن مريم أعطاه الله إحياء الموتى فماذا بأعجب من الشاة المسمومة حين كلمتك وهى مشوية فقالت لك الذراع لاتأكلنى فانى مسمومة، بأبى أنت وأمى يارسول الله .لقد دعا نوح على قومه فقال (رَبِّ لَاتَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا [٤]) ولودعوت علينا بمثلها لهلكنا كلنا فلقد وطىء ظهرك وأدمى وجهك وكسرت رباعيتك فأبيت أن تقول إلا خيرا، فقلت« اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَايَعْلَمُونَ » بأبى أنت وأمى يارسول الله، لقد اتبعك فى قلة سنك وقصر عمرك مالم يتبع نوحا فى كثرة سنه وطول عمره، ولقد آمن بك الكثير وما آمن معه إلا القليل، بأبى أنت وأمى يارسول الله،لولم تجالس إلا كفؤا لك ماجالستنا: ولولم تنكح إلا كفؤا لك مانكحت إلينا، ولولم تؤاكل إلا كفؤا لك ماواكلتنا، فلقدوالله جالستنا ونكحت إلينا وواكلتنا، ولبست الصوف، وركبت الحمار، وأردفت خلفك، ووضعت طعامك على الأرض، ولعقت أصابعك تواضعا منك صلى الله عليك وسلم، وقال بعضهم كنت أكتب الحديث وأصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فيه ولا أسلم، فرأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقال لى، أما تتم الصلاة على فى كتابك فما كتبت بعد ذلك إلا صليت وسلمت عليه، وروى عن أبى الحسن قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام فقلت يارسول الله بم جوزى الشافعى عنك حيث يقول فى كتابه الرسالة وصلى الله على محمد كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، فقال صلى الله عليه وسلم جوزى عنى أنه لا يوقف للحساب

---

(١) التوبة : ٤٣ (٢) الأحزاب : ٧ (٣) الأحزاب : ٦٦ (٤) نوح : ٢٦

فضيلة الاستغفار

قال الله عز وجل: (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ [١]) وقال علقمة والاسود قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنهم فى كتاب الله عز وجل آيتان ما أذنب عبد ذنبا فقرأهما واستغفر الله عز وجل إلا غفر الله تعالى له (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ [٢]) الآية وقوله عز وجل (وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا [٣]) وقال عز وجل (فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا [٤]) وقال تعالى (وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ [٥]) وكان صلى الله عليه وسلم : [١] يكثر أن يقول « سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ » وقال صلى الله عليه وسلم : [٢] « مَنْ أَكْثَرَ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ جَعَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ مِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا وَمِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا وَرَزَقَهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ » وقال صلى الله عليه وسلم : [٣] « إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً » هذا مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وقال صلى الله عليه وسلم : [٤] « إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي حَتَّى إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ » وقال صلى الله عليه وسلم : [٥] « مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِهِ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ غَفَرَ اللَّهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ أَوْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ أَوْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ أَوْ عَدَدَ أَيَّامِ الدُّنْيَا » وقال صلى الله عليه وسلم

---

(١) حديث كان النبي صلى الله عليه وسلم يكثر أن يقول سبحانك اللهم وبحمدك اللهم اغفر لى انك أنت التواب الرحيم : الحاكم من حديث ابن مسعود وقال صحيح ان كان أبو عبيدة سمع من أبيه. والحديث متفق عليه من حديث عائشة انه كان يكثر أن يقول ذلك فى ركوعه وسجوده دون قوله انك أنت التواب الرحيم

(٢) حديث من أكثر من الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل غم مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب : د ن فى اليوم والليلة ه ك وقال صحيح الاسناد من حديث ابن عباس وضعفه ابن حبان

(٣) حديث انى لأستغفر الله وأتوب اليه فى اليوم سبعين مرة : خ من حديث أبى هريرة الا أنه قال أكثر من سبعين وهو فى الدعاء للطبرانى كما ذكره المصنف

(٤) حديث انه ليغان على قلبي حتى انى لاستغفر الله فى كل يوم مائة مرة : م من حديث الاغر

(٥) حديث من قال حين يأوى الى فراشه أستغفر الله الذى لا اله الا هو الحى القيوم وأتوب اليه ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وان كانت مثل زبد البحر ـ الحديث : ت من حديث أبى سعيد وقال غريب لا نعرفه الا من حديث عبد الله بن الوليد الوصافى قلت الوصافى وان كان ضعيفا فقد تابعه عليه عصام بن قدامة وهو ثقة . رواه خ فى التاريخ دون قوله حين يأوى الى فراشه وقوله ثلاث مرات

(١، ٢) آل عمران : ١٣٥ (٣) النساء : ١١٠ (٤) النصر : ٣ (٥) آل عمران : ١٧

(١) فى حديث آخر . « مَنْ قَالَ ذَلِكَ غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَ فَارًّا مِنَ الزَّحْفِ » وقال حذيفة (٢) كنت ذَرِب اللسان على أهلى ، فقلت يارسول الله لقد خشيت أن يدخلنى لسانى النار ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم « فَأَيْنَ أَنْتَ مِنَ الاِسْتِغْفَارِ ، فَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ » ، وقالت عائشة رضى الله عنها قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣) « إِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِى اللهَ وَتُوبِى إِلَيْهِ . فَإِنَّ التَّوْبَةَ مِنَ الذَّنْبِ النَّدَمُ وَالاِسْتِغْفَارُ » وكان صلى الله عليه وسلم (٤) يقول فى الاستغفار « اللَّهُمَّ اغْفِرْلِى خَطِيئَتِى وَجَهْلِى وَإِسْرَافِى فِى أَمْرِى وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى اللَّهُمَّ اغْفِرْلِى هَزْلِى وَجِدِّى وَخَطَايَ وَعَمْدِى وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِى اللَّهُمَّ اغْفِرْلِى مَاقَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّى أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » وقال على رضى الله عنه كنت رجلا إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا نفعنى الله عز وجل بماشاء أن ينفعنى منه ، وإذا حدثنى أحد من أصحابه استحلفته فاذا حلف صدقته ، قال وحدثنى أبو بكر وصدق أبو بكر رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) « يَقُولُ مَامِنْ عَبْدٍ يُذْنِبُ ذَنْباً فَيُحْسِنُ الطُّهُورَ ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّى رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ يَسْتَغْفِرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ غُفِرَ لَهُ » ثُمَّ تلا قوله عَزَّ وَجَلَّ (وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ (١)) الآية .

---

(١) حديث من قال ذلك غفرت ذنوبه وان كان فارا من الزحف : د ت من حديث زيد مولى النبى صلى الله عليه وسلم وقال غريب . قلت ورجاله موثقون ورواه ابن مسعود و ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط الشيخين

(٢) حديث حذيفة كنت ذرب اللسان على أهلى ــ الحديث : وفيه أين أنت عن الاستغفار : ن فى اليوم والليلة و ه ك وقال صحيح على شرط الشيخين

(٣) حديث عائشة ان كنت ألممت بذنب فاستغفرى الله فان التوبة من الذنب الندم والاستغفار : متفق عليه دون قوله فان التوبة الخ وزاد أو توبى اليه فان العبد اذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه : وللطبرانى فى الدعاء فان العبد اذا أذنب ثم استغفر الله غفر له

(٤) حديث كان يقول اللهم اغفرلى خطيئتى وجهلى واسرافى فى أمرى وما أنت أعلم به منى اللهم اغفرلى جدى وهزلى : متفق عليه من حديث أبى موسى واللفظ لمسلم

(٥) حديث على عن أبى بكر ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلى ركعتين ثم يستغفر الله الا غفر الله له أصحاب السنن وحسنه ت

(١) آل عمران : ١٣٥

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم[١] أنه قال « إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ مِنْهَا فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّى تَغْلِفَ قَلْبَهُ فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي كِتَابِهِ : ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ[١]﴾ وروى أبي هريرة رضى الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم[٢] قال : « إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَيَرْفَعُ الدَّرَجَةَ لِلْعَبْدِ فِي الْجَنَّةِ فَيَقُولُ يَا رَبِّ أَنَّى لِي هَـٰذِهِ فَيَقُولُ عَزَّ وَجَلَّ بِاسْتِغْفَارِ وَلَدِكَ لَكَ » وروت عائشة رضى الله عنها أنه صلى الله عليه وسلم[٣] قال : « اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا اسْتَبْشَرُوا وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا » وقال صلى الله عليه وسلم :[٤] « إِذَا أَذْنَبَ الْعَبْدُ ذَنْبًا فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي فَيَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَأْخُذُ بِالذَّنْبِ وَيَغْفِرُ الذَّنْبَ عَبْدِي اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ » وقال صلى الله عليه وسلم :[٥] « مَا أَصَرَّ مَنِ اسْتَغْفَرَ وَإِنْ عَادَ فِي الْيَوْمِ سَبْعِينَ مَرَّةً » وقال صلى الله عليه وسلم :[٦] « إِنَّ رَجُلًا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ إِنَّ لِي رَبًّا يَا رَبِّ فَاغْفِرْ لِي فَقَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ غَفَرْتُ لَكَ » وقال صلى الله عليه وسلم :[٧] « مَنْ أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ اللهَ قَدِ اطَّلَعَ عَلَيْهِ غُفِرَ لَهُ وَإِنْ لَمْ يَسْتَغْفِرْ »

---

(١) حديث أبي هريرة ان المؤمن اذا أذنب ذنبا كانت نكتة سوداء فى قلبه فان تاب ونزع واستغفر صقل قلبه ــ الحديث : ت وصححه و ن فى اليوم والليلة و ه حب ك

(٢) حديث أبي هريرة ان الله ليرفع العبد الدرجة فى الجنة فيقول يارب أنى لى هذه فيقول باستغفار ولدك لك : رواه أحمد باسناد حسن

(٣) حديث عائشة اللهم اجعلنى من الذين اذا أحسنوا استبشروا واذا أساءوا استغفروا : ه وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه

(٤) حديث اذا أذنب العبد فقال اللهم اغفرلى يقول الله أذنب عبدى ذنبا فعلم أن له ربا يأخذ بالذنب ويغفر الذنب ــ الحديث : متفق عليه من حديث أبي هريرة

(٥) حديث ماأصر من استغفر وان عاد فى اليوم سبعين مرة : د.ت من حديث أبي بكر وقال غريب وليس اسناده بالقوى

(٦) حديث ان رجلا لم يعمل خيرا قط نظر الى السماء فقال ان لى ربا يارب اغفرلى فقال الله تعالى قد غفرت لك لم أقف له على أصل

(٧) حديث من أذنب فعلم أن الله قد اطلع عليه غفر له وان لم يستغفر : الطبرانى فى الأوسط من حديث ابن مسعود بسند ضعيف

(١) المطففين : ١٤

وقال صلى الله عليه وسلم:[١] « يَقُولُ اللهُ تَعَالَى يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ مُذْنِبٌ إِلَّا مَنْ عَافَيْتُهُ فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ وَمَنْ عَلِمَ أَنِّي ذُو قُدْرَةٍ عَلَى أَنْ أَغْفِرَ لَهُ غَفَرْتُ لَهُ وَلَا أُبَالِي » وقال صلى الله عليه وسلم[٢] « مَنْ قَالَ سُبْحَانَكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَعَمِلْتُ سُوءًا فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ غَفَرْتُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَلَوْ كَانَتْ كَمَدَبِّ النَّمْلِ » وروى[٣] أن أفضل الاستغفار « اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ عَلَى نَفْسِي بِذَنْبِي فَقَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي مَا قَدَّمْتُ مِنْهَا وَمَا أَخَّرْتُ فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِلَّا أَنْتَ »

الآثار: قال خالد بن معدان يقول الله عز وجل ان أحب عبادى إلى المتحابون بحبى ، والمتعلقة قلوبهم بالمساجد . والمستغفرون بالاسحار ، أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم ، وصرفت العقوبة عنهم ، وقال قتادة رحمه الله القرءان يدلكم على دائكم ودوائكم ، أما داؤكم فالذنوب ، وأما دواؤكم فالاستغفار ، وقال على كرم الله وجهه . العجب ممن يهلك ومعه النجاة ، قيل وما هى قال الاستغفار ، وكان يقول : ما ألهم الله سبحانه عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه ، وقال الفضيل . قول العبد أستغفر الله ، تفسيرها أقلنى وقال بعض العلماء . العبد بين ذنب ونعمة لا يصلحهما إلا الحمد والاستغفار ، وقال الربيع بن خيثم رحمه الله لا يقولن أحدكم أستغفر الله وأتوب اليه فيكون ذنباً وكذبا إن لم يفعل ، ولكن ليقل اللهم اغفرلى وتب علىّ ، وقال الفضيل ، رحمه الله . الاستغفار بلا إقلاع توبة الكذابين ،

---

(١) حديث يقول الله ياعبادى كلكم مذنب الا من عافيته فاستغفرونى أغفر لكم ومن علم انى ذو قدرة على أن أغفر له غفرت له ولا أبالى : ت ه من حديث أبى ذر وقال ت حسن وأصله عند م بلفظ آخر

(٢) حديث من قال سبحانك ظلمت نفسى وعملت سوءا فاغفرلى انه لايغفر الذنوب الا أنت غفرت ذنوبه وان كانت كدب النمل : البيهقى فى الدعوات من حديث على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ألا أعلمك كلمات تقولهن لو كان عليك كعدد النمل أو كعدد الذر ذنوبا غفرها الله لك فذكره بزيادة لااله الا أنت فى أوله وفيه ابن لهيعة

(٣) حديث أفضل الاستغفار اللهم أنت ربى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت ـ الحديث : خ من حديث شداد بن أوس دون قوله وقد ظلمت نفسى واعترفت بذنبى ودون قوله ذنوبى ماقدمت منها وما أخرت ودون قوله جميعا

وقالت رابعة العدوية رحمها الله : استغفارنا يحتاج إلى استغفار كثير ، وقال بعض الحكماء من قدّم الاستغفار على الندم كان مستهزئا بالله عز وجل وهو لا يعلم ، وسمع أعرابى وهو متعلق بأستار الكعبة يقول . اللهم إن استغفارى مع إصرارى للؤم ، وان تركى استغفارك مع علمى بسعة عفوك لعجز ، فكم تتحبب إلىَّ بالنعم مع غناك عنى ، وكم أتبغض اليك بالمعاصى مع فقرى اليك ، يامن إذا وعد وفى ، وإذا أوعد عفا ؛ أدخل عظيم جرمى فى عظيم عفوك ياأرحم الراحمين ، وقال أبو عبد الله الوراق . لوكان عليك مثل عدد القطر وزبد البحر ذنوبا لمحيت عنك إذا دعوت ربك بهذا الدعاء مخلصا ان شاء الله تعالى . اللهم انى أستغفرك من كل ذنب تبت اليك منه ثم عدت فيه ، وأستغفرك من كل ما وعدتك به من نفسى ولم أوف لك به ، وأستغفرك من كل عمل أردت به وجهك فخالطه غيرك ، وأستغفرك من كل نعمة أنعمت بها علىَّ فاستعنت بها على معصيتك ، وأستغفرك يا عالم الغيب والشهادة من كل ذنب أتيته فى ضياء النهار وسواد الليل ، فى ملأ أو خلاء وسر وعلانية ، ياحليم . ويقال انه استغفار آدم عليه السلام وقيل الخضر عليه الصلاة والسلام

الباب الثالث

فى أدعية مأثورة ومعزية إلى أسبابها وأربابها

مما يستحب أن يدعو بها المرء صباحاً ومساء وبعقب كل صلاة

فمنها : دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ركعتى الفجر ، قال ابن عباس رضى الله عنهما بعثنى العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتيته ممسيا وهو فى بيت خالتى ميمونة ، فقام يصلى من الليل فلما صلى ركعتى الفجر قبل صلاة الصبح[1] قال : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِي بِهَا قَلْبِي وَتَجْمَعُ بِهَا شَمْلِي وَتَلُمُّ بِهَا شَعَثِي وَتَرُدُّ بِهَا الْفِتَنَ عَنِّي وَتُصْلِحُ بِهَا دِينِي وَتَحْفَظُ بِهَا غَائِبِي وَتَرْفَعُ بِهَا شَاهِدِي وَتُزَكِّي بِهَا عَمَلِي وَتُبَيِّضُ بِهَا وَجْهِي وَتُلْهِمُنِي بِهَا رُشْدِي

الباب الثالث فى أدعية مأثورة

(١) حديث ابن عباس اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبي وتجمع بها شملى وتلم بها شعثى ـ الحديث : ت وقال غريب ولم يذكر فى أوله بعث العباس لابنه عبد الله ولا نومه فى بيت ميمونة وهو بهذه الزيادة فى الدعاء للطبرانى

وَتَعْصِمُنِي بِهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ . اللَّهُمَّ أَعْطِنِي إِيمَانًا صَادِقًا وَيَقِينًا لَيْسَ بَعْدَهُ كُفْرٌ وَرَحْمَةً أَنَالُ بِهَا شَرَفَ كَرَامَتِكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْفَوْزَ عِنْدَ الْقَضَاءِ وَمَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَعَيْشَ السُّعَدَاءِ وَالنَّصْرَ عَلَى الأَعْدَاءِ وَمُرَافَقَةَ الأَنْبِيَاءِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أُنْزِلُ بِكَ حَاجَتِي وَإِنْ ضَعُفَ رَأْيِي وَقَلَّتْ حِيلَتِي وَقَصُرَ عَمَلِي وَافْتَقَرْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَأَسْأَلُكَ يَا كَافِيَ الأُمُورِ وَيَا شَافِيَ الصُّدُورِ كَمَا تُجِيرُ بَيْنَ الْبُحُورِ أَنْ تُجِيرَنِي مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ وَمِنْ دَعْوَةِ الثُّبُورِ وَمِنْ فِتْنَةِ الْقُبُورِ ، اللَّهُمَّ مَا قَصُرَ عَنْهُ رَأْيِي وَضَعُفَ عَنْهُ عَمَلِي وَلَمْ تَبْلُغْهُ نِيَّتِي وَأُمْنِيَّتِي مِنْ خَيْرٍ وَعَدْتَهُ أَحَدًا مِنْ عِبَادِكَ أَوْ خَيْرٍ أَنْتَ مُعْطِيهِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ فَإِنِّي أَرْغَبُ إِلَيْكَ فِيهِ وَأَسْأَلُكَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا هَادِينَ مُهْتَدِينَ غَيْرَ ضَالِّينَ وَلَا مُضِلِّينَ حَرْبًا لِأَعْدَائِكَ وَسِلْمًا لِأَوْلِيَائِكَ نُحِبُّ بِحُبِّكَ مَنْ أَطَاعَكَ مِنْ خَلْقِكَ وَنُعَادِي بِعَدَاوَتِكَ مَنْ خَالَفَكَ مِنْ خَلْقِكَ اللَّهُمَّ هَذَا الدُّعَاءُ وَعَلَيْكَ الإِجَابَةُ وَهَذَا الْجَهْدُ وَعَلَيْكَ التُّكْلَانُ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ ذِي الْحَبْلِ الشَّدِيدِ وَالأَمْرِ الرَّشِيدِ أَسْأَلُكَ الأَمْنَ يَوْمَ الْوَعِيدِ وَالْجَنَّةَ يَوْمَ الْخُلُودِ مَعَ الْمُقَرَّبِينَ الشُّهُودِ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ الْمُوفِينَ بِالْعُهُودِ إِنَّكَ رَحِيمٌ وَدُودٌ وَأَنْتَ تَفْعَلُ مَا تُرِيدُ، سُبْحَانَ الَّذِي لَبِسَ الْعِزَّ وَقَالَ بِهِ سُبْحَانَ الَّذِي تَعَطَّفَ بِالْمَجْدِ وَتَكَرَّمَ بِهِ، سُبْحَانَ الَّذِي لَا يَنْبَغِي التَّسْبِيحُ إِلَّا لَهُ، سُبْحَانَ ذِي الْفَضْلِ وَالنِّعَمِ، سُبْحَانَ ذِي الْعِزَّةِ وَالْكَرَمِ، سُبْحَانَ الَّذِي أَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ بِعِلْمِهِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ لِي نُورًا فِي قَلْبِي وَنُورًا فِي قَبْرِي وَنُورًا فِي سَمْعِي وَنُورًا فِي بَصَرِي وَنُورًا فِي شَعْرِي وَنُورًا فِي بَشَرِي وَنُورًا فِي لَحْمِي وَنُورًا فِي دَمِي وَنُورًا فِي عِظَامِي وَنُورًا مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَنُورًا مِنْ خَلْفِي وَنُورًا عَنْ يَمِينِي وَنُورًا عَنْ شِمَالِي وَنُورًا مِنْ فَوْقِي وَنُورًا مِنْ تَحْتِي اللَّهُمَّ زِدْنِي نُورًا وَأَعْطِنِي نُورًا وَاجْعَلْ لِي نُورًا

دعاء عائشة رضى الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم[1] لعائشة رضى الله عنها « عَلَيْكِ بِالْجَوَامِعِ الْكَوَامِلِ قُولِي اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ

---

(١) حديث قوله لعائشة عليك بالجوامع الكوامل قولى اللهم انى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ماعلمت منه وما لم أعلم ـ الحديث : هـ و ك وصححه من حديثها

عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَالَمْ أَعْلَمْ ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْتَعِيذُكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَسْأَلُكَ مَاقَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَداً بِرَحْمَتِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ »

دعاء فاطمة رضى الله عنها

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(١) « يَافَاطِمَةُ مَا يَمْنَعُكِ أَنْ تَسْمَعِي مَاأُوصِيكِ بِهِ أَنْ تَقُولِي يَا حَيُّ يَاقَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ »

دعاء أبي بكر الصديق رضى الله عنه

علَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم(٢) أبابكر الصديق رضى الله عنه أن يقول « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّكَ وَإِبْرَاهِيمَ خَلِيلِكَ وَمُوسَى نَجِيِّكَ وَعِيسَى كَلِمَتِكَ وَرُوحِكَ وَبِتَوْرَاةِ مُوسَى وَإِنْجِيلِ عِيسَى وَزَبُورِ دَاوُدَ وَفُرْقَانِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ وَبِكُلِّ وَحْيٍ أَوْحَيْتَهُ أَوْقَضَاءٍ قَضَيْتَهُ أَوْسَائِلٍ أَعْطَيْتَهُ أَوْغَنِيٍّ أَفْقَرْتَهُ أَوْفَقِيرٍ أَغْنَيْتَهُ أَوْضَالٍّ هَدَيْتَهُ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَهُ عَلَى مُوسَى صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي بَثَثْتَ بِهِ أَرْزَاقَ الْعِبَادِ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى الْأَرْضِ فَاسْتَقَرَّتْ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى السَّمٰوَاتِ فَاسْتَقَلَّتْ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى الْجِبَالِ فَرَسَتْ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي اسْتَقَلَّ بِهِ عَرْشُكَ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطُّهْرِ الطَّاهِرِ الْأَحَدِ الصَّمَدِ الْوِتْرِ الْمُنَزَّلِ فِي كِتَابِكَ مِنْ لَدُنْكَ مِنَ النُّورِ الْمُبِينِ وَأَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الَّذِي وَضَعْتَهُ عَلَى النَّهَارِ فَاسْتَنَارَ وَعَلَى اللَّيْلِ فَأَظْلَمَ وَبِعَظَمَتِكَ وَكِبْرِيَائِكَ وَبِنُورِ وَجْهِكَ الْكَرِيمِ أَنْ تَرْزُقَنِي الْقُرْآنَ وَالْعِلْمَ بِهِ وَتَخْلِطَهُ بِلَحْمِي وَدَمِي وَسَمْعِي وَبَصَرِي وَتَسْتَعْمِلَ بِهِ جَسَدِي بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ فَإِنَّهُ لَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّا بِكَ يَاأَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

---

(١) حديث يافاطمة مايمنعك أن تسمعى ماأوصيك به أن تقولى ياحى ياقيوم برحمتك أستغيث لاتكلنى الى نفسى طرفة عين وأصلح لى شأنى كله : ن فى اليوم والليلة و ك من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين

(٢) حديث علم رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه أن يقول اللهم انى أسألك بمحمد نبيك وابراهيم خليلك وموسى نجيك وعيسى كلمتك ـ الحديث : فى الدعاء لحفظ القرءان : رواه أبو الشيخ ابن حبان فى كتاب الثواب من رواية عبد الملك بن هارون بن عنترة عن أبيه أن أبا بكر أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى أتعلم القرءان ويتفلت منى فذكره وعبد الملك وأبوه ضعيفان وهو منقطع بين هارون وأبى بكر

دعاء بريدة الأسلمي رضي الله عنه

رُوِيَ أَنَّهُ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [١] يَا بُرَيْدَةُ أَلَا أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ مَنْ أَرَادَ اللهُ بِهِ خَيْرًا عَلَّمَهُنَّ إِيَّاهُ ثُمَّ لَمْ يُنْسِهِنَّ إِيَّاهُ أَبَدًا قَالَ فَقُلْتُ بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ قُلْ «اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّ فِي رِضَاكَ ضَعْفِي، وَخُذْ إِلَى الْخَيْرِ بِنَاصِيَتِي، وَاجْعَلِ الْإِسْلَامَ مُنْتَهَى رِضَايَ اللَّهُمَّ إِنِّي ضَعِيفٌ فَقَوِّنِي وَإِنِّي ذَلِيلٌ فَأَعِزَّنِي وَإِنِّي فَقِيرٌ فَأَغْنِنِي يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ»

دعاء قبيصه بن المخارق

إذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم [٢] علمني كلمات ينفعني الله عز وجل بها فقد كبرسني وعجزت عن أشياء كثيرة كنت أعملها فقال عليه السلام : « أَمَّا لِدُنْيَاكَ فَإِذَا صَلَّيْتَ الْغَدَاةَ فَقُلْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَهُنَّ أَمِنْتَ مِنَ الْغَمِّ وَالْجُذَامِ وَالْبَرَصِ وَالْفَالِجِ . وَأَمَّا لِآخِرَتِكَ فَقُلْ اللَّهُمَّ اهْدِنِي مِنْ عِنْدِكَ وَأَفِضْ عَلَيَّ مِنْ فَضْلِكَ وَانْشُرْ عَلَيَّ مِنْ رَحْمَتِكَ وَأَنْزِلْ عَلَيَّ مِنْ بَرَكَاتِكَ ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا إِنَّهُ إِذَا وَفَّى بِهِنَّ عَبْدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَمْ يَدَعْهُنَّ فُتِحَ لَهُ أَرْبَعَةُ أَبْوَابٍ مِنَ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ »

دعاء أبي الدرداء رضي الله عنه

قيل لأبي الدرداء رضي الله عنه [٣] قد احترقت دارك ، وكانت النار قد وقعت في محلته ، فقال ما كان الله ليفعل ذلك ، فقيل له ذلك ثلاثا وهو يقول . ما كان الله ليفعل ذلك ، ثم أتاه آت فقال يا أبا الدرداء . إن النار حين دنت من دارك طفئت ، قال قد علمت ذلك ، فقيل له ما ندري أي قوليك أعجب ، قال إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مَنْ يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فِي لَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ وَقَدْ قُلْتُهُنَّ وَهِيَ اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ

---

(١) حديث يا بريدة ألا أعلمك كلمات من أراد الله به خيرا علمهن اياه ـ الحديث : ك من حديث بريدة وقال صحيح الاسناد

(٢) حديث ان قبيصة بن المخارق قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم علمني كلمات ينفعني الله بها فقد كبرت سني وعجزت ـ الحديث : ابن السني في اليوم والليلة من حديث ابن عباس وهو عند أحمد في المسند مختصرا من حديث قبيصة نفسه وفيه رجل لم يسم

(٣) حديث قيل لأبي الدرداء أحرقت دارك فقال ما كان الله ليفعل ذلك ـ الحديث : الطبراني في الدعاء من حديث أبي الدرداء ضعيف

عَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَاحَوْلَ وَلَاقُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ مَاشَاءَ اللهُ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ أَعْلَمُ أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »

دعاء الخليل إبراهيم عليه الصلاة والسلام

كان يقول إذا أصبح . اللهم ان هذا خلق جديد فافتحه عَلَيَّ بطاعتك ، واختمه لى بمغفرتك ورضوانك ، وارزقنى فيه حسنة تقبلها منى ، وزكها وضعفها لى ، وما عملت فيه من سيئة فاغفرها لى إنك غفور رحيم ودود كريم . قال ومن دعا بهذا الدعاء إذا أصبح فقد أدى شكر يومه

دعاء عيسى صلى الله عليه وسلم

كان يقول . اللهم انى أصبحت لا أستطيع دفع ما أكره ولا أملك نفع ما أرجو ، وأصبح الأمر بيد غيرى . وأصبحت مرتهنا بعملى ، فلا فقير أفقر منى ، اللهم لا تشمت بى عدوى ، ولا تسؤ بى صديق ، ولا تجعل مصيبتى فى دينى ، ولا تجعل الدنيا أكبر همى ، ولا تسلط عليَّ من لا يرحمنى ياحى ياقيوم

دعاء الخضر عليه السلام

يقال إن الخضر والياس عليهما السلام إذا التقيا فى كل موسم لم يفترقا إلا عن هذه الكلمات بسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله ، ماشاء الله كل نعمة من الله، ماشاء الله الخير كله بيد الله ، ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله، فمن قالها ثلاث مرات إذا أصبح أمن من الحرق والغرق والسرق إن شاء الله تعالى

دعاء معروف الكرخى رضى الله عنه

قال محمد بن حسان . قال لى معروف الكرخى رحمه الله ، ألا أعلمك عشر كلمات . خمس للدنيا وخمس للآخرة ، من دعا الله عز وجل بهنّ وجد الله تعالى عندهنّ، قلت اكتبها لى ، قال لا ، ولكن أرددها عليك كما رددها عَلَيَّ بكر بن خنيس رحمه الله ، حسبى الله لدينى حسبى الله لدنياى، حسبى الله الكريم لما أهمنى ، حسبى الله الحليم القوى لمن بغى على ، حسبى الله الشديد لمن كادنى بسوء ، حسبى الله الرحيم عند الموت ، حسبى الله الرؤف عند المسألة فى القبر ،

حسبي الله الكريم عند الحساب ، حسبي الله اللطيف عند الميزان ، حسبي الله القدير عند الصراط ، حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم ، وقد روى عن أبي الدرداء أنه قال . من قال في كل يوم سبع مرات (فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ [1]) كفاه الله عز وجل ما أهمه ، من أمر آخرته صادقا كان أو كاذبا

دعاء عتبة الغلام

وقد رؤى فى المنام بعد موته فقال دخلت الجنة بهذه الكلمات ، اللهم ياهادى المضلين ، ويا راحم المذنبين ، ويامقيل عثرات العاثرين ارحم عبدك ذا الخطر العظيم والمسلمين كلهم أجمعين واجعلنا مع الأخيار والمرزوقين الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين آمين يا رب العالمين

دعاء آدم عليه الصلاة والسلام

قالت عائشة رضى الله عنها لما أراد الله عز وجل أن يتوب على آدم صلى الله عليه وسلم طاف بالبيت سبعا ؛ وهو يومئذ ليس بمبنى ربوة حمراء ، ثم قام فصلى ركعتين ثم قال ، اللهم إنك تعلم سرى وعلانيتي فاقبل معذرتى ، وتعلم حاجتى فاعطنى سؤلى ، وتعلم ما فى نفسى فاغفر لى ذنوبى ، اللهم إنى أسألك أيمانا يباشر قلبي ، ويقينا صادقاً حتى أعلم أنه لن يصيبنى إلا ما كتبته على ، والرضا بما قسمته لى ياذا الجلال والاكرام ، فأوحى الله عز وجل اليه أني قد غفرت لك ، ولم يأتنى أحد من ذريتك فيدعونى بمثل الذى دعوتنى به إلا غفرت له ، وكشفت غمومه وهمومه ، ونزعت الفقر من بين عينيه ، واتجرت له من وراء كل تاجر وجاءته الدنيا وهى راغمة وإن كان لا يريدها

دعاء على بن أبي طالب رضى الله عنه

رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم (١) أنه قال « إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُمَجِّدُ نَفْسَهُ كُلَّ يَوْمٍ وَيَقُولُ إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا الْحَيُّ الْقَيُّومُ ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا لَمْ أَلِدْ وَلَمْ أُولَدْ ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا الْعَفُوُّ الْغَفُورُ ، إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا مُبْدِئُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيَّ يَعُودُ ، الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ مَالِكُ يَوْمِ الدِّينِ خَالِقُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ

---

(١) حديث على ان الله تعالى يمجد نفسه كل يوم فيقول انى أنا الله رب العالمين انى أنا الله لا اله الا أنا الحى القيوم ـ الحديث : بطوله لم أجد له أصلا

[1] التوبة : ١٢٩

خَالِقُ ٱلْجَنَّةِ وَالنَّارِ ٱلْوَاحِدُ ٱلْأَحَدُ ٱلْفَرْدُ الصَّمَدُ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا ٱلْفَرْدُ ٱلْوِتْرُ عَالِمُ ٱلْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ السَّلَامُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ٱلْخَالِقُ ٱلْبَارِىءُ ٱلْمُصَوِّرُ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ٱلْمُقْتَدِرُ ٱلْقَهَّارُ ٱلْحَلِيمُ ٱلْكَرِيمُ أَهْلُ الثَّنَاءِ وَٱلْمَجْدِ أَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ، ٱلْقَادِرُ الرَّزَّاقُ فَوْقَ ٱلْخَلْقِ وَٱلْخَلِيقَةِ» .

وذكر قبل كل كلمة انى أنا الله لا إله إلا أنا كما أوردناه فى الأول ، فمن دعا بهذه الأسماء فليقل انك أنت الله لا إله إلا أنت كذا وكذا ، فمن دعا بهن كتب من الساجدين المخبتين ، الذين يجاورون محمدا وإبراهيم وموسى وعيسى والنبيين ، صلوات الله عليهم فى دار الجلال وله ثواب العابدين فى السموات والأرضين ، وصلى الله على محمد وعلى كل عبد مصطفى

دعاء ابن المعتمد وهو سليمان التيمى وتسبيحاته رضى الله عنه

روى أن يونس بن عبيد رأى رجلا فى المنام ممن قتل شهيدا ببلاد الروم، فقال ما أفضل ما رأيت ثَمَّ من الأعمال ،قال رأيت تسبيحات ابن المعتمر من الله عز وجل بمكان وهى هذه. سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، عدد ماخلق ، وعدد ماهو خالق ، وزنة ماخلق ، وزنة ماهو خالق ، وملء ماخلق ، وملء ما هو خالق ، وملء سمواته ، وملء أرضه ، ومثل ذلك وأضعاف ذلك ، وعدد خلقه وزنة عرشه ، ومنتهى رحمته، ومداد كلماته ، ومبلغ رضاه حتى يرضى ، وإذا رضى، وعدد ماذكره به خلقه فى جميع مامضى ، وعددِ ماهم ذاكروه فيما بقى فى كل سنة ، وشهر وجمعة ويوم وليلة وساعة من الساعات وشم ونفس من الأنفاس وأبد من الآباد من أبد إلى أبد أبد الدنيا وأبد الآخرة وأكثر من ذلك لاينقطع أوّله ولا ينفد آخره

دعاء إبراهيم بن أدهم رضى الله عنه

روى ابراهيم بن بشار خادمه أنه كان يقول هذا الدعاء فى كل يوم جمعة إذا أصبح وإذا أمسى ، مرحبا بيوم المزيد والصبح الجديد ، والكاتب والشهيد ، يومنا هذا يوم عيد ، اكتب لنا فيه مانقول ، بسم الله الحميد المجيد الرفيع الودود الفعال فى خلقه مايريد ، أصبحت بالله مؤمنا ، وبلقائه مصدقا ، وبحجته معترفا ، ومن ذنبى مستغفرا ، ولربوبية الله خاضعا ،

ولسوى الله فى الآلهة جاحدا ، وإلى الله فقيرا ، وعلى الله متكلا ، وإلى الله منيبا ، أشهد الله وأشهد ملائكته وأنبياءه ورسله وحملة عرشه ومن خلقه ومن هو خالقه ، بأنه هو الله الذى لا إله إلا هو وحده لاشريك له ،وأن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم تسليما،وان الجنة حق ، وأن النار حق ، والحوض حق، والشفاعة حق ، ومنكرا ونكيرا حق ،ووعدك حق ووعيدك حق ، ولقاءك حق ، والساعة آتية لاريب فيها ، وأن الله يبعث من فى القبور ، على ذلك أحيا وعليه أموت، وعليه أبعث إن شاء الله ، اللهم أنت ربى لا إله إلا انت خلقتنى وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك مااستطعت ، أعوذ بك اللهم من شر ماصنعت ومن شر كل ذى شر ، اللهم إنى ظلمت نفسى فاغفرلى ذنوبى فانه لايغفر الذنوب إلا أنت ، واهدنى لأحسن الأخلاق فانه لايهدى لأحسنها إلا أنت ، واصرف عنى سيئها فانه لا يصرف سيئها إلاأنت ، لبيك وسعديك ، والخير كله بيديك، أنا لك وإليك، أستغفرك وأتوب إليك ، آمنت اللهم بما أرسلت من رسول ، وآمنت اللهم بما أنزلت من كتاب ، وصلى الله على محمد النبي الأمى وعلى آله وسلم تسليما كثيرا، خاتم كلامى ومفتاحه وعلى أنبيائه ورسله أجمعين آمين يارب العالمين ، اللهم أوردنا حوض محمد ، واسقنا بكاسه مشربا رويا سائغا هنيا لانظمأ بعده أبدا ،واحشرنافى زمرته غير خزايا ولا ناكثين للعهد ولا مرتابين ولامفتونين ولامغضوب علينا ولاضالين ، اللهم اعصمنى من فتن الدنيا ووفقنى لما تحب وترضى وأصلح لى شأنى كله وثبتنى بالقول الثابت فى الحياة الدنيا و فى الآخرة ، ولاتضلنى وإن كنت ظالما سبحانك ياعلى ياعظيم ياباريء يارحيم ياعزيز ياجبار ،سبحان من سبحت له السموات باكنافها ، وسبحان من سبحت له البحار بأمواجها، وسبحان من سبحت له الجبال باصدائها ،وسبحان من سبحت له الحيتان بلغتها ، وسبحان من سبحت له النجوم فى السماء بأبراجها ، وسبحان من سبحت له الأشجار بأصولها وثمارها ، وسبحان من سبحت له السموات السبع والأرضون السبع ومن فيهن ومن عليهن ، سبحان من سبح له كل شيء من مخلوقاته تباركت وتعاليت سبحانك ، سبحانك ياحي ياقيوم يا عليم يا حليم ، سبحانك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك تحيي وتميت وأنت حى لا تموت بيدك الخير وأنت على كل شيء قدير

الباب الرابع

فى أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أصحابه رضى الله عنهم محذوفة الأسانيد منتخبة من جملة ما جمعه أبو طالب المكي وابن خزيمة وابن منذر رحمهم الله

يستحب للمريد إذا أصبح أن يكون أحب أوراده الدعاء كما سيأتى ذكره فى كتاب الأوراد ، فان كنت من المريدين لحرث الآخرة المقتدين برسول الله صلى الله عليه وسلم فيما دعا به فقل فى مفتتح دعواتك (١) أعقاب صلواتك (٢) « سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْوَهَّابِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » وقل (٣) « رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ » وقل (٤) « اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ » وقل (٥) « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ فِي دِينِي وَدُنْيَايَ وَأَهْلِي وَمَالِي ، اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي وَآمِنْ رَوْعَاتِي وَأَقِلْ عَثْرَاتِي وَاحْفَظْنِي مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ وَمِنْ خَلْفِي وَعَنْ يَمِينِي وَعَنْ شِمَالِي وَمِنْ فَوْقِي

﴿ الباب الرابع فى أدعية مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم ﴾

(١) حديث افتتاح الدعاء بسبحان ربى العلى الأعلى الوهاب : تقدم فى الباب الثانى فى الدعاء

(٢) حديث القول عقب الصلوات لااله الا الله وحده لاشريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير : متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة

(٣) حديث رضيت بالله ربا ـ الحديث : تقدم فى الباب الأول من الأذكار

(٤) حديث اللهم فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة رب كل شيء ومليكه أشهد أن لااله الاأنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه : د ت وصححه وحب ، ك وصححه من حديث أبى هريرة أن أبا بكر الصديق قال يارسول الله مرنى بكلمات أقولهن اذا أصبحت واذا أمسيت قال قل اللهم فذكره

(٥) حديث اللهم انى أسألك العافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالي اللهم استر عورتى وآمن روعتى وأقل عثرتى واحفظنى من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى ومن فوقى وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى : د ن ه ك من حديث ابن عمر قال لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يدع هؤلاء الكلمات حين يمسى وحين يصبح

وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُغْتَالَ مِنْ تَحْتِي، اللَّهُمَّ (١) لَا تُؤَمِّنِّي مَكْرَكَ وَلَا تُوَلِّنِي غَيْرَكَ وَلَا تَنْزِعْ عَنِّي سِتْرَكَ وَلَا تُنْسِنِي ذِكْرَكَ وَلَا تَجْعَلْنِي مِنَ الْغَافِلِينَ، وقل: اللَّهُمَّ (٢) أَنْتَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وقل: اللَّهُمَّ (٣) عَافِنِي فِي بَدَنِي وَعَافِنِي فِي سَمْعِي وَعَافِنِي فِي بَصَرِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَقُل: اللَّهُمَّ (٤) إِنِّي أَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَبَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَلَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ الْكَرِيمِ وَشَوْقًا إِلَى لِقَائِكَ مِنْ غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَعْتَدِيَ أَوْ يُعْتَدَى عَلَيَّ أَوْ أَكْسِبَ خَطِيئَةً أَوْ ذَنْبًا لَا تَغْفِرُهُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ (٥) الثَّبَاتَ فِي الْأَمْرِ وَالْعَزِيمَةَ فِي الرُّشْدِ، وَأَسْأَلُكَ شُكْرَ نِعْمَتِكَ وَحُسْنَ عِبَادَتِكَ، وَأَسْأَلُكَ قَلْبًا خَاشِعًا سَلِيمًا، وَخُلُقًا مُسْتَقِيمًا، وَلِسَانًا صَادِقًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا، وَأَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَعْلَمُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا تَعْلَمُ فَإِنَّكَ تَعْلَمُ وَلَا أَعْلَمُ وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي (٦) مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي فَإِنَّكَ أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَعَلَى كُلِّ غَيْبٍ شَهِيدٌ،

---

(١) حديث اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني ذكرك ولا تجعلني من الغافلين: رواه أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس دون قوله ولا تولني غيرك وإسناده ضعيف

(٢) حديث اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت: خ من حديث شداد بن أوس وقد تقدم

(٣) حديث اللهم عافني في بدني وعافني في سمعي وعافني في بصري لا إله إلا أنت ثلاث مرات: د ن في اليوم والليلة من حديث أبي بكرة وقال ن جعفر بن ميمون ليس بالقوي

(٤) حديث اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء ـ الحديث: إلى قوله أو ذنبا لا يغفر: أحمد و ك من حديث زيد بن ثابت في أثناء حديث وقال صحيح الإسناد

(٥) حديث اللهم إني أسألك الثبات في الأمر والعزيمة على الرشد ـ الحديث: إلى قوله ـ وأنت علام الغيوب ـ ت ن ك وصححه من حديث شداد بن أوس قلت بل هو منقطع وضعيف

(٦) حديث اللهم اغفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت ـ الحديث: إلى قوله وعلى كل غيب شهيد. متفق عليه من حديث أبي موسى دون قوله وعلى كل غيب شهيد وقد تقدم في الباب الثاني من هذا الكتاب

اللهمَّ إنى أسألك [١] إيماناً لا يرتدّ ونعيماً لا ينفد وقرّة عين الأبد ومرافقة نبيك محمّد صلّى الله عليه وسلّم فى أعلى جنّة الخلد ، اللهمَّ إنى أسألك [٢] الطيّبات وفعل الخيرات وترك المنكرات ، وحبّ المساكين ، أسألك حبّك وحبّ من أحبّك ، وحبّ كل عمل يقرّب إلى حبّك ، وأن تتوب علىّ وتغفر لى وترحمنى ، وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون اللهمَّ [٣] بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما كانت الحياة خيراً لى وتوفّنى ما كانت الوفاة خيراً لى ، أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة وكلمة العدل فى الرضا والغضب والقصد فى الغنى والفقر ولذّة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك ، وأعوذ بك من ضرّاء مضرّة وفتنة مضلّة ، اللهمَّ زيّنا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين ، اللهمَّ [٤] اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معاصيك ، ومن طاعتك ما تبلّغنا به جنّتك ، ومن اليقين ما تهوّن به علينا مصائب الدنيا والآخرة ، اللهمَّ [٥] املأ وجوهنا منك حياء ، وقلوبنا منك فرقاً ، وأسكن فى نفوسنا من عظمتك ما تذلّل به جوارحنا لخدمتك واجعلك اللهمَّ أحبّ إلينا ممّن سواك ، واجعلنا أخشى لك ممّن سواك ،

---

(١) حديث اللهم انى أسألك ايمانا لايرتد ونعيما لاينفد وقرة عين الابد ـ الحديث : ن فى اليوم والليلة وك من حديث عبد الله بن مسعود دون قوله وقرة عين الابد وقال صحيح الاسناد و ن من حديث عمار بن ياسر باسناد جيد وأسألك نعيما لايبيد وقرة عين لاتنقطع

(٢) حديث اللهم انى أسألك الطيبات وفعل الخيرات ـ الحديث : الى قوله غير مفتون : ت من حديث معاذ اللهم انى أسألك فعل الخيرات ـ الحديث : وقال حسن صحيح ولم يذكر الطيبات وهى فى الدعاء للطبرانى من حديث عبد الرحمن بن عايش وقال أبو حاتم ليست له صحبة

(٣) حديث اللهم انى أسألك بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحينى ما كانت الحياة خيرا لى ـ الحديث : الى قوله واجعلنا هداة مهتدين : ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث عمار بن ياسر قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو به

(٤) حديث اللهم اقسم لنا من خشيتك ماتحول به بيننا وبين معصيتك ـ الحديث : ت وقال حسن و ن فى اليوم والليلة و ك وقال صحيح على شرط خ من حديث ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يختم مجلسه بذلك

(٥) حديث اللهم املأ وجوهنا منك حياء وقلوبنا بك فرحا ـ الحديث : إلى قوله واجعلنا أخشى لك من سواك لم أقف له على أصل

اللَّهُمَّ[(١)] اجْعَلْ أَوَّلَ يَوْمِنَا هَذَا صَلَاحًا وَأَوْسَطَهُ فَلَاحًا وَآخِرَهُ نَجَاحًا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ أَوَّلَهُ رَحْمَةً وَأَوْسَطَهُ نِعْمَةً وَآخِرَهُ تَكْرِمَةً وَمَغْفِرَةً [(٢)] الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي تَوَاضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ ، وَذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِعِزَّتِهِ ، وَخَضَعَ كُلُّ شَيْءٍ لِمُلْكِهِ ، وَاسْتَسْلَمَ كُلُّ شَيْءٍ لِقُدْرَتِهِ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَكَنَ كُلُّ شَيْءٍ لِهَيْبَتِهِ ، وَأَظْهَرَ كُلَّ شَيْءٍ بِحِكْمَتِهِ وَتَصَاغَرَ كُلُّ شَيْءٍ لِكِبْرِيَائِهِ ، اللَّهُمَّ [(٣)] صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِ مُحَمَّدٍ وَذُرِّيَّتِهِ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ، اللَّهُمَّ [(٤)] صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ رَسُولِكَ الْأَمِينِ وَأَعْطِهِ الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ الَّذِي وَعَدْتَهُ يَوْمَ الدِّينِ ، اللَّهُمَّ [(٥)] اجْعَلْنَا مِنْ أَوْلِيَائِكَ الْمُتَّقِينَ وَحِزْبِكَ الْمُفْلِحِينَ وَعِبَادِكَ الصَّالِحِينَ وَاسْتَعْمِلْنَا لِمَرْضَاتِكَ عَنَّا ، وَوَفِّقْنَا لِمَحَابِّكَ مِنَّا ، وَصَرِّفْنَا بِحُسْنِ اخْتِيَارِكَ لَنَا ، [(٦)] نَسْأَلُكَ جَوَامِعَ الْخَيْرِ وَفَوَاتِحَهُ وَخَوَاتِمَهُ ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ جَوَامِعِ الشَّرِّ وَفَوَاتِحِهِ وَخَوَاتِمِهِ

---

(١) حديث اللهم اجعل أول يومنا هذا صلاحا وأوسطه فلاحا وآخره نجاحا اللهم اجعل أوله رحمة وأوسطه نعمة وآخره تكرمة : عبد بن حميد فى المنتخب والطبرانى من حديث ابن أوفى بالشطر الأول فقط إلى قوله نجاحا وأسناده ضعيف

(٢) حديث الحمد لله الذى تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لعزته ـ الحديث : إلى قوله وتصاغر كل شيء لكبريائه : الطبرانى من حديث ابن عمر بسند ضعيف دون قوله : والحمد لله الذى سكن كل شيء لهيبته إلى آخره . وكذلك رواه فى الدعاء من حديث أم سلمة وسنده ضعيف أيضا

(٣) حديث اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته ـ الحديث : إلى قوله حميد مجيد : تقدم فى الباب الثانى

(٤) حديث اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي رسول الأمين وأعطه المقام المحمود يوم الدين : لم أجده بهذا اللفظ مجموعا و خ من حديث أبى سعيد اللهم صل على محمد عبدك ورسولك و حب قط لك هق من حديث ابن مسعود اللهم صل على محمد النبي الأمى و ن من حديث جابر وابعثه المقام المحمود الذى وعدته وهو عند خ باللفظ وابعثه مقاما محمودا قال قط أسناده حسن وقال لك صحيح وقال هق فى المعرفة أسناده صحيح

(٥) حديث اللهم اجعلنا من أوليائك المتقين وحزبك المفلحين ـ الحديث : إلى قوله صرفنا بحسن اختيارك لنا : لم أقف له على أصل

(٦) حديث نسألك جوامع الخير وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه : طب من حديث أم سلمة إنه كان يدعو بهؤلاء الكلمات فذكر منها اللهم إنى أسألك فواتح الخير وخواتمه وأوله وآخره وظاهره وباطنه والدرجات العلى من الجنة آمين : فيه عاصم بن عبيد لا أعلم روى عنه الا موسى بن عقبة

اللهم [١] بقدرتك علي تب علي إنك أنت التواب الرحيم، وبحلمك عني اعف عني إنك أنت الغفار الحليم، وبعلمك بي ارفق بي إنك أنت أرحم الراحمين، وبملكك لي ملكني نفسي ولا تسلطها علي إنك أنت الملك الجبار، [٢] سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت، عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي ذنبي إنك أنت ربي ولا يغفر الذنوب إلا أنت، اللهم [٣] ألهمني رشدي وقني شر نفسي، اللهم [٤] ارزقني حلالا لا تعاقبني عليه وقنعني بما رزقتني واستعملني به صالحا تقبله مني، [٥] أسألك العفو والعافية وحسن اليقين، والمعافاة في الدنيا والآخرة [٦] يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة، هب لي ما لا يضرك وأعطني ما لا ينقصك (ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين [١])، (أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين [٢])(أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إنا هدنا إليك [٣])(ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير [٤]) (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين [٥])(ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا واغفر لنا،

---

(١) حديث اللهم بقدرتك على تب علي انك أنت التواب الرحيم وبحلمك على اعف عنى ـ الحديث الى قوله انك الملك الجبار: لم أقف له على أصل

(٢) حديث سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت عملت سوءا وظلمت نفسى فاغفر لى ذنبى أنت ربى انه لا يغفر الذنوب الا أنت: هق فى الدعوات من حديث على دون قوله ذنبى انك أنت ربى: وقد تقدم فى الباب الثانى

(٣) حديث اللهم ألهمنى رشدى وقنى شر نفسى: ت من حديث عمران بن حصين أن النبى صلى الله عليه وسلم علمه لحصين وقال حسن غريب: ورواه ن فى اليوم والليلة و ك من حديث حصين والد عمران وقال صحيح على شرط الشيخين

(٤) حديث اللهم ارزقنى حلالا لا تعاقبنى فيه وقنعنى بما رزقتنى واستعملنى به صالحا تقبله منى: ك من حديث ابن عباس كان النبى صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم قنعنى بما رزقتنى وبارك لى فيه واخلف على كل غائبة لى بخير وقال صحيح الاسناد ولم يخرجاه

(٥) حديث اللهم انى أسألك العفو والعافية والمعافاة وحسن اليقين فى الدنيا والآخرة: ن من حديث أبى بكر الصديق بلفظ سلوا الله المعافاة فانه لم يؤت أحد بعد اليقين خيرا من المعافاة وفى رواية للبيهقى سلوا الله العفو والعافية واليقين فى الأولى والآخرة فانه ما أوتى العبد بعد اليقين خيرا من العافية وفى رواية لأحمد أسأل الله العفو والعافية

(٦) حديث يامن لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة هب لى مالا يضرك وأعطنى مالا ينقصك: أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث على بسند ضعيف

---

(١) الاعراف: ١٢٦ (٢) يوسف: ١٠١ (٣) الاعراف: ١٥٥، ١٥٦ (٤) الممتحنة: ٤ (٥) يونس: ٨٥

رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ[1]﴾، ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا، وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ[2]﴾. ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ[3]﴾. ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا[4]﴾. ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ[5]﴾. ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ﴾ إلى قوله عزوجل ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ[6]﴾. ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا[7]﴾: إلى آخر السورة [1]رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا وَاغْفِرْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ الْأَحْيَاءِ مِنْهُمْ وَالْأَمْوَاتِ [2] رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَتَجَاوَزْ عَمَّا تَعْلَمْ وَأَنْتَ الْأَعَزُّ الْأَكْرَمُ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

أنواع الاستعاذة المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم: اللَّهُمَّ[3] إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا

---

(١) حديث رب اغفر لى ولوالدى وارحمهما كما ربيانى صغيرا واغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات الأحياء منهم والأموات: د ه باسناد حسن من حديث أبى أسيد الساعدى قال رجل من بنى سلمة هل بقى على من بر أبوى شىء قال نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما ـ الحديث: ولأبى الشيخ حب فى الثواب والمستغفرى فى الدعوات من حديث أنس من استغفر للمؤمنين والمؤمنات رد الله عليه عن كل مؤمن مضى من أول الدهر أو هو كائن إلى يوم القيامة وسنده ضعيف وفى صحيح حب من حديث أبى سعيد أيما رجل مسلم لم يكن عنده صدقة فليقل فى دعائه اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات فانها زكاة

(٢) حديث رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم وأنت الأعز الأكرم وأنت خير الراحمين وخير الغافرين: أحمد من حديث أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول رب اغفر وارحم واهدنى السبيل الأقوم وفيه على بن زيد بن جدعان مختلف فيه وللطبرانى فى الدعاء من حديث ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم كان يقول اذا سعى فى بطن المسيل اللهم اغفر وارحم وأنت الأعز الأكرم وفيه ليث بن أبى سليم مختلف فيه ورواه موقوفا عليه بسند صحيح

(٣) حديث اللهم انى أعوذ بك من البخل وأعوذ بك من الجبن وأعوذ بك أن أرد الى أرذل العمر وأعوذ بك من فتنة الدنيا وأعوذ بك من عذاب القبر: خ من حديث سعد بن أبى وقاص

---

(١) الممتحنة: ٥ (٢) آل عمران: ١٤٧ (٣) الحشر: ١٠ (٤) الكهف: ١٠ (٥) البقرة: ٢٠١ (٦) آل عمران: ١٩٣، ١٩٤

(٧) البقرة: ٢٨٦

وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، اللَّهُمَّ (١) إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ طَمَعٍ يَهْدِي إِلَى طَبْعٍ وَمِنْ طَمَعٍ فِي غَيْرِ مَطْمَعٍ وَمِنْ طَمَعٍ حَيْثُ لَا مَطْمَعَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٢) مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ وَقَلْبٍ لَا يَخْشَعُ وَدُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ وَنَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَمِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ وَمِنَ الْكَسَلِ وَالْبُخْلِ وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَمِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ قُلُوبًا أَوَّاهَةً مُخْبِتَةً مُنِيبَةً فِي سَبِيلِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَزَائِمَ مَغْفِرَتِكَ وَمُوجِبَاتِ رَحْمَتِكَ وَالسَّلَامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، وَالْغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، وَالْفَوْزَ بِالْجَنَّةِ وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٣) مِنَ التَّرَدِّي وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْغَمِّ وَالْغَرَقِ وَالْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِرًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَمُوتَ فِي تَطَلُّبِ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٤) مِنْ شَرِّ مَا عَلِمْتُ وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ (٥) جَنِّبْنِي مُنْكَرَاتِ الْأَخْلَاقِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَدْوَاءِ وَالْأَهْوَاءِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٦) مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرَكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٧) مِنَ الْكُفْرِ وَالدَّيْنِ وَالْفَقْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ

---

(١) حديث اللهم انى أعوذ بك من طبع يهدى الى طمع وطمع فى غير مطمع ومن طمع حيث لامطمع: أحمد ك من حديث معاذ وقال مستقيم الأسناد

(٢) حديث اللهم انى أعوذبك من علم لاينفع وقلب لايخشع ودعاء لايسمع ـ الحديث : الى قوله والنجاة من النار ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الاسناد وليس كما قال الا أنه ورد مفرقا فى أحاديث جيدة الأسانيد

(٣) حديث اللهم انى أعوذ بك من التردى وأعوذ بك من الغم ـ الحديث : الى قوله وأعوذ بك أن أموت فى تطلب الدنيا : د ن ك وصحح أسناده من حديث أبى اليسر واسمه كعب بن عمرو بزيادة فيه دون قوله وأعوذ بك أن أموت فى تطلب دنيا وتقدم من عند البخارى الاستعاذة من فتنة الدنيا

(٤) حديث اللهم انى أعوذ بك من شر ماعلمت ومن شر مالم أعلم : قلت هكذا فى غير نسخة علمت وانما هو عملت وأعمل كذا رواه : م من حديث عائشة ولأبى بكر بن الضحاك فى الشمائل فى حديث مرسل فى الاستعاذة وفيه وشر مالم أعمل وشر مالم أعلم

(٥) حديث اللهم جنبنى منكرات الاخلاق والاعمال والادواء والاهواء : ت وحسنة و ك وصححه واللفظ له من حديث قطبة بن مالك

(٦) حديث اللهم انى أعوذ بك من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء: متفق عليه من حديث أبى هريرة

(٧) حديث اللهم انى أعوذ بك من الكفر والدين والفقر وأعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من فتنة الدجال : ن ك وقال صحيح الاسناد من حديث أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان يقول من الكفر والدين وفى رواية للنسائى من الكفر والفقر ولمسلم من حديث أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان يتعوذ من عذاب القبر وعذاب جهنم وفتنة الدجال وللشيخين من حديث عائشة فى حديث قال فيه ومن شر فتنة المسيح الدجال

مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ (١) شَرِّ سَمْعِي وَبَصَرِي وَشَرِّ لِسَانِي وَقَلْبِي وَشَرِّ مَنِيِّ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ (٢) جَارِ السَّوْءِ فِي دَارِ الْمُقَامَةِ فَإِنَّ جَارَ الْبَادِيَةِ يَتَحَوَّلُ ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ (٣) مِنَ الْقَسْوَةِ وَالْغَفْلَةِ وَالْعَيْلَةِ وَالذِّلَّةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ وَالْفَقْرِ وَالْفُسُوقِ وَالشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَسُوءِ الْأَخْلَاقِ وَضِيقِ الْأَرْزَاقِ وَالسُّمْعَةِ وَالرِّيَاءِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الصَّمَمِ وَالْبَكَمِ وَالْعَمَى وَالْجُنُونِ وَالْجُذَامِ وَالْبَرَصِ وَسَيِّءِ الْأَسْقَامِ ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ (٤) زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَمِنْ تَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَمِنْ فُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَمِنْ جَمِيعِ سَخَطِكَ ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ (٥) مِنْ عَذَابِ النَّارِ وَفِتْنَةِ النَّارِ وَعَذَابِ الْقَبْرِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَشَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى وَشَرِّ فِتْنَةِ الْفَقْرِ وَشَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَغْرَمِ وَالْمَأْثَمِ اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ (٦) مِنْ نَفْسٍ لَاتَشْبَعُ وَقَلْبٍ لَايَخْشَعُ وَصَلَاةٍ لَاتَنْفَعُ وَدَعْوَةٍ لَاتُسْتَجَابُ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْغَمِّ وَفِتْنَةِ الصَّدْرِ ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ (٧) مِنْ غَلَبَةِ الْعَدُوِّ وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى كُلِّ عَبْدٍ مُصْطَفَى مِنْ كُلِّ الْعَالَمِينَ آمِينَ

---

(١) حديث اللهم انى أعوذ بك من شر سمعي وشر بصري وشر لساني وقلبي وشر مني: د ن ت وحسنه ك وصحح أسناده من حديث سهل بن حميد

(٢) حديث اللهم انى أعوذ بك من جار السوء فى دار المقامة فان جار البادية يتحول : ن ك من حديث أبي هريرة وقال صحيح على شرط م

(٣) حديث اللهم انى أعوذ بك من القسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة والرياء وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسىء الأسقام : د ن مقتصرين على الاربعة الاخيرة و ك بتمامه من حديث أنس وقال صحيح على شرط الشيخين

(٤) حديث اللهم انى أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجأة نقمتك ومن جميع سخطك : م من حديث ابن عمر

(٥) حديث اللهم انى أعوذ بك من عذاب النار وفتنة النار وعذاب القبر وفتنة القبر وشر فتنة الغنى وشر فتنة الفقر وشر فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من المأثم والمغرم: متفق عليه من حديث عائشة

(٦) حديث اللهم انى أعوذ بك من نفس لاتشبع وقلب لايخشع وصلاة لاتنفع ودعوة لاتستجاب وأعوذ بك من سوء العمر وفتنة الصدر : م من حديث زيد بن أرقم فى أثناء حديث اللهم انى أعوذ بك من قلب لايخشع ونفس لاتشبع وعمل لايرفع ودعوة لايستجاب لها وصلاة لاتنفع وشك أبو المعتمر فى سماعه من أنس وللنسائى باسناد جيد من حديث عمر فى أثناء حديث وأعوذ بك و د من حديث أنس اللهم انى أعوذ بك من سوء العمر وأعوذ بك من فتنة الصدر

(٧) حديث اللهم انى أعوذ بك من غلبة الدين وغلبة العدو وشماتة الأعداء : ن ك من حديث عبد الله ابن عمرو وقال صحيح على شرط مسلم

الباب الخامس

في الأدعية المأثورة عند حدوث كل حادث من الحوادث

إذا أصبحت وسمعت الأذان فيستحب لك جواب المؤذن وقد ذكرناه ؛ وذكرنا أدعية دخول الخلاء والخروج منه ، وأدعية الوضوء في كتاب الطهارة ، فإذا خرجت إلى المسجد فقل «اللَّهُمَّ[1] اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً وَفِي لِسَانِي نُوراً وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُوراً وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُوراً وَاجْعَلْ خَلْفِي نُوراً وَأَمَامِي نُوراً وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُوراً ، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُوراً. وَقُلْ أَيْضاً ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ[2] بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَبِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا إِلَيْكَ فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَراً وَلَا بَطَراً وَلَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً ، خَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ ، وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ ، فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُنْقِذَنِي مِنَ النَّارِ وَأَنْ تغفر لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»

فان خرجت من المنزل لحاجة فقل[3] « بِسْمِ اللَّهِ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ[4] بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ بِسْمِ اللَّهِ التُّكْلَانُ عَلَى اللَّهِ » فاذا انتهيت إلى المسجد تريد دخوله فقل « اللَّهُمَّ[5] صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جَمِيعَ ذُنُوبِي وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ » وقدم رجلك اليمنى في الدخول

﴿ الباب الخامس في الأدعية المأثورة عند كل حادث من الحوادث ﴾

(١) حديث القول عند الخروج إلى المسجد اللهم اجعل في قلبي نورا وفي لساني نورا ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن عباس

(٢) حديث اللهم اني أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك ـ الحديث : من حديث أبي سعيد الخدري باسناد حسن

(٣) حديث القول عند الخروج من المنزل لحاجته بسم الله رب أعوذ بك أن أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل علي : أصحاب السنن من حديث أم سلمة قال ت حسن صحيح

(٤) حديث بسم الله الرحمن الرحيم ولاحول ولاقوة إلا بالله التكلان على الله : ه من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا خرج من منزله قال بسم الله فذكره إلا أنه لم يقل الرحمن الرحيم وفيه ضعف

(٥) حديث القول عند دخول المسجد اللهم صل على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك : ت ه من حديث فاطمة ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ت حسن وليس أسناده بمتصل ولمسلم من حديث أبي حميد أو أبي أسيد اذا دخل أحدكم المسجد فليقل اللهم افتح لي أبواب رحمتك وزاد د في أوله فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم

فإذا رأيت فى المسجد[١] من يبيع أو يبتاع فقل «لَا أَرْبَحَ اللّٰهُ تِجَارَتَكَ» وإذا رأيت من [٢] ينشد ضالة فى المسجد فقل «لَا رَدَّهَا اللّٰهُ عَلَيْكَ» أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم [٣] فاذا صليت ركعتى الصبح فقل: بِسْمِ اللّٰهِ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَسْأَلُكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ تَهْدِى بِهَا قَلْبِي الدعاء إلى آخره كما أوردناه عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم [٤] فاذا ركعت فقل فِى رُكُوعِكَ «اللَّهُمَّ لَكَ رَكَعْتُ وَلَكَ خَشَعْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ أَنْتَ رَبِّى خَشَعَ سَمْعِى وَبَصَرِى وَمُخِّى وَعَظْمِى وَعَصَبِى وَمَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ قَدَمِى لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» وإن أحببت فقل[٥] «سُبْحَانَ رَبِّىَ الْعَظِيمِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ[٦] أَوْ سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»[٧] فاذا رفعت رأسك من الركوع فقل «سَمِعَ اللّٰهُ لِمَنْ حَمِدَهُ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءُ السَّمٰوَاتِ وَمِلْءُ الْأَرْضِ وَمِلْءُ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِىَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»

وإذا سجدت فقل «اللَّهُمَّ[٨] لَكَ سَجَدْتُ وَبِكَ آمَنْتُ وَلَكَ أَسْلَمْتُ سَجَدَ وَجْهِىَ لِلَّذِى خَلَقَهُ وَصَوَّرَهُ وَشَقَّ سَمْعَهُ وَبَصَرَهُ، فَتَبَارَكَ اللّٰهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، اللَّهُمَّ سَجَدَ لَكَ سَوَادِى وَخَيَالِى وَآمَنَ بِكَ فُؤَادِى أَبُوءُ بِنِعْمَتِكَ عَلَىَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِى وَهَذَا مَا جَنَيْتُ عَلَى نَفْسِى فَاغْفِرْ لِى فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» أو تقول[٩] «سُبْحَانَ رَبِّىَ الْأَعْلَى ثَلَاثَ مَرَّاتٍ

---

(١) حديث القول اذا رأى من يبيع أو يبتاع فى المسجد لا أربح الله تجارتك : ت وقال حسن غريب و ن فى اليوم والليلة من حديث أبى هريرة

(٢) حديث القول اذا رأى من ينشد ضالة فى المسجد لاردها الله عليك : م من حديث أبى هريرة

(٣) حديث ابن عباس فى القول بعد ركعتى الصبح اللهم انى أسألك رحمة من عندك تهدى بها قلبى الخ: قد تقدم فى الدعاء

(٤) حديث ابن عباس فى القول فى الركوع اللهم لك ركعت ولك أسلمت ـ الحديث : م من حديث على

(٥) حديث القول فيه سبحان ربى العظيم ثلاثا : د ت ه من حديث ابن مسعود وفيه انقطاع

(٦) حديث القول فيه سبوح قدوس رب الملائكة والروح : م من حديث عائشة

(٧) حديث القول عند الرفع من الركوع سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ـ الحديث : م من حديث أبى سعيد الخدرى وابن عباس دون قوله سمع الله لمن حمده فهى فى اليوم والليلة للحسن بن على العمرى وهى عند م من حديث ابن أبى أوفى وعند خ من حديث أبى هريرة

(٨) حديث القول فى السجود اللهم لك سجدت ـ الحديث : م من حديث على اللهم سجد لك سوادى وخيالى وآمن بك فؤادى أبوء بنعمتك على وأبوء بذنبى وهذا ماجنيت على نفسى فاغفرلى فانه لايغفر الذنوب الا أنت ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح الأسناد وليس كما قال بل هو ضعيف

(٩) حديث سبحان ربى الأعلى ثلاثا : د ت ه من حديث ابن مسعود وهو منقطع

فإذا فرغت من الصلاة فقل «اللَّهُمَّ[1] أَنْتَ السَّلَامُ، وَمِنْكَ السَّلَامُ، تَبَارَكْتَ يَاذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ» وتدعو بسائر الأدعية التي ذكرناها

فإذا قمت من المجلس وأردت دعاء يكفر لغو المجلس فقل[2] «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ عَمِلْتُ سُوءًا وَظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ» فإذا دخلت السوق فقل[3] «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ بِيَدِهِ الْخَيْرُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» [4] بِسْمِ اللهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذِهِ السُّوقِ وَخَيْرَ مَا فِيهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُصِيبَ فِيهَا يَمِينًا فَاجِرَةً أَوْ صَفْقَةً خَاسِرَةً»

فإن كان عليك دين فقل: «اللَّهُمَّ[5] اكْفِنِي بِحَلَالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ»

فإذا لبست ثوباً جديداً فقل «اللَّهُمَّ[6] كَسَوْتَنِي هَذَا الثَّوْبَ فَلَكَ الْحَمْدُ، أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ»

وإذا رأيت شيئاً من الطيرة تكرهه فقل[7] «اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ، وَلَا يَذْهَبُ بِالسَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»

---

(١) حديث القول إذا فرغ من الصلاة اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام: م من حديث ثوبان

(٢) حديث كفارة المجلس سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت: ن في اليوم والليلة من حديث رافع بن خديج باسناد حسن

(٣) حديث القول عند دخول السوق لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير: ت من حديث عمر وقال غريب و ك وقال صحيح على شرط الشيخين

(٤) حديث بسم الله اللهم انى أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها اللهم انى أعوذ بك من شرها وشر ما فيها اللهم انى أعوذ بك أن أصيب فيها يمينا فاجرة أو صفقة خاسرة: ك من حديث بريدة وقال أقربها لشرائط هذا الكتاب حديث بريدة . قلت فيه أبو عمر جار لشعيب بن حرب ولعله حفص بن سليمان الأسدى مختلف فيه

(٥) حديث دعاء الدين اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك وبفضلك عمن سواك: ت وقال حسن غريب و ك وقال صحيح الأسناد من حديث على بن أبى طالب .

(٦) حديث الدعاء اذا لبس ثوبا جديدا اللهم كسوتنى هدا الثوب فلك الحمد أسألك من خيره وخير ماصنع له وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له: د ت وقال حسن و ن فى اليوم والليلة من حديث أبي سعيد الخدري: ورواه ابن السني بلفظ المصنف

(٧) حديث القول إذا رأى شيئا من الطيرة يكرهه اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيئات إلا أنت لا حول ولا قوة الا بالله: ابن أبى شيبة وأبو نعيم فى اليوم والليلة وهو فى الدعوات من حديث عروة بن عامر مرسلا ورجاله ثقات وفى اليوم والليلة لابن السنى عن عقبة ابن عامر فجعله مسندا

وإذا رأيت الهلال فقل « اللَّهُمَّ [١] أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالْأَمْنِ وَالْإِيمَانِ وَالْبِرِّ وَالسَّلَامَةِ وَالْإِسْلَامِ وَالتَّوْفِيقِ لِمَا تُحِبُّ وَتَرْضَى، وَالْحِفْظِ عَمَّنْ تَسْخَطُ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللَّهُ » ويقول « هِلَالُ [٢] رُشْدٍ وَخَيْرٍ، آمَنْتُ بِخَالِقِكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ [٣] خَيْرَ هَذَا الشَّهْرِ وَخَيْرَ الْقَدَرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ يَوْمِ الْحَشْرِ »، وتكبر قبله أولا ثلاثا،

وإذا هبت الريح فقل « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ [٤] خَيْرَ هَذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَمِنْ شَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ »

وإذا بلغك وفاة أحد فقل [٥] (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ [١]) (وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ [٢]) اللَّهُمَّ اكْتُبْهُ فِي الْمُحْسِنِينَ، وَاجْعَلْ كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ وَاخْلُفْهُ عَلَى عَقِبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ وَلَا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ » وتقول عند التصدق (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ [٣]) وتقول عند الخسران: (عَسَى رَبُّنَا أَنْ يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِنْهَا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا رَاغِبُونَ [٤]) وتقول عند ابتداء الأمور (رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا [٥]) (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي [٦])

---

(١) حديث التكبير عند رؤية الهلال ثلاثا ثم يقول اللهم أهله علينا بالأمن والايمان والسلامة والاسلام ربى وربك الله : الدارمي من حديث ابن عمر الا أنه أطلق التكبير ولم يقل ثلاثا : ورواه ت وحسنه من حديث طلحة بن عبيد الله دون ذكر التكبير وللبيهقي فى الدعوات من حديث قتادة مرسلا كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا رأى الهلال كبر ثلاثا.

(٢) حديث هلال خير ورشد آمنت بخالقك : د مرسلا من حديث قتادة أنه بلغه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا رأى الهلال قال هلال خير ورشد هلال خير ورشد آمنت بالذى خلقك ثلاث مرات وأسنده الدارقطنى فى الأفراد والطبرانى فى الأوسط من حديث أنس وقال د وليس فى هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم حديث مسند صحيح

(٣) حديث اللهم انى أسألك خير هذا الشهر وخير القدر وأعوذ بك من شر يوم الحشر : ابن أبى شيبة وأحمد فى مسنديهما من حديث عبادة بن الصامت وفيه من لم يسم بل قال الراوى عنه حدثنى من لا أتهم

(٤) حديث القول اذا هبت الريح اللهم انى أسألك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أرسلت به ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به : ت وقال حسن صحيح و ن فى اليوم والليلة من حديث أبى بن كعب

(٥) حديث القول اذا بلغه وفاة أحد انا لله وانا اليه راجعون وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اكتبه من المحسنين واجعل كتابه فى عليين واخلفه على عقبه فى الغابرين اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده واغفر لنا وله : ابن السنى فى اليوم والليلة وحب من حديث أم سلمة اذا أصاب أحدكم مصيبة فليقل انا لله وانا اليه راجعون ولمسلم من حديثها اللهم اغفر لأبى سلمة وارفع درجته فى المهديين واخلفه فى عقبه فى الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين وافسح له فى قبره ونور له فيه

---

[١] البقرة : ١٥٦ [٢] الزخرف : ١٤ [٣] البقرة : ١٢٧ [٤] ن : ٣٢ [٥] الكهف : ١٠ [٦] طه : ٢٥، ٢٦

وتقول عند النظر إلى السماء (رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ [١]) (تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا [٢])

وإذا سمعت صوت الرعد فقل [١] « سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ »

فإن رأيت الصواعق فقل [٢] « اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ » قاله كعب

فإذا أمطرت السماء فقل « اللَّهُمَّ [٣] سَقْيًا هَنِيئًا وَصَيِّبًا نَافِعًا ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ [٤] صَيِّبَ رَحْمَةٍ وَلَا تَجْعَلْهُ صَيِّبَ عَذَابٍ » فإذا غضبت فقل اللهم [٥] اغفر لي ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم

فإذا خفت قوما فقل « اللَّهُمَّ [٦] إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ » ،

فإذا غزوت فقل اللَّهُمَّ [٧] أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي وَبِكَ أُقَاتِلُ [٨] وإذا طنت أذنك فصل على محمد صلى الله عليه وسلم وقل : ذَكَرَ اللَّهُ مَنْ ذَكَرَنِي بِخَيْرٍ [٩] ، فإذا رأيت استجابة دعائك فقل ، الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي بِعِزَّتِهِ وَجَلَالِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ ، وإذا أبطأت فقل الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ [١٠] وإذا سمعت أذان المغرب فقل « اللَّهُمَّ هَذَا إِقْبَالُ لَيْلِكَ وَإِدْبَارُ نَهَارِكَ وَأَصْوَاتُ دُعَاتِكَ

---

(١) حديث القول اذا سمع صوت الرعد سبحان من يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته : مالك في الموطأ عن عبد الله بن الزبير موقوفا ولم أجده مرفوعا

(٢) حديث القول عند الصواعق اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك : ت وقال غريب ن في اليوم والليلة من حديث ابن عمر وابن السني باسناد حسن

(٣) حديث القول عند المطر اللهم سقيا هنيأ وصيبا نافعا : خ من حديث عائشة كان إذا رأى المطر قال اللهم اجعله صيبا نافعا وه سيبا بالسين أوله ون في اليوم والليلة اللهم اجعله صيبا هنيأ واسنادها صحيح

(٤) حديث اللهم اجعله صيب رحمة ولا تجعله صيب عذاب : ن في اليوم والليلة من حديث سعيد بن المسيب مرسلا

(٥) حديث القول إذا غضب اللهم اغفر ذنبي وأذهب غيظ قلبي وأجرني من الشيطان الرجيم : ابن السني في اليوم والليلة من حديث عائشة بسند ضعيف

(٦) حديث القول اذا خاف قوما اللهم ابى أجعلك في نحورهم وأعوذ بك من شرورهم : د ن في اليوم والليلة من حديث أبي موسى بسند صحيح

(٧) حديث القول اذا غزا اللهم أنت عضدي ونصيري بك اقاتل : د ت ن من حديث أنس قال ت حسن غريب

(٨) حديث القول عند طنين الأذن اللهم صل على محمد ذكر الله بخير من ذكرني : الطبراني وابن عدي وابن السني في اليوم والليلة من حديث أبي رافع بسند ضعيف

(٩) حديث القول اذا رأى استجابة دعائه الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات : تقدم في الدعاء

(١٠) حديث القول اذا سمع أذان المغرب اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك وأصوات دعاتك وحضور صلواتك أسألك أن تغفرلي : ت د وقال غريب و ك من حديث أم سلمة دون قوله وحضور صلواتك فانها عند الخرائطي في مكارم الأخلاق والحسن بن علي المعمري في اليوم والليلة

---

(١) آل عمران : ١٩١ (٢) الفرقان : ٦١

وَحُضُورُ صَلَوَاتِكَ ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَغْفِرَ لِي »[1] وإذا أصابك هم فقل ، اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْءَانَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلَاءَ غَمِّي وَذَهَابَ حُزْنِي وَهَمِّي قال صلى الله عليه وسلم « مَا أَصَابَ أَحَداً حُزْنٌ فَقَالَ ذَلِكَ إِلَّا أَذْهَبَ اللهُ هَمَّهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحاً » فقيل له يارسول الله أفلا نتعلمها؟ فقال صلى الله عليه وسلم « بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا » وإذا وجدت وجعا في جسدك أو جسد غيرك فارقه برقية رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا اشتكى الإنسان قرحة أو جرحا وضع سبابته على الأرض ثم رفعها ، وقال[2] بِسْمِ اللهِ تُرْبَةُ أَرْضِنَا بِرُقْيَةِ بَعْضِنَا يُشْفَى سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا[3] ، وإذا وجدت وجعا في جسدك فضع يدك على الذي يتألم من جسدك وقل « بِسْمِ اللهِ ثَلَاثاً وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ »[4] ، فإذا أصابك كرب فقل « لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ الْعَلِيُّ الْحَلِيمُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ[5] فان أردت النوم فتوضأ أولا ، ثم توسد على يمينك مستقبل القبلة ، ثم كبر الله تعالى أربعا وثلاثين ، وسبحه ثلاثا وثلاثين ، واحمده ثلاثا وثلاثين ، ثم قل[6] ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ ،

---

(١) حديث القول اذا أصابه هم اللهم اني عبدك وابن عبدك وابن أمتك ناصيتي بيدك ـ الحديث : أحمد وحب ك من حديث ابن مسعود وقال صحيح على شرط م ان سلم من ارسال عبد الرحمن عن أبيه فانه مختلف في سماعه من أبيه

(٢) حديث رقية رسول الله صلى الله عليه وسلم بسم الله تربة أرضنا برقية بعضنا يشفى سقيمنا باذن ربنا: متفق عليه من حديث عائشة

(٣) حديث وضع يده على الذي يألم من جسده ويقول بسم الله ثلاثا ويقول أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات : م من حديث عثمان بن أبي العاص

(٤) حديث دعاء الكرب لا اله الا الله العلي الحليم ـ الحديث : متفق عليه من حديث ابن عباس

(٥) حديث التكبير عند النوم أربعا وثلاثين والتسبيح ثلاثا وثلاثين والتحميد ثلاثا وثلاثين : متفق عليه من حديث علي

(٦) حديث القول عند ارادة النوم اللهم اني أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك اللهم لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك : النسائي في اليوم والليلة من حديث علي وفيه انقطاع

اللهم إني لا أستطيع أن أبلغ ثناء عليك ولو حرصت ولكن أنت كما أثنيت على نفسك ، اللهم[1] باسمك أحيا وأموت. اللهم[2] رب السموات ورب الأرض ورب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والقرءان، أعوذ بك من شر كل ذي شر، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء وأنت الباطن فليس دونك شيء اقض عني الدين وأغنني من الفقر ، اللهم[3] إنك خلقت نفسي وأنت تتوفاها ، لك مماتها ومحياها ، اللهم إن أمتها فاغفر لها وإن أحييتها فاحفظها ، اللهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة[4] باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي ، اللهم[5] قني عذابك يوم تجمع عبادك ، اللهم[6] أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك وألجأت ظهري إليك رغبة ورهبة إليك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت» ويكون هذا آخر دعائك فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك وليقل قبل ذلك اللهم[7] أيقظني في أحب الساعات إليك واستعملني بأحب الأعمال إليك تقربني إليك زلفى وتبعدني من سخطك بعداً أسألك فتعطيني وأستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي»

---

(١) حديث اللهم باسمك أحيا وأموت : خ من حديث حذيفة و م من حديث البراء

(٢) حديث اللهم رب السموات والأرض رب كل شيء ومليكه فالق الحب والنوى ـ الحديث : الى قوله وأغنا من الفقر م من حديث أبي هريرة

(٣) حديث اللهم أنت خلقت نفسي وأنت توفاها ـ الحديث : الى قوله اني أسألك العافية م من حديث ابن عمر

(٤) حديث باسمك ربي وضعت جنبي فاغفر لي ذنبي : ن في اليوم والليلة من حديث عبد الله بن عمرو بسند جيد وللشيخين من حديث أبي هريرة باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه ان أمسكت نفسي فاغفر لها وقال خ فارحمها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين

(٥) حديث اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك : ت في الشمائل من حديث ابن مسعود وهو عند د من حديث حفصة بلفظ تبعث وكذا رواه ت من حديث حذيفة وصححه من حديث البراء وحسنه

(٦) حديث اللهم اني أسلمت نفسي اليك وفوضت أمري اليك ـ الحديث : متفق عليه من حديث البراء

(٧) حديث اللهم أيقظني في أحب الساعات اليك واستعملني في أحب الأعمال اليك تقربني اليك زلفى وتبعدني من سخطك بعدا أسألك فتعطيني واستغفرك فتغفر لي وأدعوك فتستجيب لي : أبو منصور الديلمي في مسند الفردوس من حديث ابن عباس اللهم ابعثنا في أحب الساعات اليك حتى نذكرك فتذكرنا ونسألك فتعطينا وندعوك فتستجيب لنا ونستغفرك فتغفر لنا واسناده ضعيف، وهو معروف من قول حبيب الطائي كما رواه ابن ابي الدنيا في الدعاء

(١) فإذا استيقظت من نومك عند الصباح فقل « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ » (٢) أَصْبَحْنَا وَأَصْبَحَ الْمُلْكُ لِلَّهِ وَالْعَظَمَةُ وَالسُّلْطَانُ لِلَّهِ وَالْعِزَّةُ وَالْقُدْرَةُ لِلَّهِ (٣) أَصْبَحْنَا عَلَى فِطْرَةِ الْإِسْلَامِ وَكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ وَعَلَى دِينِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِلَّةِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، اللَّهُمَّ (٤) بِكَ أَصْبَحْنَا وَبِكَ أَمْسَيْنَا وَبِكَ نَحْيَا وَبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ، اللَّهُمَّ (٥) إِنِّي أَسْأَلُكَ أَنْ تَبْعَثَنَا فِي هَذَا الْيَوْمِ إِلَى كُلِّ خَيْرٍ ، وَنَعُوذُ بِكَ أَنْ نَجْتَرِحَ فِيهِ سُوءًا أَوْ نَجُرَّهُ إِلَى مُسْلِمٍ فَإِنَّكَ قُلْتَ (وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى (١)) اللَّهُمَّ (٦) فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَنًا وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حُسْبَانًا ، أَسْأَلُكَ خَيْرَ هَذَا الْيَوْمِ وَخَيْرَ مَا فِيهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا فِيهِ ،

---

(١) حديث القول اذا استيقظ من منامه الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا واليه النشور : خ من حديث حذيفة وم من حديث البراء

(٢) حديث أصبحنا وأصبح الملك لله والعظمة والسلطان لله والعزة والقدرة لله : الطبرانى فى الأوسط من حديث عائشة أصبحنا وأصبح الملك والحمد والحول والقوة والقدرة والسلطان والسموات والارض وكل شىء لله رب العالمين وله فى الدعاء من حديث ابن أبى أوفى أصبحت وأصبح الملك والكبرياء والعظمة والخلق والليل والنهار وما سكن فيهما لله واسنادهما ضعيف ولمسلم من حديث ابن مسعود أصبحنا وأصبح الملك لله

(١) حديث أصبحنا على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة أبينا ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين : ن فى اليوم والليلة من حديث عبد الرحمن بن أبزى بسند صحيح ورواه أحمد من حديث ابن أبزى عن أبى كعب مرفوعا

(٢) حديث اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت واليك المصير : أصحاب السنن وحب وحسنه ت الا أنهم قالوا واليك النشور ولابن السنى واليك المصير

(٣) حديث اللهم انا نسألك أن تبعثنا فى هذا اليوم الى كل خير ونعوذ بك أن نجترح فيه سوأ أو نجره الى مسلم الحديث : لم أجد أوله وت من حديث أبى بكر فى حديث له وأعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه وأن تقترف على أنفسنا سوءا أو نجره الى مسلم رواه د من حديث أبى مالك الأشعرى باسناد جيد

(٤) حديث اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا أسألك خير هذا اليوم وخير ما فيه وأعوذ بك من شره وشر مافيه : قلت هو مركب من حديثين فروى أبو منصور الديلمى فى مسند الفردوس من حديث أبى سعيد قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو اللهم فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا اقض عنى الدين وأغننى من الفقر وقونى على الجهاد فى سبيلك وللدارقطنى فى الأفراد من حديث البراء نسألك خير هذا اليوم وخير مابعده ونعوذ بك من شر هذا اليوم وشر ما بعده و د من حديث أبى مالك الأشعرى اللهم انا نسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وهداه وبركته وأعوذ بك من شر مافيه وشر مابعده وبسنده جيد وللحسن بن على المعمرى فى اليوم والليلة من حديث ابن مسعود اللهم انى أسألك خير مافى هذا اليوم وخير مابعده وأعوذ بك من شر هذا اليوم وشر مابعده والحديث. عندم فى المساء خير مافى هذه الليلة ـ الحديث : ثم قال واذا أصبح قال ذلك أيضا

(١) الأنعام : ٦٠

«[1] بِسْمِ اللهِ مَا شَاءَ اللهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ ، مَاشَاءَ اللهُ كُلُّ نِعْمَةٍ مِنَ اللهِ ، مَاشَاءَ اللهُ الْخَيْرُ كُلُّهُ بِيَدِ اللهِ ، مَا شَاءَ اللهُ لَا يَصْرِفُ السُّوءَ إِلَّا اللهُ ، [2] رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا ، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا ، وَبِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَبِيًّا ، (رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ[1])».

[3] وإذا أمسى قال ذلك إلا أنه يقول أمسينا ويقول مع ذلك « أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّاتِ وَأَسْمَائِهِ كُلِّهَا مِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ وَبَرَأَ ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ وَمِنْ شَرِّ كُلِّ دَابَّةٍ أَنْتَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا ، إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »

[4] وإذا نظر فى المرآة قال « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَوَّى خَلْقِي فَعَدَّلَهُ وَكَرَّمَ صُورَةَ وَجْهِي وَحَسَّنَهَا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ »

---

(١) حديث بسم الله ماشاء الله لاقوة إلا بالله ماشاء الله كل نعمة فمن الله ماشاء الله الخير كله بيد الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله : عد فى الكامل من حديث ابن عباس ولا أعلمه إلا مرفوعا إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال يلتقى الخضر والياس عليهما الصلاة والسلام كل عام بالموسم بمنى فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه فيفترقان عن هذه الكلمات فذكره ولم يقل الخير كله بيد الله قال موضعها لايسوق الخير إلا الله قال ابن عباس من قالهن حين يصبح وحين يمسى أمنه الله من الغرق والحرق وأحسبه قال ومن الشيطان والسلطان والحية والعقرب أورده فى ترجمة الحسين بن رزين وقال ليس بالمعروف وهو بهذا الاسناد منكر

(٢) حديث رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا : تقدم فى الباب الأول

(٣) حديث القول عند المساء مثل الصباح الا أنك تقول أمسيناوتقول مع ذلك أعوذبكلمات الله التامات وأسمائه كلها من شر ماذرأ وبرأ ومن شر كل ذى شر ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ان ربى على صراط المستقيم : أبو الشيخ فى كتاب الثواب من حديث عبد الرحمن بن عوف من قال حين يصبح أعوذ بكلمات الله التامات التى لايجاوزهن بر ولا فاجر من شر ماخلق وبرأ وذرأ اعتصم من شر الثقلين ـ الحديث : وفيه وان قالهن حين يمسى كن له كذلك حتى يصبح وفيه ابن لهيعة ولأحمد من حديث عبد الرحمن بن حسن فى حديث أن جبريل قال، يامحمد قل أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق وذرأ وبرأ ومن شر ما ينزل من السماء، الحديث : واسناده جيد ولمسلم من حديث أبى هريرة فى الدعاء عند النوم أعوذ بك من شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها وللطبرانى فى الدعاء من حديث أبى الدرداء اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ومن شر كل دابة الخ ـ الحديث : وقد تقدم فى الباب الثانى

(٤) حديث القول اذا نظر فى المرآة الحمد لله الذى سوى خلقى فعدله وكرم صورة وجهى وحسنها وجعلنى من المسلمين : الطبرانى فى الأوسط وابن السنى فى اليوم والليلة من حديث أنس بسند ضعيف

---

(1) الممتحنة : ٤

[(١)] وإذا اشتريت خادما أو غلاما أو دابة فخذ بناصيته وقل : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا جُبِلَ عَلَيْهِ »

[(٢)] وإذا هنأت بالنكاح فقل : « بَارَكَ اللَّهُ فِيكَ وَبَارَكَ عَلَيْكَ وَجَمَعَ بَيْنَكُمَا فِي خَيْرٍ »

. وإذا قضيت الدين فقل للمقضى له[(٣)] « بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ » إذ قال صلى الله عليه وسلم « إِنَّمَا جَزَاءُ السَّلَفِ الْحَمْدُ وَالْأَدَاءُ »

فهذه أدعية لا يستغنى المريد عن حفظها ، وماسوى ذلك من أدعية السفر و الصلاة و الوضوء ذكرناها فى كتاب الحج و الصلاة والطهارة

فان قلت فما فائدة الدعاء والقضاء لا مرد له

فاعلم أن من القضاء رد البلاء بالدعاء ، فلدعاء سبب لرد البلاء ، واستجلاب الرحمة ، كما أن الترس سبب لرد السهم والماء سبب لخروج النبات من الأرض ، فكما أن الترس يدفع السهم فيتدافعان ، فكذلك الدعاء والبلاء يتعالجان ، وليس من شرط الاعتراف بقضاء الله تعالى أن لا يحمل السلاح ، وقد قال تعالى: (خُذُوا حِذْرَكُم[(١)]) وأن لا يسقى الأرض بعد بث البذر ، فيقال إن سبق القضاء بالنبات نبت البذر، وإن لم يسبق لم ينبت ، بل ربط الأسباب بالمسببات هو القضاء الأول الذى هو كلمح البصر أو هو أقرب، وترتيب تفصيل المسببات على تفاصيل الأسباب على التدريج والتقدير هو القدر والذى قدر الخير قدره بسبب والذى قدر الشر قدر لدفعه سببا ، فلا تناقض بين هذه الأمور عند من انفتحت بصيرته ،

ثم فى الدعاء من الفائدة ماذكرناه فى الذكر فانه يستدعى حضور القلب مع الله وهو منتهى العبادات

---

(١) حديث القول اذا اشترى خادما أو دابة اللهم انى أسألك خيره وخير ما جبل عليه وأعوذ بك من شره وشر ماجبل عليه : د ه من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده بسند جيد

(٢) حديث التهنئة بالنكاح بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما فى خير : دت ه من حديث أبى هريرة قال ت حسن صحيح

(٣) حديث الدعاء لصاحب الدين اذا قضى الله دينه بارك الله لك فى أهلك ومالك انما جزاء السلف الحمد والاداء : ن من حديث عبد الله بن أبى ربيعة قال استقرض منى النبى صلى الله عليه وسلم أربعين ألفا فجاءه مال فدفعه الى قال فذكره واسناده حسن

---

(١) النساء : ٧١

ولذلك قال صلى الله عليه وسلم [1] « الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ »

والغالب على الخلق أنه لا تنصرف قلوبهم إلى ذكر الله عز وجل إلا عند إلمام حاجة وإرهاق مامة ، فان الانسان إذا مسه الشر فذو دعاء عريض ، فالحاجة تحوج إلى الدعاء ، والدعاء يرد القلب إلى الله عز وجل بالتضرع والاستكانة ، فيحصل به الذكر الذى هو أشرف العبادات، ولذلك صار البلاء موكلا بالأنبياء عليهم السلام ، ثم الأولياء ، ثم الأمثل فالأمثل ، لأنه يرد القلب بالافتقار والتضرع إلى الله عز وجل ، ويمنع من نسيانه ، وأما الغنى فسبب للبطر فى غالب الأمور ، فان الانسان ليطغى أن رآه استغنى

فهذا ماأردنا أن نورده من جملة الأذكار والدعوات، والله الموفق للخير ، وأما بقية الدعوات فى الأكل والسفر وعيادة المريض وغيرها ، فستأتى فى مواضعها إن شاء الله تعالى وعلى الله التكلان ،

تم كتاب الأذكار والدعوات بكماله ، يتلوه إن شاء الله تعالى كتاب الأوراد ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

---

(١) حديث الدعاء مخ العبادة : تقدم فى الباب الأول